سورة الصافات:دراسة أسلوبية

إعداد
عدالة مصطفى موسى السالم

المشرف
الدكتور محمد القضاة

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

آب، ٢٠٠٧

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع.....التاريخ.....

الجامعة الأردنية

نموذج التفويض

أنا الطالبة عدالة مصطفى موسى السالم، أفوّض الجامعة الأردنية بتزويد نسخ من أطروحتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها .

التوقيع:.....

التاريخ:.....

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الأطروحة (سورة الصافات: دراسة أسلوبية) وأجيزت بتاريخ ٢٠٠٧/٨/٥.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور محمد أحمد القضاة، مشرفاً أستاذ مشارك / أدب ونقد حديث	.....
الأستاذ الدكتور محمد إسماعيل عواد، عضواً أستاذ / لغة ونحو	.....
الدكتور عبدالله نايف عنبر، عضواً أستاذ مشارك / لغة ولسانيات	.....
الأستاذ الدكتور عبد القادر مرعي، عضواً أستاذ / لغة وصوتيات (جامعة مؤتة)	.....

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع ..... التاريخ ١٢/٨/٢٠٠٧

الإهداء

إلى من غرس فيّ حب العلم وعلمني بأن الحياة مبدأ

والدي الغالي مصطفى السالم .....

إلى من حملت اسمها قولاً وفعلاً لتكون منارة تضيء لمن حولها

والدتي المربية الفاضلة رافية ضمير .....

إلى المصابيح الخمسة الذين شدوا معي حزام الجد والمثابرة من بداية

الرحلة إلى نهايتها أشقائي

خالد ، فضي، محمد، فتينة، متز .....

وإلى صديقات الصفاء والنقاء رفيقات الدرب

وإلى الأرواح الطاهرة التي غادرتنا قبل انتهاء العمل وأخص

بالذكر ..... الدكتور محمد بركات أبو علي

شكر وتقدير

إلى من كان نوره يضيء لي طريقي ويرسم لي خطواتي حينما إدلهمت الدنيا بوجهي واسودت بعيني فأحسست بشعاع نوره يمتد أمامي ، نور الله ... وإلى من أمدني بقوة تسري في عروقي تمنحني القوة للوقوف أمام كل الناس وقول ما أريد، وإلى من أشرق شمس السعادة في حياتي فأحسست بنشوة الفرح والسعادة تخرج من أعماقي ، تمهد لي الطريق بومضات الأمل، فلنذكر الله ذكر من يشكره ويستزيد من فضله ويطلب عفوه ومغفرته ....

كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى أستاذي الفاضل المشرف الدكتور محمد القضاة على ما أولاه من مزيد الرعاية والاهتمام حتى لحظات البحث الأخيرة.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة الناقشة	ب
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
فهرس المحتويات	هـ
الملخص	ح
المقدمة	١
التمهيد: الإعجاز القرآني قديماً وحديثاً	٤
أولاً: الإعجاز القرآني عند القدماء	٥
ثانياً: الإعجاز القرآني عند المحدثين	١٠
ثالثاً: التعريف بسورة الصافات	١٧
الفصل الأول: المستوى الصوتي	١٩
أولا: التمهيد	٢٠
ثانياً: نسق الأصوات وانتظامها	٢٦
- الحروف والكلمات	٢٩
ثالثاً: المقطع اللغوي	٤٤
رابعاً: إيقاع الوحدات اللغوية	٥٨
١- التجنيس	٥٨
٢- إيقاع السياق	٦٥
خامساً: إيقاع المعاني المفردة	٦٩
سادساً: الفاصلة القرآنية	٧٤
١- ثراء الفاصلة القرآنية	٧٥
أ- خضوعها لقانون النظام	٧٦
ب- قانون التغيير	٧٧
١- التنقل بين حروف الروي المختلفة	٧٧
٢- المراوحة بين الفواصل في الكم الموسيقي	٧٨
أ- ما تساوت قرائنه	٧٩
ب- ما اختلفت قرائنه طولاً وقصراً	٨٠
١- الفاصلة الأولى أقصر من الثانية	٨٠
٢- الفاصلة الثانية أقصر من الأولى	٨١
- أنماط الفاصلة القرآنية	٨٢
أ- المتوازي	٨٢
ب- المتوازن	٨٤
ج - المطرف	٨٥
د- الترسل	٨٧
سابعا: خلاصة المستوى الصوتي	٩٠
الفصل الثاني : المستوى المعجمي	٩٢

أولا: التمهيد:	٩٣
ثانياً: بنية الأسماء	٩٤
١- النكرة	٩٤
أ- التفخيم	٩٤
ب- التخصيص	٩٦
ج- المبالغة	٩٧
د- التحقير	٩٧
٢- المعرفة	٩٩
- الضمير	٩٩
١- إضمار الاسم لتقدم ذكره	٩٩
٢- ضمير الشأن	١٠٢
- ضمير الفصل	١٠٣
٣ - اسم الإشارة	١٠٤
٤- الاسم الموصول	١٠٦
٥- العلم	١٠٨
٦- الجموع	١١٠
٧- صيغ الأسماء	١١٣
أ- فَعْل	١١٥
ب- فِعْل	١١٦
ج- فُعْل	١١٧
د- فَعيل	١١٧
هـ- فعَيل	١١٧
و - فَعال	١١٨
ثالثاً: بنية الأفعال	١١٩
١- الصيغ البسيطة	١١٩
أ- صيغة فَعَلَ	١١٩
ب- صيغة فعّل	١٢٠
ج- صيغة تفاعل	١٢١
د- صيغة أفعلَ	١٢١
ه- صيغة استفعل	١٢١
و- صيغةصيغة تفعّل	١٢٢
٢- الصيغ المركبة	١٢٢
الصورة الأولى الفعل المسبوق بقد	١٢٣
الصورة الثانية الفعل المسبوق بكان	١٢٥
الصورة الثالثة الفعل المسبوق بسوف	١٢٧
رابعاً: الحقول المعجمية	١٢٨
أ- قسم الأسماء	١٣٠
ب- قسم الأفعال	١٥٥

خامساً: خلاصة المستوى المعجمي	١٦٣
الفصل الثالث : المستوى التركيبي	١٦٥
أولاً: التمهيد	١٦٦
ثانياً: أحوال الجمل من حيث	١٦٦
١- التقديم والتأخير	١٦٧
٢- التوكيد والتكرير	١٧٢
٣- الفصل والوصل	١٧٨
٤- الاستفهام	١٨٨
٥- الامرو النفي	١٩٧
٦- النداء	٢٠٦
ثالثاً: خلاصة المستوى التركيبي	٢٠٩
الفصل الرابع: المستوى البياني	٢١٠
أولاً: التمهيد	٢١١
ثانياً: تحليل الصور البلاغية	٢١٢
١- الكناية	٢١٢
٢- الاستعارة	٢١٤
٣- المجاز المرسل	٢١٥
٤- التشبيه	٢١٦
٥- نظام القص	٢١٨
ثالثاً: خلاصة المستوى البياني	٢٢٠
الخاتمة	٢٢٣
قائمة المصادر والمراجع	٢٢٧
الملخص	٢٣٨

سورة الصافات: دراسة أسلوبية

إعداد
عدالة مصطفى موسى السالم

المشرف
الدكتور محمد القضاة

ملخص

تحاول هذه الدراسة الكشف عن البنية اللغوية للنص القرآني من جوانبه المختلفة، إذ توظف اللغة في دراسة الانزياحات الأسلوبية على مستوى الخطاب التي يقدمها القرآن الكريم في هذه السورة في تناغم مع السياق العام بمجمل السور المكية.
والدراسة في هذا تتناول المستويات الصوتية، والمعجمية، والتركيبية، والبيانية، ودراسة مستويات الأداء في الخطاب. مع وعي الباحثة بتفرد الأسلوب القرآني عن غيره إذ هو خطاب موجه تؤدي فيه اللغة وظائف تداولية مع كونها تمثل مرحلة الذروة في الخطاب.

وقد جاءت الدراسة في تمهيد وأربعة فصول معتمدة مستويات اللغة: الصوتي، والمعجمي، والتركيبي، والبياني، وتبين أن الأصوات قد نظمت بخلاف ما قاله دي سوسير في علم اللغة الأمر الذي جعل تعريفه تعريفاً لا يؤخذ على إطلاقه، مما يميز نظم القرآن بانفراده عن أنواع النظم الأخرى وقيامه على هندسة خاصة به، فقد وظفت الأسماء والأفعال في المستوى المعجمي لمقاصد دلالية وأغراض بلاغية جاءت متلائمة مع السياقات المتعددة، ضمن نظم تركيبي مميز أبرزه الفصل الثالث في التحام النظم القرآني وتواصله بين المكونات اللغوية للجمل في سلسلة متصلة تؤدى فيها المعاني في الصور البلاغية في المستوى البياني بإعجاز قام على مبدأ التصوير الذي يعد ركيزة من ركائز التعبير القرآني مع الصور البلاغية باستثناءالصور المتعلقة بالذات الإلهيه وربما عاد ذلك للخلفية الدلالية لمفهوم التصوير لاسيما إذا تعلق الأمر بالله عز وجل.
وقد خلصت الدراسة إلى نتائج أدرجت في الخاتمة وإن دراسةكهذه تتصل بالقرآن الكريم المعجز لا بد أن تظهر في وقتنا الحاضر لتعزز من ربط الحاضر المبتعد عن اللغة العربية والدين الإسلامي لتعودللغة مكانتها التي كانت عليها.

المقدمة

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (المائدة : ١٥-١٦).

إن رغبتي الصادقة في التقرب إلى الله، وخدمة اللغة العربية الشريفة كان لها أكبر الاثر في أختيار الباحثة لموضوع الدراسة فقد مَنّ الله علي بأن جعل لي من أمري رشدا بعد أن انتهت بي السبل إلى باب مسدود في اختيار ما يلائم رغبتي الحقيقية بأن اقْتُرح علي أن أبحث في سورة قرآنية وأحللها أسلوبياً للكشف عن البنية اللغوية للنص القرآني بعد تردد أيضاً في اختيار المتن اللغوي الذي يجمع أكبر عدد من الخواص والسمات الاسلوبية.

ولعل من أهم دواعي هذا الإختيار **أولاً**: أنها سورة متوسطة من حيث عدد آياتها، مما يسهل عملية الدراسة على الباحث ويقلل الاستدراك عليه فكلما كان الموضوع أكثر ضيقاً كان أكثر قابلية للبحث **وثانياً**: أن سورة الصافات سورة مكية ذات خصائص أسلوبية متعددة وخاصة قصر آياتها وانتهاء فواصلها القرآنية بحرفي الميم والنون، مما له أثر في تناسب أغراض وأهداف السورة، كما أن كثرة السجع جعلتني ألتفت إلى جانبها الصوتي الذي يعد مادة خصبة للدراسة الصوتية **وثالثاً**: نظامها القصيصي الذي جاء في السورة مميزاً حاوياً ست قصص من قصص الرسل مع أقوامهم والذي ينسجم مع البنية العامة للسورة الذي شكل بدوره ملمحاً تعبيرياً مميزاً. **ورابعاً**: فاتحتها المناسبة لأغراضها المناسبة لخاتمتها **وخامسها**: بناؤها الهندسي المعماري ومبدأ السببية الزمنية التي ارتكز عليه النظام القصصي.

إن دراستي هذه تحاول الكشف عن البنية اللغوية للنص القرآني من جوانبه المختلفة إذ توظف اللغة في دراسة الإنزياحات الاسلوبية على مستوى الخطاب التي يقدمها القرآن الكريم في هذه السورة في تناغم مع السياق العام في مجمل السور المكية، والدراسة في هذا تتناول المستويات الصوتية والمعجمية، والتركيبية، والبيانية، لدراسة مستويات الاداء في الخطاب مع وعي الباحثة بتفرد الأسلوب القرآني عن غيره، إذ هو خطاب موجه تؤدي فيه اللغة وظائف تداولية تمثل مرحلة الذروة في الخطاب.

وقد تمثلت الدراسات السابقة بمجموعة من الكتب تناولت الموضوع جزئياً أو دون تماس مباشر فمن الكتب القديمة كتاب "**الاعجاز**" للباقلاني وكتاب " **النكت في إعجاز القرآن الكريم**" للرماني وبعض التفاسير كتفسير "**الكشاف**" للزمخشري و"**مفاتيح الغيب**" للرازي و"**تفسير البحر المحيط**" لأبي حيان الأندلسي وكتاب "**نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**" للبقاعي و"**تفسير أبي السعود**" فهذه الكتب سلك بها أصحابها نهج المفسرين والبلاغيين القدماء في تناول

عدة ظواهر من القرآن بدراستها وعرضها من خلال سورها في المصحف الشريف كما اهتموا ببيان النكت واللطائف القرآنية لمجموعة من شواهد الظاهرة في القرآن عامة، فضلاً عن اهتمامهم بالجانب التطبيقي وبيان النكت واللطائف القرآنية في الآيات.

ومن الدراسات الحديثة كتاب "**بلاغة القرآن**" أحمد بدوي الذي جمع آراء وخواطر السلف في هذا الميدان مضيفاً إليها بعض الأبحاث الحديثة، فقد استخرج من الكتاب الكريم عددا من الموضوعات مبيناً كيف عرضت في مختلف سور القرآن، من غير أن يخصص سوراً معينة للدراسة وكتاب محمد مبارك "**دراسة أدبية من النصوص من القرآن**" لخص الفكرة العامة للسورة أو النص ثم بسط ما تضمنه من أفكار وكشف ما بين هذه الأفكار من صلة وربطها بما تضمنه القرآن من مفاهيم مقتصراً في ذلك على سورة العاديات، والحاقة، والنحل، ويوسف، فقط أما "**التصوير الفني في القرآن**" و"**ظلال القرآن**" للسيد قطب، وتفسير "**التحرير والتنوير**" للطاهر بن عاشور، و"**تفسير الشعراوي**" فإنها تدل على على جهد كبير من قبل أصحابها من غير أن تعنى بتناول النص بشموله وكليته وفق المناهج الحديثة، ومنها أيضاً "**دراسة محمد بركات أبو علي في البيان القرآني**" وهي دراسة تطبيقية للمنهج الأدبي في دراسة القرآن، و"**دراسة محمود أحمد نحلة في جزء عمّ**" استطاع فيه الباحث أن يقف على مايميز الاستخدام القرآني للغة، مستفيداً من الجهود اللغوية الحديثة، مقتصراً بذلك على جزء عمّ وفق المنهج الاسلوبي الحديث.

ومن الدراسات الحديثة رسائل جامعية تناول بها أصحابها ظاهرة اسلوبية في القرآن الكريم كدراسة خالد قاسم حسين بعنوان "**التكرار اللفظي في لغة الحوار القرآني**"، ودراسة حسين الدرويش التي تحمل عنوان "**النظم القرآني في سورة البقرة**"، ودراسة فوز سهيل نزال بعنوان "**لغة الحوار في القرآن الكريم**" ، ودراسة جمال رفيق بعنوان "**النظم القرآني في سورة يوسف**".

فقد أفادت الدراسة من هذه المؤلفات وما فيها من ومضات بلاغية وأسلوبية متفرقة وخطت لنفسها طريقاً جديدة في ولوج عالم النص القرآني تمثلت بانفرادها بما يلي: **أولاً**: النموذج، حيث اقتصرت الدراسة على سورة الصافات وحدها، **ثانياً**: النوع حيث تعد هذه الدراسة الدراسة الاولى في تناولها لسورة الصافات من ناحية أسلوبية في جميع المستويات الأسلوبية ، **ثالثاً**: المنهج ذلك أن هذه الدراسة تعد الأولى في تناولها لسورة الصافات دون غيرها وفق المنهج الوصفي التحليلي والاحصائي والأسلوبي، **رابعاً**: اهتمام الدراسة بالجانبين التطبيقي والنظري في السورة، وفق نظرة تكاملية لآياتها من البداية إلى النهاية، **وخامساً**: رصدها لاقوال المفسرين والدارسين مبينة أوجه التشابه والاختلاف في نظرهم إلى الآيات.

وقد أخذت دراسة الباحثة بالمنهج الذي يراعي تفاعل مستويات النص وتآلفها إذ الانسجام والتآلف والتماسك هو أخص ما يميز البنية اللغوية للسورة، لذلك فقد جرت في تحليلها في ظلال عدد من المناهج التي تعمل على إضاءتها إضاءة تكاملية مثل المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الاسلوبي، فضلاً عن المنهج الإحصائي الذي سيعطي بعداً علمياً في الرصد والحكم.

وبناءً على النظرة الشمولية التي تجمع بين مختلف السمات الأسلوبية للنص فقد أستندت خطة البحث إلى تمهيد، وأربعة فصول، عالجت الدراسة في التمهيد بالتعريف بالسورة مع عرض موجز لمفهوم الإعجاز البياني عند القدماء والمحدثين ، وجاء الفصل الاول: **المستوى الصوتي**، متتبعاً للنظام الصوتي للكلمات، وللمقاطع، والحروف، ولإيقاع الصيغ، وإيقاع المعاني المفردة، والفواصل القرآنية، يليه الفصل الثاني: الذي عالجته الباحثة وهو **المستوى المعجمي**، من خلال الأسماء والافعال من حيث النكرة والمعرفة، ومعرفة الضمير، ومعرفة الاسم الموصول، واسم الاشارة، وضمير الشأن، وضمير الفصل، والجموع، ثم تناولت الأفعال من حيث الأفعال البسيطة، والصيغ المركبة، لتحط الرحال فيه عند الحقول الدلالية. وقد جاء الفصل الثالث: في الدراسة علاجاً **للمستوى التركيبي** في السورة من حيث أحوال الجمل في التقديم والتأخير، والتوكيد والتكرير، والفصل والوصل، والاستفهام، والامر والنهي، والنداء، وختمت بالفصل الرابع: من خلال تحليله للسور البلاغية من حيث التشبيه، والمجاز المرسل، والاستعارة والكناية، وذلك في **المستوى البياني**.

ولعل أولى العقبات التي اعترضت سبيل هذه الرحلة الشاقة ندرة الدراسات الاسلوبية التي تناولت النص القرآني خاصة في المجال الصوتي على صعيد المصادر والمراجع، ووفاة المشرف المرتب لخطة البحث الأساسية والثانوية، وما ترتب على ذلك من صعوبات ومشاكل جراء ذلك.

و في النهاية هذا جهدنا فإن أصبت فبتوفيق من الله، وإن أخطأت فمن استعلاء النقص على جملة البشر.

والله ولي التوفيق،،،

التمهيد

الإعجاز القرآني قديماً وحديثاً

أولاً : الإعجاز القرآني عند القدماء:

وصف القرآن الكريم عند نزوله بنعوت شتى كالشعر، ووصف بالسحر وقال عنه الوليد بن المغيرة: " إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنّه ليعلو ولا يعلى عليه". وما كان ذلك من النعوت إلا لما وُجِد به من جمالية فاقت كلام العرب وبَيانَهم، وهم أهل الفصاحة والبيان الأمر الذي حول أمرهم بما أذهل العقول، وما حير الألباب، للانصراف عن كل نظم وعن كل بلاغة. إلا بلاغة ونظم هذا الجديد على مسامعهم لِعِظَم الأثر في نفوسهم بما استشفوه بغريزتهم البيانية عند سماعه.

ولما كانت العربية هي ما نزل بها آخر الكتب السماوية، لما اختصت به من خصائص عرفنا بعضها، وجهلنا عن بعضها لحكمة أرادها الله تعالى ذلك أن - الله أعلم حيث يجعل رسالته- [١]، فقد نزلت على قوم شهد لهم الزمان بقوة الفصاحة، وجودة الصناعة للشعر والخطابة، والمرتبة الرفيعة في البيان والبلاغة تضاءلوا أمام النَّفس القرآني المتسم بالعزة والقوة، في إطلاق أحكامه دون أن يَهاب أحداً أو أن يُحابيَ أحداً مما جعلهم يُغَيِّبون الحَقّ، ويتمادون في الظلم والكفر، ويتجاوزون الحدود في عتوهم وغيهم، فتحداهم به ليكون التحدي في البداية حُجّة عليهم في إبطال مزاعمهم الباطلة، فمن لم يقدر للكلام أبسط الأمور فلن يقدر لأصعبها وأعقدها مسلكاً، فانكشف بذلك ضعفهم الكاشف لكذبهم.

وقد وقع التحدي بالقرآن كله ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [٢]، ثم جاء بآية أهون فتحداهم بأن يأتوا بعشرة سور مثله، قال جلّ شأنه: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[٣]، ثم وصل التدرج بالتحدي لاسهل طلب بأن يأتوا بسورة مثله،﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[٤]، فَفَتْحُ المجال أمامهم بتقديم الخيارات على مراحل ما هو إلا دليل ضعف الطرف المقابل، وعجز من تفوق بقدرته البيانية، عن هذا النظم الذي لا يدل إلا على مغايرته لكل نظم في لسان العرب وغيرهم، ومباينته لكل أسلوب معهود من كلام البشر فما من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيه الرسول وحياً أوحاه الله إليه.

---

[١] سورة الأنعام، ١٢٤.

[٢] سورة الإسراء، ٨٨.

[٣] سورة هود، ١٣.

[٤] سورة يونس، ٣٨.

وبعد أن تعمقت العقيدة في نفوس البشر، وأخذ الإسلام ينشر في كل الأمصار ومع تطور وازدهار الحركة العلمية، وظهور الفرق الكثيرة في الساحة الإسلامية، أصبح القرآن مثار بحث وتساؤل خرجت به الأمور إلى حد الغرابة والاستهجان في جانب، وحد الدفاع البيان في الجانب الآخر.

والمتتبع للمسار التاريخي للسلف يجد باعاً طويلاً في الصد والرد في بيان وجه الإعجاز، وإدراك حقائقه، مع التسليم التام بالمخالفة له في النظم عن غيره وذلك أنه "لا يثبت إعجاز حتى تثبت مزايا تفوق علوم البشر وتقصر قوى نظرهم عنها"[١] وهذا كان شغلهم الشاغل في الكشف عن أسرار الإعجاز، فإذا كان بيانه قد شغل عرب الجاهلية عن معبودهم الشعر، فقد شغل الإعجاز العرب المسلمين لدرجة التكلف.

كانت البدايات لأبي عبيدة في كتابه "**مجاز القرآن**" الذي صار مرجعاً للدراسات بعده، فهو بمثابة إشراقة عام ثمانية وثمانين ومائة من الهجرة في البحوث البيانية، تلته كتب اللغة والأدب.

خَلِفه الجاحظ المتوفى سنة خمس وخمسين ومئتين للهجرة، في القرن الثالث في كتابه " **نظم القرآن** " الذي لم يصل إلينا، والذي يرجح أن يكون محمد بن يزيد الواسطي قد استفاد منه في كتابه وبنى عليه حين صنف كتابه "**إعجاز القرآن**" الذي لم يصل إلينا أيضاً. حيث رأى الجاحظ أن الوجه الذي كان به القرآن معجزاً هو النظم، فهو يرى "أن الأعجاز متصل بالنظم وحده بصرف النظر عما يحويه القرآن من المعاني، إذ طلب الله تعالى إليهم أن يأتوا بعشر سور من مثله في النظم، والروعة في التأليف، حتى ولو حوى التأليف الرائع كل باطل ومفتري لا معنى له" ، فهو أول من تصدى للرد على أهل الصرفة وكان ذلك نتيجة تطور الفكر وظهور الفلسفات.

وقد تبنى هذا الموضوع عدد من من العلماء بعد الجاحظ، آمنوا به ودافعوا عنه حسب انتمائهم المذهبي، ومعتقدهم الديني الذي انطلقوا منه، كعلي بن عيسى الرماني (٣٨٤هـ)، وأحمد بن محمد الخطابي (٣٨٨هـ)، وأبي بكر الباقلاني (٤٠٣هـ) وعبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ).

تبين للرماني في رسالته "**النكت في إعجاز القرآن**" أن وجوه الإعجاز عند العرب في كونهم قادرين على معارضة القرآن إلا أن الله قد صرفهم عنها، ومنعهم منها وقد كان مقدوراً لهم، وقد ظهر الاعجاز في سبع جهات "عند ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة،

---

[١] الجرجاني، عبد القاهر.(٣٩٢هـ). دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، القاهرة، ص ١٩٢.

والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والإخبار الصادقة عن الامور المستقبلية، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة"[١].

أما الخطابي في كتابة " **بيان إعجاز القرآن**" فقد لخص رأيه بما يلي: " إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم " وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الامور منه في غاية الشرف والفضيلة".[٢]

أما أبو بكر الباقلاني فقد خرج الرجل بنظم القرآن في تصرفه، ووجوهه واختلاف مذاهبه عن ما هو معروف عند العرب فهو يجد أن له حداً يعجز عنده الخلق، لبديع نظمه وعجيب تأليفه.

وهكذا نجد بأن المتحدثين عن الإعجاز حتى القرن الثالث في الصرفة قد ركبوا ثلاثة مراكب كما ذكر صاحب الطراز: **أولاً**: أنهم أرادوا بها " أن الله سلب دواعيهم إلى المعارضة" مع توفر الدواعي"، **ثانياً**: أنهم أرادوا بها "سلب العلوم التي لا بد منها في الإتيان بما يشاكل القرآن ويقاربه"، **ثالثاً**: أن يراد بها " أن الله منعهم بالإلجاء على جهة القسر عن المعارضة، مع كونهم قادرين وسلب قواهم عن ذلك ، فلأجل هذا لم تحصل المعارضة"[٣].

وهكذا نجد أن بيئة القرن الثالث والرابع قد ارتكزت على احتدام الصراع بين العلماء في حياة انتشر بها ظهور الفلسفات، وتطور الفكر، معتمدين فيها على البلاغة والنقد كوسيلة للوصول لقضية الإعجاز.

ظهر بعد هذه الكوكبة من العلماء في القرن الرابع الهجري، عالمٌ سلك طريقاً مغايرة، حيث جعل فكرة الإعجاز نفسها هي منطلقة من هذه القضية، وهو عبد القاهر الجرجاني فهو يقول: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهِجَتْ فلا تزيغَ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها[٤]...

فعبد القاهر الجرجاني يرفض أن يكون الإعجاز في الكلم المفرد بعيداً عن مسألة النظم هذه، كما رفض أن يكون في الفواصل والمقاطع، أو الاستعارة، أو المجاز، فهذه الأبواب يحاول

---

[١] الرماني، (١٩٦٨). النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن، ط٢ تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر ، القاهرة ، ص ٥٧.

[٢] الخطابي،أبو سليمان محمد بن محمد البستي، (٣٨٨هـ). (١٩٥٣). بينا إعجاز القرآن، تحقيق عبد الله الصديق، مطبعة دار التأليف، القاهرة، ص ٦٤.

[٣] العلوي، يحيى بن حمزة، (٧٤٩هـ). (١٩٨٠). الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،م٣، ص ٣٩٢،٣٩١.

[٤] الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص ٦٤.

عبد القاهر في نظريته أن يجعلها من مكونات النظم، فالفروق الدقيقة التي تتجلى في التركيب النحوي هي التي ينص عليها الاهتمام، وهي بالذات قيمة في إبراز القيم الجمالية التي يحتويها النص البليغ فالتقديم والتأخير، والوصل والفصل، والذكر والحذف، والجمل الاسمية والفعلية، والجمل الإنشائية غير الخبرية لها معانيها الخاصة في التصرف في تركيب الجمل، فضلاً عن وحداتها البنائية في إغناء السياق اللغوي، وتحقيق رسالته في الافادة والرضى، فقد " استطاع عبد القاهر الجرجاني أن يدرك بغيته في التوفيق بين الشكل المادي للصياغة، والجانب العقلي للمعنى عن طريق الاستعانة بالنحو التقليدي مع تحويله إلى إمكانات إبداعية، بالنظر إلى الصور النحوية الظاهرة ومسبباتها الدلالية"[١].

لقد تميز عبد القاهر عن غيره بنظريته بطريقته المختلفة في تناول الموضوع فهو على خلاف علماء الأسلوبية، طرح السؤال بطريقة أخرى، ومن خلال مدخل مغاير كان السؤال عنده هو: ما الذي يميز كلاماً من كلام؟ وما الصفة الباهرة التي بدهت العرب في النص القرآني فأحسّوا بالعجز إزاءه برغم فصاحتهم وقدرتهم البيانية؟". ولذا كانت بنائية اللفظ والمعنى من القضايا الجوهرية التي شغلت باله، فالقضية عنده لم تكن معاني في مقابل الألفاظ، أو ألفاظ في مقابل المعاني، لأن مفهوم النظم الذي حدده يحل هذه الثنائية التي تحركت لها الأقلام بالجدل والدراسة التي وجدت ضالتها عند عبد القاهر الجرجاني، الذي تشابه مع تشومسكي كما ذكر محمد عبد المطلب من خلال " المنحى الفكري" ، والحق أن عبد القاهر وتشومسكي قد انطلقا من مستوى التقعيد النحوي، غير أن الثاني رأى الدراسات التي اتصلت بهذا المستوى قد اقتصرت على تجميع قدر كبير من الملاحظات واستخلاص ما يترتب عليها من نتائج دون أن تتجاوز هذه المرحلة الأولية إلى عملية التفسير.ولذا قدم دراسته الكيفية التي انتقلت بالدراسة النحوية من مرحلتها الوصفية إلى المرحلة النظرية التفسيرية. في حين رأى عبد القاهر في التجريدات النحوية وسيلة كيفية يستعان بها على تفتيق الدلالة من اللفظ وصولاً إلى إبراز الغرض العام من التركيب بالوسيلة نفسها أيضاً، بل إن هذه الوسيلة يمكن اتخاذها أداة نقدية لبيان أوجه النقص أو الكمال في الصياغة [٢].

فعبد القاهر بنظرية النظم خلص إلى أن إعجاز القرآن ليس بمعاني الكلمات المفردة، بل باجتماعها، وليس إعجاز القرآن في مراعاة الفواصل والقواطع فهي ليست أصعب من مراعاة الوزن والقافية في الشعر، ويشنع على القائلين بالصرفة وينقض رأيهم لانبهارهم به، فالذي صرف عنهم دواعي المعارضة قادر على أن يصرف عنهم دواعي التأثر، وهو يرى بأن

---

[١] عبد المطلب، محمد، (١٩٨٤).النحويين عبد القاهر وتشومسكي،مجلة "فصول"، العدد(١)،م(٥)،القاهرة، ص٢٨.

[٢] المصدر السابق، ص ٢٧-٣٠.

الإعجاز ليس في الموازنة بين الكلمات حركة وسكوناً في القرآن الكريم، وإلا كان مسيلمة قد قلد القرآن، فالإعجاز في نظره لا يقوم على الأغراض الأدبية، بل على الصور الجميلة الناقلة للمعنى من السذاجة إلى حلية التعبير، وحسن الأداء والغرض.ولذا فهو يسير على غرار القاضي الباقلاني في رفض أن يكون الإعجاز في الاستعارة والبديع لعدم وجودها في كل آيات القرآن، هذا مع عدم إنكاره أمر جرس الحروف وخفتها في فضيلة الكلام، دون أن تكون وحدها سبيلاً إلى الإعجاز الذي أنكره في كتاب الله تعالى كون هذا الكتاب كلام الله، لأن لكل نبي معجزته التي اشتهر بها قومه، الذين عرفوا المقصود من التحدي ولكنهم عجزوا عنه فكانت معجزة النبي بلاغة القرآن التي تدرك لكثرة الاطلاع على كلام العرب وبالذوق والإحساس الروحاني.

جاء بعد عبد القاهر الزمخشري، المتوفى عام خمسمائه وسبعة وثلاثين للهجرة، وهو من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب، والذي لم يتطرق للموضوع من الناحية العلمية، بل جعل القرآن كله آيات معجزة تتطلع من كل حرف وكل كلمة وكل آية من سوره.

وقد رأى القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى المتوفى سنة ست وسبعين وأربعمائة للهجرة في المغرب، إمام أهل الحديث في زمانه، أن الإعجاز بحسن تأليفه، وصور نظمه العجيب، وما أخبر عنه من الأمور للقرون السالفة وللغيبيات.

وقد ذكر ابن عطية أبو محمد بن غالب الغرناطي المتوفى عام اثنين وأربعين وخمسمائة، في مقدمة تفسيره، أن الإعجاز بنظمه وصحة معانية.

فالإعجاز البلاغي لم يكن موضوع جدل عند السلف بل هو أمر ثابت لا مراء فيه، وإنما ظهر الجدل بين الفرق في أي وجه ظهر الأعجاز، وفي إيجاد البواعث أو الوجوه الأخرى معه بقاسم مشترك في تعليل الظاهرة كان نظم القرآن وحسن تأليفه هو السبب المشترك لها جميعاً.

وبهذا شكل منهج القدماء الداعم الأساسي للدراسات التي قامت عليها جهود المحدثين لاسيّما نظرية النظم في الدراسات الأسلوبية الحديثة، بطريقة أدت إلى تجديد النظرة في بلاغة القرآن وأسلوبه مما أغنى وجه الإعجاز البياني ووسع آفاقه، وجدد إمكانياته.

ثانياً: الإعجاز القرآني عند المحدثين:

كان مصطفى ناصف من المحدثين اللذين نقدوا نظرية النظم عند الجرجاني في إغفالها للجوانب الأخرى من التركيب اللغوي، فالاقتصار على فكرة ترابط الكلمات اقتصار على جزء محدود، غير كاف في الكشف عن سر الإعجاز القرآني، فالنص مكون من عدة مستويات للظاهرة اللغوية، الصوت، والصيغ، والدلالة، والعنصر النحوي، الذي يعد مكملاً لجوهر النص القرآني، كمستوى من مستويات البحث، فهو يرى بأن باقي مستويات الظاهرة وفلسفتها اللغوية لم يكن متماسكاً في عقل عبد القاهر فضلاً على من هم دونه"[١].

ولذا ارتكز الدرس اللغوي الحديث على عدة مستويات أساسية: هي المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى النحوي، والمستوى الدلالي، وهي فروع علم اللغة الحديث، وقد أشار عبده الراجحي إلى موضوعات واختصاصات كل منها بقوله:

"أما علم الأصوات فهو يدرس أصوات اللغة من جوانب كثيرة: فإن كان يدرسها، دون النظر على وظائفها وقيمها، فإنهم يطلقون عليه مصطلح Phonetices ، وأما إن كان يدرسها من حيث وظائفها في اللغة فإنهم يطلقون عليه Phonology الذي ترجم إلى علم الأصوات الوظيفي، أو علم الأصوات التنظيمي. وأما الصرف فيدرس الوحدات الصرفية، والصيغ اللغوية، وهو ما يعرف عندهم بمصطلح Morphology والنحو ميدانه " التراكيب" وما يتصل به من خواص، ويطلق بعضهم عليه مصطلح (Syntax) ويسميه آخرون (Grammar). أما علم الدلالة (أو علم المعنى) (Semantics)، فيدرس المعاني ومشكلاتها سواء كان مقصوراً على دراسة معاني الألفاظ المفردة أم دراسة معاني المفردات والجمل والعبارات...، وعلماء اللغة يلتفتون إلى أن هذه المستويات والمسائل ترتبط معا ارتباطاً وثيقاً بحيث لا يجوز الفصل بينهما، لأن كلا منها يعتمد على الآخر في بحثه ونتائجه"[٢].

فإن كان علماء اللغة المحدثون يلتفتون إلى هذه المستويات مجتمعة على صعيد النص، فلا يعني ذلك أن في رأي مصطفى ناصف إشارة إلى إهمال الجرجاني للجانب الصوتي وتهميشه له تهميشاً كلياً بل جاء الصوت عند الجرجاني كما يقول من داخل التراكيب النحوية حيث قال: " واعلم أنا لا نأبى أن تكون مذاقة الحروف وسلامتها، مما يثقل على اللسان داخلاً فيما يوجب الفضيلة وأن تكون مما يؤكد أمر الإعجاز، وإنما الذي ننكره ونُفَيِّل رأي من يذهب إليه إن يجعله معجزاً به وحده ويجعله الأصل و العمدة" [٣].

---

[١] ناصيف، مصطفى، نظرية المعنى في النقد العربي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص٣٠.

[٢] الراجحي، عبده.(١٩٧٤). فقه اللغة في الكتب العربية، بيروت، ص ٢٠، ٢١.

[٣] الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ٤٠١.

فهو لا ينكر قيمة الحروف ولكن ينكر أن تكون وحدها الطريق إلى الإعجاز فضلا عن عدم إنكاره لجمالية الأصوات فهو يقول: "إن اللفظ يكون فصيحاً من أجل مزية تقع في معناه لا من أجل جرسه وصداه" [١].

وإن أكد رغم هذا في جانب من بحثه عدم إعطائه الجانب الصوتي حقه الكامل من الاهتمام قائلاً: " وصفوا اللفظ في ذلك بأوصاف يعلم أنها لا تكون له من حيث هو لفظ كنحو وصفهم له بأنه شريف...، على أشباه ذلك مما يعلم ضرورة انه لا يعنى بمثله الصوت والحرف"[٢].

وربّ ضاره نافعة فإن كان في إهمال الجانب الصوتي عند الجرجاني مكان للنقد، فقد أوجدت في الناحية الأخرى مكانا للمدح لما مكن ذلك الإهمال من مزية اهتمام وعناية بجانب المعنى. إذ أن مفهوم المعنى في دلائل الإعجاز يحتاج إلى مراجعات كثير: المعنى الذي يهتم به الباحثون المتقدمون معنى راكد خال من الهزة والتوتر والاضطراب بين العناصر المتباينة: ونحن في كثير من الأحوال أمام حركة أو ذبذبة أو اضطراب[٣].

ولذا كان العنصر النحوي وحده قاصراً عن استنباط أسرار النص وخفاياه وخاصة النص القرآني، إن لم يكمل بالمكونات اللغوية الأخرى لما في ذلك من تحجيم وتقليص للظاهرة اللغوية.

وقد جاء الناقد محمد مندور مناصراً للجرجاني في نظرية النظم بإشارته إلى أن "مذهب عبد القاهر هو أصح وأحدث ما وصل إليه علم اللغة في أوروبا...، وهو مذهب العالم السويسري الثبت فرتاند دي سوسير" [٤].

وقد أشار عبد القادر حسين، إلى هذا التشابه بينهما حينما قال ومن ثمّ كانت الوحدة الفنية التي لاحظها عبد القاهر هي وحدة الجملة لا وحدة النص"[٥].

في حين نقدها الدكتور إبراهيم أنيس بأسلوب جمع أهم السقطات التي وقعت على نظرية النظم والتي يمكن اختصارها بتأثره **أولاً**: بالبيئة المحيطة به القائمة على الجدل العقلي الفلسفي وعلم المنطق بحكم تأثره بمذهبه الأشعري الأمر الذي جعله يولد عبارات لا نرى لها شاهداً في نصوص اللغة وقد وصل به الحد إلى أن يكون أديباً، **ثانياً**: في إسقاط لغة الأدب على الشعر واللجوء إلى المحسنات اللفظية والمعنوية في صياغته لعبارات نظريته التي لم تجعله، **ثالثاً**:

---

[١] المصدر السابق، ص ٣٢٦.

[٢] نفس المصدر، ٢٠٥.

[٣] مصطفى ناصف. نظرية المبنى في النقد العربي، ص ١٥.

[٤] مندور، محمد. النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، ص ٤٣٤.

[٥] عبد القادر، حسين. (١٩٨٧). البلاغة العربية والبلاغيون، عبد القاهر الجرجاني، ونظرية النظم، "مجلة الفكر العربي"، العدد (٤٦)، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، ص ١٥٢.

يضع حدوداً فاصلة لنوعية وخصوصية كل أسلوب من الأساليب فاختلط الحابل بالنابل عنده في التمييز بين الجمل النثرية، والجمل الشعرية، هذا فضلاً عن إحضاره للشواهد من الكتاب، والسنة، وكلام العرب، فإن ظهر ما يخالف النظم العام بدأ التأويل.[١]

والحقيقة فإننا نجد الجرجاني، كان يملك حسّاً لغوياً أعطاه الله إياه مكنه من الاهتداء إلى الطبع السليم للغة ولما بنيت عليه، مع قصور حظه في الإتيان بالدليل أحيانا في بعض المسائل المطروحة، الأمر الذي أشعر المحدثين بالبحث عن البديل الألسني.

وإزاء هذا الرأي نجد رأي شكري محمد عياد ليقرر مكانة نظرية النظم للجرجاني عند الدراسات الألسنية الحديثة بالتحديد الدراسات الأسلوبية إذ يرى فيها (خطوة أخرى نحو السميولوجية) التي رسم (سوسير) خطوطها الأساسية في مطلع هذا القرن"[٢].

وقد جاء رأي كمال أبو ديب مؤيداً لنظرية عبد القاهر في كونها منبع وجذر الدراسات الأسلوبية الحديثة وهو يقول:"إننا في هذا المجال يمكن أن نضع بصمتنا على الأسلوبية بالانطلاق من عبد القاهر، أي دراسة علاقات النظم بالمعنى، فالجرجاني درس علاقات النظم دراسة مازِلْتُ مقتنعاً بأنني لم أجد ما يضطرني إلى تعديلها – حتى جزئياً- في الدراسات الغربية[٣] ".

وقد جاء رأي سيد قطب متأثراً بدراسة الأدب والنقد الحديث، من اتباع نظرية الجرجاني الذي أدرك من خلال تتبعه لأول ما نزل من السور والآيات بحثاً عن الإعجاز الذي وجده في بيان القرآن ونسقه الساحر، وتصوره المعجز، فخرج بكتاب "**التصوير الفني في القرآن**" وكتاب "**الظلال**" كمثالين على ما أحدثه هذا الأثر فيه، وقد أشار في كتابه الأول إلى أنه لولا قضية " المعاني والألفاظ " ظلت تخايل له من أول الكتاب إلى آخره، فصرفته عن كثير مما كان وشيكاً أن يصل إليه، ولكنه على الرغم من ذلك كان أنفذ حساً من كل من كتبوا في هذا الباب على وجه العموم حتى في العصر الحديث"[٤].

إلا أن نظرية النظم شكلت الرافد للنحو واللغة والمنطق والفلسفة في أدبنا، وتمثل قبس السبق في إخراج الأبحاث القرآنية إلى الاحتكام إلى الذوق السليم القائم على دعائم لغوية مضبوطة متينة كان الزمخشري قد طبقها في تفسيره للقرآن في ذلك العصر في كتابه "**الكشاف**" الذي ملك فيه حسا بيانياً أضفت عليها قدرته التحليلية مكانة رفيعة بين ما أُلف في هذا المجال.

---

[١] أنيس، إبراهيم.(١٩٨٥). من أسرار اللغة، ط٧، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ، ص ٣٠٣-٣٠٤.

[٢] شكري، عياد. (١٩٨٠). المؤثرات الفلسفية والكلامية في النقد العربي والبلاغة العربية، مجلة " الأقلام"، ع (١١)، وزارة الثقافة والإعلام، دار الجاحظ، بغداد، ص ١١.

[٣] كمال أبو ديب، (١٩٨٢). " مجلة فصول"، الأسلوبية، ندوة العدد الأسلوبية، القاهرة، ص ٣٥.

[٤] قطب، سيد. (١٩٨٣). التصوير الفني في القرآن، ط٨، دار الشروق، بيروت.

يقول محمد الذهبي عن تفسير الزمخشري أنه: " تفسير لم يسبق مؤلفه إليه، لما أبان فيه من وجوه الإعجاز في غير آية من القرآن، ولما أظهر فيه من جمال النظم القرآني وبلاغته. وليس كالزمخشري من يستطيع أن يكشف لنا عن جمال القرآن وسحر بلاغته، لما برع فيه من المعرفة بكثير من العلوم.[١]

وإن وصلنا بالإعجاز إلى العصر الحديث، فإننا نجد جهود ومساهمات المحدثين التي كان لمنهج القدماء أثر واضح في الخروج بها.

أخذ التناول لموضوع الإعجاز في كتابات المحدثين مظاهر جديدة لم يكن قد وقف عندها الفريق الأول وقفة تأمل أو دراسة شاملة لتطور البحث اللغوي والبلاغي والأسلوبي في العصر الحديث أغنت إلى نوع ما بلاغة القرآن وأسلوبه.

فمن الكتب التي كان لها حظ التغيير والتجديد في الموضوع كتاب الرافعي "**إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**" الذي وصف فيه القرآن ببيانه وفصاحته قائلا:" ومن أعجب ما رأيناه في إعجاز القرآن الكريم وإحكام نظمه، أنك تحسب ألفاظه هي التي تنقاد لمعانيه، ثم تتعرف ذلك وتتغلغل فيه، فتنتهي إلى أن معانيه منقادة لألفاظه، ثم تحسب العكس، وتعرفه مثبتاً فتصير منه إلى عكس ما حسبت، ما إن تزال متردداً على منازعة الجهتين كلتيهما، حتى ترده إلى الله الذي خلق في العرب فطرة اللغة ، ثم أخرج من هذه اللغة ما أعجز تلك الفطرة" [٢].

وقد أشار الرافعي إلى وجود الإعجاز في كتاب الله في كتابه "**البلاغة**"، بحصرها في ثلاث جهات: هي الحروف، والكلمات، والجمل. فهو يبرز الجانب الصوتي من خلال حديثه عن القيمة التعبيرية للحروف، " وحسبك بهذا اعتباراً في إعجاز النظم الموسيقي في القرآن، وأنه مما لا يتعلق به أحد، ولا ينفق على ذلك الوجه الذي هو فيه إلا فيه، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذلك لبعض مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدة والرخاوة، والتفخيم والترقيق...." [٣].

ويبرز دور الكلمة بقوله: "إنما هي صوت النفس، لأنها تلبس قطعة من المعنى فتختص به على وجه المناسبة قد لحظته النفس فيها من أصل الوضع حين فصلت الكلمة عن هذا التركيب"[٤]. في حين قال عن الجملة هي: "مظهر الكلام، وهي الصورة النفسية للتأليف

---

[١] الذهبي، محمد حسن.(١٩٨٨).التفسير والمفسرون، ط٤،ج١، مكتبة وهبة، ص ٤٠٧.

[٢] الرافعي، مصطفى صادق.(١٩٧٤).تاريخ آداب العرب، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٢، ص ٤٨.

[٣] الرافعي،مصطفى صادق.(١٩٧٣).إعجاز القرآن والبلاغة النبوية،ط٨،دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،ص٢٠٣.

[٤] الرافعي، المصدر السابق، ص ٢١٥.

الطبيعي، إذ يحيل بها الإنسان هذه المادة المخلوقة في الطبيعة، إلى معان تصورها في نفسه، أو تصفها"[١].

إلا أن هذا لا يعد كافياً للقول بحقيقة الإعجاز، فكلام البشر يشتمل على ما قاله في الحرف والكلمة و الجملة، هذا فضلاً على اشتماله على مبادىء العلوم والمخترعات العلمية.

ومن المحاولات التي جاءت زمنيا بعد الرافعي محاولة سيد قطب في تفسيره في "**ظلال القرآن**" , "**والتصوير الفني في القرآن**" اللذين ذكرا في موقف العلماء من نظرية الجرجاني، وكتاب "**مشاهد القيامة في القرآن**" والذي انتهى فيها إلى الغاية من فهم النظم القرآني من خلال ترجمته لمفهومنا الحديث لإعجاز القرآن في مجال البحث الأسلوبي، لما يساعد ذلك على تجديد النظرة للجمال الفني في كتاب الله تعالى من غير تصريح بذلك بل بالإيماء لقارئه من خلال تحليله لكلام الله فيها.

إن نظرية سيد قطب رغم ذلك ظلت حبيسة التصوير والتعبير، دون أن تخرج على الصعيد العملي في بيان القيم التعبيرية للحرف مثلا أو إبراز نظام المقطع اللغوي على مستوى الإيقاع القرآني والتحليل الصوتي، ولم يعرض للبعد التركيبي أو الصرفي للنسج القرآني وهذا لا يكفي في بيان إعجاز القرآن فلا بد من الاهتمام بالبنية الداخلية والخارجية اللغوية للوصول من خلال تداخل المستويات التعبيرية المختلفة للبنية المتكاملة لتشكيل الظاهرة الفنية للقرآن الكريم وإن تناولت المستوى الدلالي وخاصة ما يتعلق بالصور.

فمن هذه الدراسات الأسلوبية الحديثة دراسة محمود أحمد نحلة في كتابه "**لغة القرآن الكريم في جزء عم**"، وعفت الشرقاوي في كتابه "**بلاغة العطف في القرآن - دراسة أسلوبية**"، وعبد السلام مسدي هارون ومحمد الهادي الطرابلسي في كتابهما "**الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية** "، وتفسير الطاهر بين عاشور "**التحرير والتنوير**" ونصر حامد أبو زيد، "**مفهوم النص دراسة في علوم القرآن**".

ولقد شكل كتاب محمود أحمد نحلة بالمنهج الإحصائي الذي اعتمد عليه وهو من الوسائل الأسلوبية الحديثة التي تعد من صميم البحوث الأسلوبية روح التحليل الأسلوبي الذي لم يكتمل شكله بالكامل لعدم تقيده بمبدأ تتابع المستويات الخاصة بالدرس الأسلوبي، فالدراسة تنطلق من الشكل الدلالي وبالتحديد البنية المعجمية الذي كان ينقص دلالتها دراسة الصور كأساس مكمل للنص في تمثل البناء العام المشكل له.

---

[١] نفس المصدر، ص ٢٣٦.

ذلك أن من أسمى الأهداف التي تسعى الأسلوبية الحديثة على -اختلاف مدارسها- إلى تحقيقها هي إدراك الأبعاد المتعددة للظاهرة اللغوية وكيفية تداخلها في سياق تعبيري واحد لم يتمحور شكله المتكامل عند محمود أحمد نحلة.

لقد تناول عفت الشرقاوي في كتابه المذكور، جزئية العطف من المستوى التركيبي من منطلق أسلوبي لبيان وجه الإعجاز في القرآن الكريم، بعد استعراض لآراء القدماء، فهو استخدم جزئية ضمت النظام الأسلوبي العام.

أما كتاب "**الشرط في القرآن**" المسدي والطرابلسي، المميز والذي نجد فيه توظيفاً للنظريات الألسنية الحديثة انطلاقا من المنهج الوصفي في تحليل الظاهرة اللغوية لبيان وجه الإعجاز القرآني مع استخدام للمنهج الإحصائي بقي ككتاب عفت الشرقاوي في قصوره عن الإحاطة الشاملة للظاهرة اللغوية القرآنية.

وقد شكلت هذه الكتب الأسلوبية مفاتيحَ الباحث لمعرفة الأسس والطرق السليمة في تتبع الدراسة الأسلوبية، من غير أن تشكل بحد ذاتها عمل علمي متكامل يمكن في ضوئه بلورة نظرية شاملة في الإعجاز القرآني.

وقد سجل تفسير العلامة الطاهر بن عاشور "**التحرير والتنوير**" اكتشافا لأسلوب القرآن وبلاغته ضمن كتب التفسير وبحوثه الأسلوبية، وقد كنا قد اتكأنا عليه في تتبع الظاهرة اللغوية (لما استفدنا منه عظم الاستفادة) بعد أن استهل كلامه في بداية تفسيره في بيان أسباب عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن، وفي تفصيل وجوه الإعجاز التي أرجعها إلى أولاً: بلوغ القرآن الغاية القصوى، مما يمكن بلوغه من حصول كيفيات في نظمه، ونكتاً من أغراض الخاصة من بلغاء العرب بحيث يكثر فيه كثرة لا يدانيها شيء من كلام البلغاء شعراً وخطابة وثانياً: إبداع القرآن لأفانين التصرف في نظم الكلام مما لم يوجد عند العرب، وثالثاً: مما أودعه الله فيه من المعاني الحكيمة والحقائق العقلية مما لم تبلغ إليه عقول البشر مثل الباقلاني.

فهو في تفسيره يسعى إلى الجمع بين مستويات التعبير اللغوي والإلمام بها في دراسة النص القرآني محاولاً إبراز لطائفها البلاغية ومقاصدها الأسلوبية وإن بقي هذا العمل ينقصه المنهج الإحصائي بالإضافة إلى عدم تتبع المعنى المعجمي للكلمات، وبتره للجانب الصوتي من الدراسة، بما لا يكمل المنهج لتأدية وظيفته في الكشف عن الخصائص النوعية للنص.

لقد استندت دراسة حامد أبي زيد في كتابه "**مفهوم النص**" دراسة في علوم القرآن على المفاهيم اللسانية والأسلوبية كمطية لها لتأصيل نظرية متكاملة في علم التفسير ضمن التصور النظري تقوم على دراسة استكشافية في التراث العربي الإسلامي مشكلة وعياً لغوياً متكاملاً لما وصلت إليه العقلية العربية في دراسة النص القرآني أسلوبيا عند الباحث.

لقد جاء التطبيق الأسلوبي على الدراسة لغرض تدعيم النظرية بآيات قليلة كون أن الدراسة وضعت لتأصيل نظرية وليدة ناقشت منهج القدماء في تناول النص القرآني من خلال اعتمادهم على المذاهب الكلامية، ونظرية التأويل ومشكلة تفسير النص، وخلصت إلى الخروج بنظرية تجدد مفهوم النص ترى في الانطلاق من التراث للبحث عن مفهوم النص بحثاً في حقيقة الإعجاز.

وقد جاء كتاب " **الدراسات الأسلوبية العربية بين النظرية والتطبيق**" لعثمان مصطفى الجبر الصادرة عام ٢٠٠٧ متطوراً تطوراً ملموساً بخطى عملاقة في الدرس الأسلوبي مقارنة مع الكتب السابقة فثراء النص وتنوع الدلالات يفرض على الباحث مقاربته بطرق متجددة واستدعاها الباحث لإدراك وتميز أسلوب معين وتباينه عن غيره من الأساليب، وقد تحدّث الباحث في أربعة فصول عن الأسلوبية والأسلوب شارحةً نشأتها، وميدانها، ومفهومها، وأنواعها، ومناهج دراستها في الفصل الأول، وموظفا المنهج النظري في الفصول الأخرى مطبقا على أكثر من نص كموضوع للدراسة، عارضا لآراء من كتب وألّف فيها مع إشارته للمدارس المتولدة منها.

وإن كانت هذه الدراسة قد قدمت لنا إشارات وتنبيهات لبعض الموضوعات في منهاج البحث إلا أنها كانت مُطبقة على نصوص شعرية ونثرية من غير صلب الدراسة القرآنية ذلك أن لكل بحث خاصيته ونوعيته، هذا فضلاً على عدم احتفائها بما قدم من تطبيق بالجانب الصوتي الذي يشكل المستوى الأول في الدراسات الأسلوبية.

ولذا جاءت دراستنا على النص القرآني المتمثل بسورة الصافات من النظرة الجامعة بالشعور بعدم جدوى الالتفات للعبارة وحدها كما هو عند القدماء، بل البحث المستفيض عن إمكانيات النص، وما يشمل عليه قيم إنسانية ولغوية تتخطى ما وقف عنده الآخرون.

إن التعامل مع النص القرآني، يفرض علينا متابعته بالجديد لثرائه وتنوع دلالاته، وتباينه عن غيره من النصوص الأخرى، وهذا التعامل يجعل منفذنا الوحيد في استنطاق جماله هو الانطلاق من بلاغته، في ضوء الدراسات القديمة والحديثة.

ولذا ستكون البداية في التعامل مع النص القرآني من خلال نظرية عبد القادر الجرجاني، ومزاوجتها بالدراسات الحديثة، أملا في توسيع آفاق البحث في الإعجاز البياني للقرآن انطلاقاً من تطوير أدوات النظم البلاغي عند القدماء.

وعمدتنا في استكناه سورة الصافات من خلال الرؤية التحليلية تقوم على المنهج الأسلوبي الحديث الذي يرتكز على المستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي، مع معاينة نظام النص العام متخذة من جهود كلا الطرفين القديم والحديث مُعيناً لنا في ذلك، وثغرة في الولوج لعمق الجمال الفني التعبيري للسورة الكريمة وفي ضوء سماتها الأسلوبية مع

مراوحتنا في عمق الدراسة بين النظرية القديمة والحديثة لإثبات فاعلية التطور والتجدد لما أُدّعيَ عليه بالجمود والركود ليعود بإذن الله حيا متحركاً.

إن رؤيتنا التحليلية هذه تشير إلى التعامل الخاص مع الظاهرة اللغوية في النص لخصوصية النص المدروس ولخصوصية السورة الكريمة.

ثالثاً: التعريف بسورة الصافات:

تعد سورة الصافات من ضمن السور المكية بكامل آياتها المئة واثنتين وثمانين آية، وقد نزلت بعد سورة الأنعام أي في الفترة الأخيرة من حياة المسلمين بمكة، وبعد سورة الإسراء وقبل الهجرة إلى المدينة.

وقد سميت بهذا الاسم لابتدائها بالقسم بالصافات، المراد بها الملائكة، وقد تميزت بقصر آياتها، وسرعة إيقاعها، وكثرة المشاهد والمواقف، وتنوع الصور والمؤثرات فيها، مما جعل سياقها غنياً باللفتات الأسلوبية والمقاصد الدلالية.

وتستهدف السورة لبناء العقيدة في النفوس وتخليصها من شوائب الشرك تمشياً مع الغرض العام للسور المكية على وجه العموم، ولكنها تتميز هنا في موضوعها بوقوفها طويلاً أما صورة معينة من صور الشرك للكشف عن زيفها وبطلانها، تلك الصورة التي كانت جاهلية العرب تستسيغها بزعمهم أن هناك قرابة بين الله والجن ومنه ولدت الملائكة ثم تزعم أن الملائكة إناثٌ، وأنهم بنات الله.

لقد جاءت السورة مشحونة بشحنة قوية للتصدي لهذه التفاهة، يحس بها القارىء مع بداية القراءة بالقسم بهذه المخلوقات بزلزلة عنيفة في الإيقاع تقع على مسامع المتلقي ويثقل بها نطق المتكلم يتلوها حديث عن الشياطين استغرق الوصف به مع مشاهد الآخرة من الآية الأولى إلى الآية رقم سبعين، انتقل بعدها السياق للتعرض لقصص الأنبياء من الآية إحدى وسبعين إلى مئة وثمانية وأربعين في لمحات سريعة في آيات قصيرة تحوي عبر القصة مع إيراد الظواهر المؤثرة في هذه القصص. حتى وصل السياق إلى دلالة المركزية للسورة الكريمة في تعرضها لأسطورة تعقبها الحقيقة تناولتها على طول الآيات الممتدة من الآية مئة وتسع وأربعين إلى نهاية السورة بفاصلة مئة واثنتين وثمانين. حيث تم تنفيذها بالأساليب البلاغية المفحِمة في مقام المناظرة وفي تقديم الأدلة الحاسمة مع الأطراف المشركة وختمت بإقرار العزة لله والسلام على رسله.

تحلل سياق السورة الكريمة أغراضا قصدت السورة إلى تأكيدها تمثلت في إبطال الشرك المتماثل من الآية رقم واحد للآية رقم عشرة، ثم أخذ المشركين بالترهيب والترغيب في

الآيات من رقم إحدى عشرة إلى مئة وثمانٍ وأربعين إلى أن وصل بتسلسلها هذا لغرض إبطال بنوة الملائكة والجن في الآيات مئة وتسع وأربعين إلى نهايتها.

ولعل ترتيب سورة الصافات بعد سورة ياسين يعود لبيان مجمل بمفصّل (والله أعلم) أي لتفصيل أوضاع الأمم المتحدث عنها والمشار إلى هلاكها، فالحديث العام في سورة يس استدع حديثاً مفصلاً.

استندت لغة التنزيل في سورة الصافات على معاني بلاغية، ومراوحة بيانية بين الأساليب المتنوعة، احتوت على مكنونات تجسدت في كلمات معجمية حوت عدولاً أسلوبياً كاملاً عن المعاني المتعارف عليها ورمزت لأبعاد تجاوزت المعنى الأول لبنية الكلمة الدلالية، وخلقت لكل سؤال جواب في السورة.

ومنفذنا في دراسة السورة بناء عليه سيحاول أن يستثمر اعتماداً على فكرة المزاوجة بين الدراسات، فكرة النظم عند الجرجاني وما أسس له علماء العربية من أغراض ومقاصد بلاغية يتم خلالها تناول مسألة الإعجاز في ضوء الأسلوبية الحديثة، في اجتهاد لتوسيع إطار الدرس البياني في الإعجاز القرآني بتحديث أدوات التفكير البلاغي العتيق.

الفصل الأول

المستوى الصوتي

أولاً: التمهيد:

الصوت هو الوسيلة الطبيعية التي تنقل من خلالها اللغات الطبيعية، واللغة خلق إنساني ونتاج للروح وهي اتصال ونظام رموز تحمل الأفكار يسهم الفرد والجماعة في أعطاءها قيمة تعبيرية متجددة يكون التواصل الصوتي فيها هو الوسط الناقل لهذه الرسائل الشفوية والموجه لباقي المستويات اللغوية.

فالمنظومة الإجتماعية لكل اتصال بشري لغوي يحمل هذه العناصر الناقل، المتكلم (الهواء الحامل للصوتيات المرسلة إلى الأذن أو الكتابة المسجلة لها) والرسالة (المحتوى)، اللغة ثم المستقبل، والتي ما تكونت لديه إلاّ من خلال اشارة للصوت اللغوي.

ومن هنا ظهر علم الصوتيات الذي أطلق على كل الميادين المتفرعة من الدرس الصوتي مثل فسيولوجيا الكلام، فيزياء الكلام، إدراك الكلام، تدريس أصوات اللغات والفونولوجيا وغيرها.

في حين عني علم الأصوات العام بكل أبعاد اصوات الكلام التي يمكن أن يصدرها البشر ويدرسها من عدة نواح ستكون منفذنا في الدراسة الصوتية للوصول إلى جانبها التركيبي للكشف عن الإنسجام الصوتي وأهمها:

١- الناحية النطقية حيث تعتمد على الجوانب التشريحية والفسيولوجية للكلام (وصف مادي للأصوات من حيث مخرج، صفة، تواتر، تكاثف...)

٢- الناحية الفيزيائية حيث تعتمد على الجوانب الاكوستيكية التي تدرس إنتقال أصوات الكلام على هيئة موجات صوتية عبر الهواء المحيط بالمتكلم.

٣- الناحية السمعية، تعتمد على الجوانب الفسيولوجية والسيكولوجية في استقبال وفهم الكلام لابراز القيمة الدلالية للأصوات.

"فالكلام الإنساني هو سلسلة صوتية متصل بعضها ببعض اتصالاً وثيقاً حيث تشكل كل مجموعة كلامية سلسلة من الاصوات المتداخلة يعانق بعضها بعضاً في شكل انزلاقي لا يمكن الفصل بينهما، إلا إذا أردنا التحليل اللغوي"[١].

وهذا مبتغانا فالتحليل اللغوي لا بد أن يحوي مفردات جامعة ونصوصاً رصينة والنص القرآني جاء محققاً لهاتين الخاصيتين اللتين تتكونان من فونيمات أولية تنقسم إلى صوامت وصوائت تمثل نقطة الإرتكاز في الصوتيات الأولية فالجمل ليست تتابعات صوتية منفصلة الأمر الذي دفع علماء الاصوات إلى تقسيم الاصوات الصوامت حسب النطق بها إلى سبعة أصناف هي الوقفات والمركبات والجانبيات والمكررات والانفيات والإحتكاكيات ثم أشباه الحركات.

---

[١] اليافي، نعيم، (١٩٨٥). حروف القرآن دراسة دلالية في علمي الاصوات والنغمات، مجلة "الفيصل"، ع(١٠٢) المملكة العربية السعودية، ص ١٠٣.

تقابل الوقفيات ما كان يعرف عند الاقدمين من علماء العربية بالحروف الشديدة تتوزع على خمسة مخارج الهمزة وتعرف بالوقفة الحنجرية والقاف والكاف، أما الأسنانية اللثوية فتشمل الضاد والظاء والذال والثاء أما حرف الباء فهو شفهي مجهور.

أما المركبات ففي العربية صوت واحد هو الجيم أما الاصوات الجانبية فتشمل اللام المرققة والمفخمة أما المكررات فتشمل الراء. والانفيات فتشمل الميم والنون والاحتكاكيات تشمل الهاء والحاء والعين والخاء والشين والسين والزاي والصاد.أما الثاء فتنطق بوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا ونحو ذلك تنطق الذال والظاء والفاء بمثلث بين الاسنان، وفي العربية حرفان هما الياء والواو وهما أشباه الحركات.

في حين ان الحركات قسمت إلى ثماني حركات معيارية توحي أولية النظرة الاولى بوجود ثلاث حركات هي فتحة وضمة وكسرة إلا أنه نتيجة تعاقب الحركات على حروف العلة (الألف والواو والياء) قبلها وبعدها وكذلك وجود الشدة على حرف العلة ظهر عدد أكبر، فالكسرة قبل الواو المفتوحة (مثل سِوى) هي غير الكسرة قبل الياء المفتوحة مثل عليَا كما أن الياء والواو حرفان صامتان وهما حركات في الوقت نفسه أما الهمزة فهي حرف صامت بينما الألف هو حركة فقط. وهناك ملامح صوتية إضافية تؤثر في الأصوات الكلامية مثل النبر الذي يعبر عن التوكيد أو الانفعال والنغمة والتنغيم الذي يضيف اللحن على الكلام ويميز بين صيغة وأخرى فضلاً عن الطول والكمية والسكتات الخفية بين الكلمات أو مقاطع الكلمة المعينة.

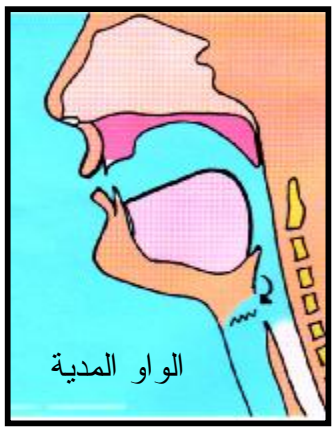

ومن هذه الفونيمات (الصوت المفرد)، سيكون إنطلاقنا في استكشاف الطاقة الدلالية والتعبيرية الصوتية للسورة الكريمة من خلال هذه الثنائيات المتقابلة من الاصوات وتعدد الصوائت وتنوعها للدخول في عمق التنظيمات الإيقاعية المكونة للنص من خلال الإحصاء الكمي التحليل الأسلوبي القائم على مبدأ المؤالفة المخالفة المولدة لقيم خلافية تبرز الاختلاف الدلالي والمعنوي. فدراسة أصوات الكلام لا تقتصر على ملاحظة المخارج والصفات وتسجيلها فحسب فهي مقدمة لدراسة اللغة ولكنها ليست من صلب دراسة اللغة أو بعبارة أخرى هي دراسة

للكلام وليست دراسة للغة، ذلك بأن هذه الملاحظات والتسجيلات لا تتصل باللغة إلا حين يتم تنظيمها والربط بينها في نظام صوتي كامل تعرف فيه علامات المخارج وعلاقات الصفات ايجاباً وسلباً وتعرف الظواهر الموقعية التي يتطلبها رصد هذه الاصوات المدروسة في السياق"[١] .

الصوت المجهور	عدد تواردة	الصوت المهموس	عدد تواردة
ب	١٥٥	ت	١٠٤
ج	٤٥	ث	١٢
د	٥٩	ح	٥٦
ذ	٥٧	خ	٢٤
ر	١٢٧	س	٧٢
ز	٢٣	ش	١٩
ض	١٤	ص	٣٤
ظ	١٦	ط	٢١
ع	١١١	ف	١١٢
غ	١٢	ق	٨٠
ل	٤٤٣	ك	٩٨
م	٣١٦	هـ	١٨٣
ن	٤٣٣		

[١] حسان، تمام. اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ص٣٣.

الأصوات الإنفجارية	عدد تواردة	الإصوات الإحتكاكية	عدد تواردة
ء الهمزة	٢١٣	ف	١١٢
ق	٨٠	ث	١٢
ك	٩٨	ذ	٥٧
ج	٤٥	ظ	١٦
ط	٢١	س	٧٢
د	٥٩	ز	٢٣
ت	١٠٤	ص	٣٤
ب	١٥٥	ش	١٩
ض	١٤	خ	٢٤
		غ	١٢
		ح	٥٦
		ع	١١١
		هـ	١٨٣

الأصوات المركبة	الحرف	عدد تواردة
	ج	٤٥

فهذه التشكيلات الصوتية التي حوتها سورة الصافات أبرزت طبيعة النظام الصوتي الحاوي لها متمثلاً بما يلي:

١- مقدار التنوع في الأصوات التي احتوت عليها السورة الكريمة بشكل ثنائي إضافة على تنوع صوائتها الذي كان استجابة لتنوع ايقاعي وتلون موسيقي في السورة خلقه تداخل الحروف وتلاحقها وتتابعها قائمة بذلك على مبدأ المخالفة الذي خلق بدوره انسجاماً وتناسقاً بينها انعكس على النغمة الموسيقية للكلمة في السورة.

٢- تفاوت النسب بين تواتر الأصوات حسب الاغراض:

أ- فقد بلغ عدد الأصوات المجهورة ١١٨١ صوتاً على الأصوات المهموسة ٨١٨ صوتاً وهي كمية صوتية تستدعي النظر بحكم مقام المحاججة والمراددة بين الطائفتين الذي يستدعي الجهر بالصوت لاعلاء الحق واقامة الحجة على الظالمين. فالسورة تكاد تكون مبينة على المحاورة في مقام السؤال والجواب بين المؤمنين والكافرين، وهو مقام الصدام والمواجهة ليس فقط بين الاطراف (المؤمن والكافر)، بل بين الموضوع ذاته في إثبات عقيدة التوحيد ونفيها، الأمر الذي استدعى خروج الصوت مدوياً ليكون لكل كلام أصواته اللغوية وليكون لكل صوت عنصره الموسيقي الملائم ورنينه الخاص المناسب فمقام التصادم استدعى الشدة ومقام المقارعة استدعى الجهر.

ب- بلغت الاصوات الانفجارية في النص المدروس ٧٨٩ صوتاً على الأصوات الإحتكاكية لتوازي مقام المقارعة والتصادم حيث جاءت مدعمةً للأصوات المجهورة في عالم الصراع الذي يستوجب انفجاراً في عبارات الرد لافحام الخصم وإسكاته، حيث تطلب السياق هذا الاستدعاء لنوعية المادة الصوتية.

٣- بروز أصوات من التشكيلات الصوتية على الأخرى فقد برزت الهمزة على الاصوات الانفجارية بتواتر بلغ ٢١٣ مرة، من حيث كانت الهاء هي البارزة على الاصوات الإحتكاكية بعدد (١٨٣) مرة لأغراض دلالية في السورة .

ولعلّ في طغيان أصوات على اصوات ما يشير إلى تشكل هذه الأصوات بمئات الاعوام على الأصوات الأخرى فصوت الهمزة الذي يكاد يكون هو البارز دائماً في الأصوات الانفجارية يعود بروزه إلى تشكله في فجر الإنسانية الأول قبل غيره من الأصوات فربما كان لهذا البروز بعد تاريخي تدريجي في ظهور الأصوات واحدة تلو الأخرى، مما يحتاج لبحث عميق ليس من صلب هذه الدراسة والله أعلم.

٤- حضور الأصوات اللينة بنسب عالية على غيرها من الأصوات لجانبها الموسيقي ووضوحها السمعي، "إذ أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفس وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنوع الصوت بما يخرجه فيه مداً أو غنه أو ليناً أو شدة " [١].

---

[١] الرافعي، مصطفى صادق، (١٩٧٣). إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ط٨، بيروت، لبنان، ص٢١٥-٢١٦ .

٥- مقابلة الأضداد بين الاصوات فالانفجارية تقابل الاحتكاكية والمجهور تقابل المهموس مما احدث اختلافا دلالياً ومعنوياً قام على الجانب المحسوس من الحدث اللغوي والخلفية الدلالية للجانب التجريدي المحض في النص اللغوي الذي بدوره كشف عن نفسه كملمح أسلوبي امام المحلل اللغوي.

٦- جاء النص القرآني بآياته المكية القصار الموجه عادة للوعد والوعيد والترغيب كثيرة الحظ من الصناعة الصوتية والإيقاعية، وقد وجهت حسب الأغراض للآيات وكثرة من الصناعة الصوتية والإيقاعية أثار معارضي الدعوة في بدايتها حيث نعتوا الرسول صلى الله عليه وسلم بالشاعر.

ثانياً: نسق الأصوات وانتظامها:

تنطلق دراستنا في هذا المبحث، من قضية الرمزية الصوتية باعتبارها مؤشراً قوياً على وجود ظاهرة تعبيرية الأصوات، بحكم اتصالها الوثيق بمتن هذه الدراسة التي تتناول جانباً مهماً ألا وهو: دراسة الأصوات بصورتها المفردة وما ينتج عنها من وظائف إيقاعية ووظائف دلالية تتعلق بمحاكاة الصوت للمعنى في ما اصطلح عليه علماء اللغة بالقيمة التعبيرية للحرف .

إن هذه القضية ظلت شائكة عند الباحثين الذي لم يضعوا (كما يقول محمد مفتاح) "بعد شروطاً كافية لحصرها وضبطها"[١] فمناسبة حروف العربية لمعانيها تلقتها الجماعة بالدراسة والقبول والاعتراف بصحتها فهؤلاء العلماء أمثال: سيبويه، والخليل، وأبي علي الفارسي، وابن جني، أثقفهم فيها وأرسخهم علماً و أوسعهم مقاما في هذه الظاهرة، - كانوا قد عرفوا أن لكل حرف صفة ومخرجا مثلما عرفوا له إيحاءه دلالة ومعنى - إذ لم يعنيهم من كل حرف أنه صوت وإنما عناهم من صوت هذا الحرف أنه معبر عن غرض وأن الكلمة العربية مركبة من هذه المادة الصوتية التي يمكن حل أجزائها إلى مجموعة من الأحرف الدوال المعبرة، فكل حرف منها يستقل ببيان معنى خاص ما دام يستقل بأحداث صوت وكل حرف له ظل وإشعاع ، إذا كان لكل حرف صدى وإيقاع"[٢] .

وبناء على هذا فقد أصلوا بأن معنى اللفظة مستفاض عن صورتها الصوتية وأسندوا إلى أصوات الحروف بعض الإيحاءات اللمسية والبصرية والصوتية وإيحاءات بمشاعر إنسانية كما هو مثلا عند (ابن جني، وأحمد فارس الشدياق، وعبد الحق فاضل، والعلايلي، والارسوزي)[٣]، وبها كان الحدس والأثر هما الموجهان لهذه الآراء التي لم تسلم من التناقض أحياناً عند الباحثين فيها فابن جني مثلا لجأ إلى استخلاص معاني الحروف العربية من معاني الألفاظ ولقد استهدى في ذلك بقاعدته الذكية (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) أي تقارب الأصوات لتقارب معانيها.

---

[١] مفتاح، محمد. (١٩٨٥). تحليل الخطاب الشعري، دار التنوير، ص ٣٦.

[٢] الصالح، صبحي. (١٩٦٢). دراسات في فقه اللغة، ط٢، منشورات المكتبة الأهلية، بيروت، ، ص ١٤٨.
للاستزادة في هذا الموضوع ينظر:ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي.(٣٩٢هـ). الخصائص، ط٤، ج١، ج٢، (تحقيق محمد علي النجار)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص٤٠ – ٤٨/ ١٤٧ - ١٧٠.
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضري. (٨٤٩-٩١١هـ)، (١٩٨٥). المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ط٤، ج١، (تحقيق محمود أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل)، دار إحياء الكتب العربية عيسى باب الحلبي، ص٢٥ وما بعدها. مبارك، محمد. (١٩٧٢). فقه اللغة وخصائص العربية، ط٥، دار الفكر، بيروت.
العقاد، عباس محمود. أشتات مجتمعات في اللغة الأدب. ط٣، دار المعارف مصر،ص ٤٨ – ٤٩.

[٣]حسن عباس، (١٩٩٧). فطرية العربية على موائد علمائها، مجلة "المعرفة السورية"،م(٣٦)،ع(٤٠٧)،ص ٢٩.

كما استهدى بقاعدته الأذكى (سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود و الغرض المراد)[١] إلا انه لم ينج مع هاتين القاعدتين المستحدثتين من التناقض في معرض الكشف عن خصائص الحرف الواحد فمثلاً يقول: القاف فيها صلابة والخاء رخاوة.ثم يعود ويقول: الحاء فيها رقة والخاء فيها غلظة فقيل للماء نضح بمعنى رشح ونضخ للماء الغزير اشتد فورته في ينبوعه[٢] فكيف تجمع خاصيتا الرخاوة والغلظة وهما متناقضتان في آن واحد؟!. والعلايلي في كتابه تهذيب المقدمة اللغوية يقرر أن اللام معناه الملاصقة والمساس وذلك بمعرض تحليله لمعنى لفظة الجبل[٣] .ثم يعود فيقرر في جدول معاني حروفه أن اللام تدل على الانطباع بالشيء بعد تكلفه[٤] في حين أن الأرسوزي اعتمد قاعدة صدى الأصوات في الوجدان لاستيحاء معاني الحروف مقتصراً على تحديد خصائص أحد عشر حرفاً فقط من حروف العربية... إلخ.

بعدها تحولت قوة هذه القضية مع الزمن إلى فعل صار البسيط فيها معقداً فلم يعد الحرف كما يقول عمران القيسى" ظاهرة هامشية بل هو إحدى أهم الظواهر الحضارية وقد رافق تطوره الجمالي تطور حضارة أمة بأكملها، ومثلما دخل الحرف ضمير الأمة الديني نراه يدخل مباشرة جمالية حياتها وذوقها فلقد أدى الحرف المخطوط بالكوفي وظائف جمالية زخرفية فذة ضمن أشكاله المورقة والمشجرة والظفرة والمربعة استطاع أن يخترع الفنان أشكالا هندسية متنامية الأبعاد وبالغة الدقة"[٥].

ومن دلالة الحرف ومرونته وجماله وربما من عناصر أخرى ينطلق البعد الإيحائي الرمزي للحروف فالمتصوفة يعتقدون " أن للحروف قيمة رمزية يؤدي اكتشافها إلى استجلاء جملة من الحقائق الأخرى كالأمور المستقبلية أو حل الرموز المستعصية كحروف أوائل السور"[٦].

إن هذه الفضاء السمعي والبصري للحروف ساهم في تقوية تعبيرية الأصوات ورمزيتها الأمر الذي أدى إلى امتدادها للعصر الحديث عند كثير من النقاد و الشعراء الذين مالوا إلى إعطاء دلالات رمزية للأصوات والحروف أمثال موريس كرامون واندري سبيّر وهنري موري وغيرهم. فمشيل كويتي يجمل هذا النزوع الرمزي في ثلاث نظريات[٧] تقر بوجود علاقة تربط

---

[١] ابن جني، الخصائص، ج٢، ص ١٦٣.

[٢] المصدر السابق، ج١، ص ٥٥.

[٣] العلايلي، أسعد أحمد علي، تهذيب المقدمة اللغوية، ط٣،دار السؤال للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٨٥،ص٤٧.

[٤] المصدر السابق، ص ٦٤.

[٥] عمران القيسي،(١٩٨٠)،الحروف العربية من التصوف إلى التشكيل،مجلة الفكر العربي،ع(١٥): ص١٨٤- ١٨٥.

[٦] عمران القيسي، المصدر السابق، ص ١٧٣.

[٧] العمري، محمد. (١٩٩٠)، تحليل الخطاب الشعري– البنية الصوتية في الشعر-، الدار العلمية للكتاب، ص٢٢٣.

الحروف بمعاني كلماتها واضعة بذلك اعتباطية دي سوسير موضع التعريف الذي يجب أن لا يؤخذ على إطلاقه.

وربما كان لغياب الأدلة العلمية (كالنقوش) مثلا في تحديد بدايات الأصوات وكيفيتها، وقلة الدراسات الموثقة حول نشأتها وافتقار هذه الدراسات إلى المنهج العلمي في الدراسة والبحث مساهمة فعالة في فسح المجال أمام الدارسين لإعطاء الأصوات دلالات رمزية فوق طاقتها معتمدين في ذلك على اجتهادات شخصية وشروط حدسية كان للافتراض والتخمين الخط الأكبر في خروجها. غير أن هناك شرطا ضرورياً للدكتور محمد مفتاح نكاد نطمئن إليه ولكنه كما يقول غير كاف ألا وهو " تراكم أصوات معينة أكثر من غيرها في البيت أو في المقطوعة أو في القصيدة " [١] ولا بد لهذا التراكم من مؤشرات مواكبة وسياق ملائم عام وخاص.

فالتراكم الذي يكون كثافة ملحوظة هو تراكم نوع معين فوق المعيار الطبيعي لوجوده في الخطاب أو تراكم عدة أنوع من التوازن الصائتي والصامتي يرصف بعضها فوق بعض لتحقيق مستوى ملحوظ من الكثافة متميز عن المعيار العام في الخطاب التواصلي العادي " فبروز تنظيم للفونيمات لا يدين لتنظيم عناصره إلا بالقليل ويدين بالكثير لطبيعتها وكثافتها ومواقعها"[٢] .

هذا بالإضافة إلى مبدأ فاعلية المؤالفة والمخالفة بين عناصر التراكم فضلاً عن نوع المادة الصوتية المتراكمة ضمن السياق العام والخاص للآيات ذلك أن "السياق العام والخاص كما يقول (د. محمد مفتاح) هو معيار تخويل المعنى للصوت، ومهما يكن الأمر فإن السياق بمعنييه هو الحكم الفصل، فليس للأصوات دلالة جوهرية بعكس ما تذهب إليه بعض الآراء،... إلا إذا عضدت تلك الأصوات بالتراكم وبالسياق العام و الخاص"[٣].

إن مواقع الأصوات من الكلمات مسألة فنية مكانية يتحقق فيها الانسجام بين التراكم الصوتي والمؤشرات الدلالية الموجهة فالحدس والأثر لا يفيان بالغرض كموجهين، فتحصيل أوسع قدر من النتائج الإيجابية رهين بالتحليل اللغوي والنصي الذي يلعب الإحصاء فيه دوراً مهماً في اختيار النتائج وكشف قضايا من أساسها.

ومن هنا سيكون توجهنا في دراسة النسق الإيقاعي الخارجي للحروف. معتمدين على:

١ - تراكم العناصر المترددة بوقوع بعضها فوق بعض.

٢ - ملاحظة السياق الداخلي ودوره في بروز الأصوات.

٣ - دراسة مخارج الأصوات وصفاتها وعلاقتها بالسياق.

٤ - الانتباه لفاعلية المؤالفة والمخالفة.

---

[١] مفتاح، محمد. (١٩٨٥). تحليل الخطاب الشعري، دار التنوير، ص ٣٦.

[٢] المصدر السابق، ص ٤٩.

[٣] مفتاح، محمد، (١٩٨٧)، دينامية النص ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص ٦٢.

- **الحروف والكلمات:**

النص القرآني نص مختلف البناء بحسب الأغراض التي وجهت إليها الآيات فالأصوات تتكرر وتتشيع داخله حسب ما يتطلبه الغرض . وهي تتمثل لنا وكأنها لوحة مرسومة تراها العين وشحنة إيقاعية تسمعها الأذن، لذلك جاء الصوت فيه مجسدا قبل أن يكون موحياً.

وتعد أصوات اللام والنون، والميم من أكثر الحروف وروداً في السورة الكريمة، إذا وردت اللام بتواتر٤٤٣ مرة، ووردت النون٤٣٣ مرة، والميم ٣١٦ مرة، ولعل من أكثر الآيات وروداً لها بصورة مكثفة قوله تعالى﴿ **فَلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعيَ قالَ يبُنَيّ إِنّي أَرى في المَنام أَنّي أَذْبَحُكَ فانْظُر ماذا تَرى قال يا أَبَتِ افْعَل ما تُؤمَر سَتَجِدُني إِن شاءَ الله مِنَ الصّابِرين(١٠٢)**﴾.

صوت اللام يعتمد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا وعلى اللثة، بحيث يمنع مرور الهواء المزفور من هذه النقطة إلا أنه يترك منفذاً لهذا الهواء من جانبي اللسان أو من أحدهما، ولذا سمي هذا الصوت بالجانبي.فهو صوت جانبي أسنابي لثوي (أو نخروبي) [١].

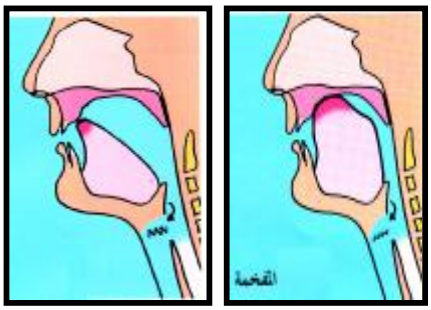

وهكذا فإن طريقة النطق (باللام) تماثل الأحداث التي يتم فيها الالتصاق أو الارتفاع فالتصاق اللسان بأول سقف الحلق قريباً من اللثة العليا (حبساً للنفس) يعبر عن هذا الالتصاق الأبوي وعن ارتفاع الضغط النفسي إلى أعلى درجاته، عاضده صوت النون المتواتر في الآية إحدى عشرة مرة والذي يعتمد طرف اللسان (الذولق) على أصول الأسنان العليا واللثة ويلتصق بها فيضغط الهواء وراءها، إلا أنه يتمكن من المرور جزئيا عن طريق التجاويف الأففية[٢]. فالنون – صامت ذولقي نخروبي أنفي مجهور. وهو أصلح الأصوات قاطبة للتعبير عن مشاعر الألم والخشوع فقد استطاع بتراكمه ومخرجه أن يعبر عن مشاعر الانقياد والضيق والانكسار والتسليم التي انتابت سيدنا إبراهيم وإسماعيل (عليهما الصلاة والسلام)، من جراء الموقف الذي امتحناه به فمخرج النون بهبوط أقصى الحنك الأعلى وانسداد فتحة الفم جاء معبراً عن هبوط، الروح المعنوية والنفسية في تلك اللحظة وانسداد الطريق أمام أي أمل في الخلاص لوقوعهما تحت التكليف فصوت النون المنبعث من الصميم جاء للتعبير عفو الفطرة عن الألم العميق (أن أنينا) والذي نسمعه من بداية التلاوة بما يتلاءم مع جو الحزن والانكسار.

---

[١] بركة، بسام.(١٩٨٨)، علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية، بيروت، الإنماء القومي، ص ١٢٦- ١٢٨.

[٢] المصدر السابق، ص ١١٩.

كما أن صفة الجهر لصوت النون باهتزاز الأوتار الصوتية أوحت بالاضطراب والاهتزاز الذي ناسب مقام الابتلاء، الذي نلمس بالحاقة بلفظة أب يا بني صدى للمشاعر الإنسانية بين موحيات مشاعر الأب من حنان وحزن وهون، وموحيات مشاعر الابن من رقة و وداعة واستكانة.

إن ضم الشفة العليا على الشفة السفلى بشيء من الشدة والتاني قبل خروج صوت الميم مثل عملية السحب بحركة اندفاع من الداخل إلى الخارج بفعل جاذبية الامتصاص مما أوحي بمعنى التبعيض أو التجزئة في قوله "من الصابرين" كما أن انطباق الشفتين على بعضهما بعضاً في ضمة متأنية وانفتاحها عند خروج النفس أوحى بذات الأحاسيس اللمسية التي تعانيها للشفتين لدى انطباقها على بعضهما بعضاً، من الليونة والمرونة مع شيء من الحرارة وهو ما جاء مناسباً للتعبير عن مقام المنام الذي جاء انفراجها ممثلا لعملية التوسع والامتداد لما يراه الشخص في منامه.

عاضدت الميم الألف في تشكيلها كفاصل بين لم والفعل المضارع المقلوب إلى ماضي بلغ ليعطى النفي بذلك فسحةً من الزمن استمر من الماضي إلى اللحظة الحاضرة لحظة بلوغه السعي -رضي الله عنه-.

ولعل من أكثر الأصوات الانفجارية بروزاً وتصويراً وتشخيصاً للموقف صوت الهمزة في قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ(١٧٤) ﴾

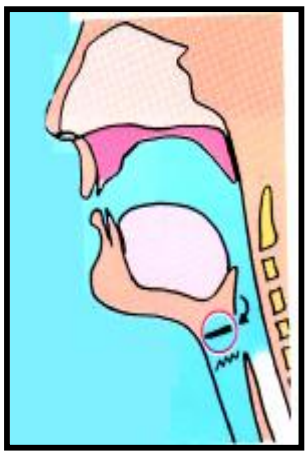

تعد الهمزة صوت صامت انسدادياً حنجري (أو مزماري) لا مجهور ولا مهموس[١] صوتها الانفجاري يثير الانتباه ويوحي بالبروز فتشكلها في الحنجرة بانطباق شفتي المزمار سادة بذلك فتحة المزمار، وانفراجها جعل منها حاجزا صوتيا حال دون الجمع بين المتعاطفين محققة معنى الإضراب حيث فصلت الهمزة الجمع (يزيدون) عن مئة ألف فاقتصر بذلك حكم الإرسال على الزيادة دون أن تتوقف عند مئة ألف مما يتوافق مع مخرجهما وصفتها كحاجز صوتي تجسد في حرف العطف أو.

ساند الهمزة الألف اللينة، بتشكل صوتها في جوف الفم مع حركة الفك العلوي إلى أعلى مما أشار إلى فوق فأوحى بالامتداد المكاني للمرسل إليهم.

---

[١] بركة، بسام. علم الأصوات، ص ١٧٧.

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ(١١) ﴾.

ومع التتابع الصوتي لصوت الهمزة ما نجده في مقام الاستفهام حول قضية التوحيد والبعث فتواتر الهمزة أربع مرات للاستفهام له ما يبرره أسلوبياً إذ أن ما يلحظ في التواتر الانفجاري أنه جاء على لسان الحق لما دار على لسان الكافرين، فهذا التواتر الانفجاري يوحي بالحضور والعيانية الواضحتين، وذلك بما يثيره من الانتباه في سمع السامع وفي ذهنه، ومن مقامات الاستجواب بين الخالق والمخلوق، ارتفعت فيها الأصوات المجهورة للتناسب مع مقام الزجر من الله و الاستنطاق للكافرين ولما كان صوت الهمزة يتوافق خروجه مع انفراج الفكين عن بعضهما البعض في حركة اتجهت للأعلى فإنه يشير إلى البروز ويوحي به كمن يقف على منصة منحته فعالية صالحة للتعالي تعالى الخالق على كل مخلوقاته تجسدت في أفعل التفضيل. ساند هذه المفاضلة صوت الدال المجهور بما يحمله من معاني الشدة والقوة التي ناسبت عملية خلق الخلق.

فمخرج الهمزة بما فيه من وقوف بانقطاع النفس على مستوى الوترين في حال تطابقهما بسبب انسداد فتحة الحنجرة جاء مناسباً لمقام استخبارهم بما يتطلبه السؤال و الجواب من انفجار يلفت الانتباه ووقفٍ يؤهله للإجابة ثم انفجار يضع المشركين، أمامَ إقرار حقيقة خلقهم في إثبات المعاد بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾ فالألف الممدودة كالمعتاد عاظلت ليوحي صوتها الممطوط بتوجيه الأنظار الغافلة البعيدة لخلق الله بمط المسافة وإبعادها. إن علمنا بأن صوتها يثير الانتباه لمسافة أبعد من صوت الهمزة ، بالإضافة إلى الرجع الصوتي في الهاء المتعانق مع الميم مما شكل إيقاعا موسيقيا ذا نغمة عالية .

وبعد صوت الهمزة الانفجاري نجد صوت الباء بتواتر بلغ ١٥٥ مرة ساهم في تصوير الأحداث والتعبير عنها في حدود السياق الذي ورد فيه بما يتلاءم مع مخرجه وصفته.

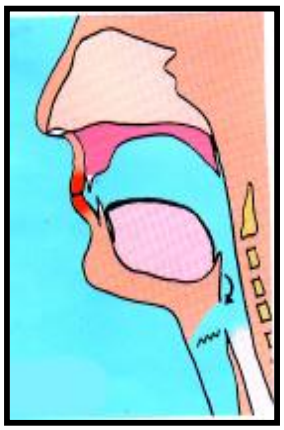

فقد بلغ عدد تواتر الباء في السورة ١٥٥ مرة لفظ بها في قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ(١٠٠)﴾، من انفراج الشفتين بعد انطباقها على بعضهما بعضاً مما يمثل الحدث الدال على الانبثاق والظهور الذي تمثل في طلب الولد في الفعل هب فالابن هو ظهور الأب وانبثاقه في الوجود قولا وفعلاً بما يحاكي واقعة انبثاق صوته من الشفتين إيماء وتمثيلاً. ومن الطريف واللطيف ما نجده من استثمار القرآن الكريم للعدد لموافقة المعنى في لفظة هب فالهبة غلب فيها عند

العرب كما ذكر صاحب الكشاف [١] الولد فناسب الدعاء العطاء لسيدنا إبراهيم عليه السلام إن علمنا بأنها مكونة من حرفين اثنين فقط هما أولاد سيدنا إبراهيم إسماعيل واسحق عليهم الصلاة والسلام اللذان تناسل منهما الأنبياء مما يبرز القيمة التعبيرية للحرف.

ومن أوضح سياقات حرف الباء ما جاء في قوله تعالى ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ(١٠٧)﴾، مما توافقت فيه التشكيلات الصوتية للحروف في تمثيل ومحاكاة واقعة الذبح في قوله "بذبح" فصوت الباء في هذه الآية بصورته المتتابعة بحكم انفجاره الصوتي بانفراج الشفتين سريعاً بعد ضمة أوحى بمعاني الحفر والقطع، جاء جهر الذال بالاهتزاز والذبذبة ليضاهي بداية النحر بتكرار حز السكين في العنق وجاءت الحاء ببحتها الصوتية لتوحي بالحشرجة والمطاوعة وهكذا توافقت التشكيلات الصوتية في تمثيل ومحاكاة واقعة الذبح من حز وشق وتخبط وبحة في الصوت.

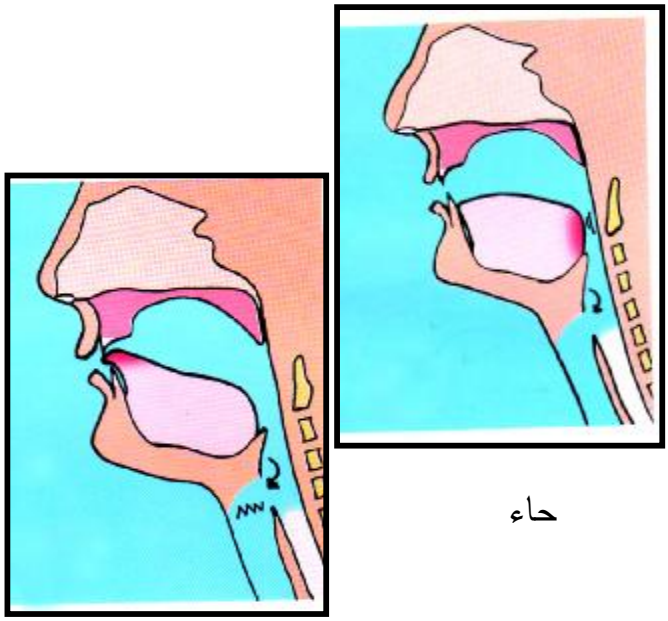

حاء

ذال

وقد تثير الأصوات القليلة الانتباه بسبب قلتها نفسها، وقد تختفي أصوات معنية في اغلب النص لتبرز مكثفتاً في حيز ضيق. وهذا بدوره يشكل إيقاعا في النص ويضفي عليه بعداً جمالياً. عاضد الباء صوت الياء المتواتر إلى جانبه بنفس العدد وهو صوت مجهور خرج إيحاءه بما يلائم موقعه فالياء الساكنة التي تحرك ما قبلها بالفتح في وفدينه، جاء صوتها آخذا صورة الحفرة أو حفنة اليد مما يوحي بأن تكون مقراً أو مرتكزاً للمعنى كما تصلح الحفرة على سطح الأرض أن تكون مستقراً للأشياء أو الماء والفداء هنا هو أصل المعنى (الذبح)، في حين أن الياء الثانية

---

[١] الزمخشري، أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر.(٤٧٦ ، ٥٣٨ هـ)،(١٩٣٥).الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، م٣ ، المكتبة التجارية الكبرى للنشر، القاهرة، ، ص ٥٣.

الساكنة المتحرك ما قبلها بالكسر في "عظيم" جاءت لتعطي صورة الحفرة العميقة لتشف عما في صميم الشيء من خصائص بعيدة متأصلة في ذاته فكان الفداء عظيماً في صميمه وليس طارئاً عليه.

لقد استطاع صوت الباء الصامت الانسدادي الشفتاني المجهور الفمي[١] بتكراره ومخرجه في قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ(٥)﴾، من خلال مخرج الباء حيث تتلامس الشفتان وتغلقان.فيقف الهواء الصادر من الرئتين وقوفاً تاماً ويضغط الهواء فجأة من الفم محدثا صوتا انفجاريا استطاع أن يظهر أثار الربوبية لله تعالى.

فالباء بوقفه وحبسه جسد المشهد أمام أعينهم ليتدبروا في خلق الله ثم جاء انفجاره من الشفتين ليوحي بالشدة والضخامة التي تناسب مقام الخلق ، فانفتاح الفم على مداه عند خروج الباء منفرداً يحاكي علو واتساع ملك الله الواحد عاضد هذه الدلالة صوت الواو المجهور المدور[٢] الحاصل من تدافع الهواء في الفم ليوحي بالبعد إلى الأمام الذي جاء بصورة تلاحق الواوات عن طريق تتابعها وراء بعضها للاستدلال بمظاهر الخلق على وحدانية الخالق ، التي لا تنتهي.

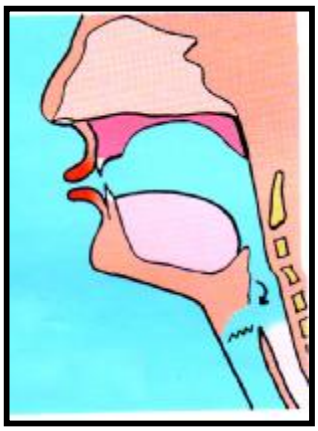

إن تقارب الأصوات من حيث الصفة و المخرج جاء لتصوير السياق الخاص بوحدانية الله ودلالاته فالجهر ناسب سياق الضخامة والعلو والاتساع والمخرج دل على الانبثاق والظهور الواضح للعيان.

ومن التوزيعات الصوتية لصوت التاء التالي في التواتر لصوت الباء بنسبة بلغت (١٠٤) ما جاء في قوله تعالى ﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ(٥٦)﴾، حيث يلامس رأس اللسان (الذولق) الجهة الداخلية لمنبت القواطع من الأسنان العليا وتدعى النخاريب فيقف الهواء وقوفاً تاما عندها ويضغط مدة من الزمن، ثم ينفصل اللسان فجاءة تاركا نقطة الالتقاء فيحدث الصوت الانفجاري، الذي يشعر به عند نطق الفعل لتردين حيث صور معنى السقوط والهلاك بشكل حرف التاء المتتابع في الآية الكريمة في التجويف الفمي عند النطق به مما جسد عملية التردي من أعلى إلى أسفل ( )، كما أن همس التاء أوحى بحديث النفس مع صاحبها وقد جاءت القاف في هذه الآية وهو صوت يتكون بأن يبقى رأس اللسان (الذولق) منخفضاً ومستنداً وراء الأسنان السفلى (القواطع) ، في حين يرتفع الجزء الخلفي منه تجاه أقصى ما يمكن من الحنك اللين على مستوى اللهاة ويلتصق به ويبقى الحنك اللين مرتفعا بحيث

---

[١] بركة، بسام، علم الأصوات العام، ص ١١٤.

[٢] المصدر السابق، ص ١٣٨.

يسد مجرى الهواء من الأنف ويضغط الهواء لمدة من الزمن ثم يطلق سراحه فيحدث الانفجار[١] فهذا الانفجار ناسب معاني الشدة والكسر والقوة التي جاءت متلائمة مع عملية الهلاك.

أما التاء في قوله تعالى﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ(١٥٧)﴾.

فمخرج التاء الصامت الانسدادي ذولقي – نخروبي مهموس فمي[٢] جاء معاكساً لمخرج حرف الكاف المتساوي معه في معدل التكرار لإبراز دلالة الآية الكريمة.

فتكرار التاء في هذه الآية بوقوف الهواء وقوفاً تاماً وانضغاطه ثم انفصاله محدثاً صوتاً انفجاريا من شأنه أن يدل على حجم المفاجأة التي قدمت للسامعين فمعنى التعجيز واضح من تتابع التاءات الثلاثة في هذه الآية التي أوحت بالانتقال من مقام الاستفسار لمقام المطالبة بالدليل حيث ناسب الانفجار فيها هول الصدمة عاضد التاء صوت الكاف المتواتر ثلاث مرات والذين استطاعا بمخرجيهما أن يبرزا حصار المشركين من كل الجوانب بهذا الدليل المقدم فانخفاض رأس اللسان (الذولق) وبقاءه مستندا وراء الأسنان السفلى (القواطع) وارتفاع الجزء السفلي من ظهر اللسان مستنداً تجاه أقصى الحنك اللين والتصاقه به في حرف الكاف بصورة مضادة لشكل حرف التاء الذي بقي فيه اللسان متكتلاً باتجاه الأمام ومنبسطاً في وسطه ومؤخرته بهذه الصورة.ك ت

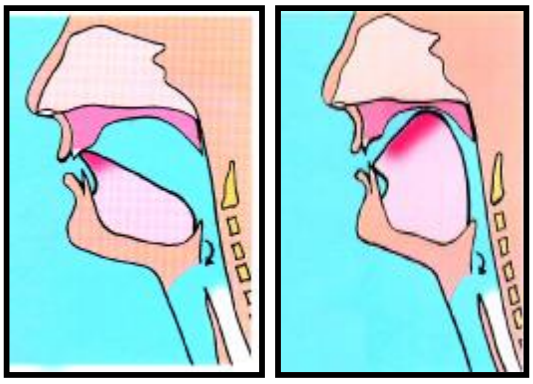

الكاف **التاء**

فهذا التساوي والتتابع للتاء مع الكاف ساهم في نسج دلالة هذه الآية في تجسيد صورة الحصار وقطع الطريق على المشركين أمام الدليل المقدم المتمثل بالدليل السمعي وقد تنبه أحد المفسرين إلى ذلك فقال في هذه الآية " هنا انحصر الكلام معهم في دليل السمع وهو الخبر الصادق لأن أسباب العلم للخلق منحصرة في هذه الأدلة الثلاثة: أشير إلى دليل الحس بقوله " وهم شاهدون" وإلى دليل العقل والسمع " أم لكم سلطن مبين " ثم فرع عليه قول " فأتوا بكتبكم إن كنتم صدقين" وهو دليل السمع فأسقط بهذا التفريع احتمال دليل العقل لأن انتفاءه مقطوع إذ لا طريق إليه وانحصر دليل التسمع في أنه من عند الله إذ لا يعلم ما في غيب الله إلا غيره..ثم

---

[١] بركة، بسام، علم الأصوات العام، ص ١١٥- ١١٧.

[٢] المصدر السابق، ص ١١٥.

خوطبوا (بأمر التعجيز بأن يأتوا بكتاب أي بكتاب جاءهم من عند الله...، فانحصر الدليل المفروض من جانب السمع أن يكون إخباراً من الله في أن ينزل عليهم كتاب من السماء)" [١].

وكما كان للأصوات الانفجارية دورها في تمثيل وتشكيل الأحداث كان للأصوات الاحتكاكية الدور ذاته. فإذا كانت الأصوات الانفجارية تتكون بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع. وينتج عن هذا الحبس أو الوقف أن يضغط الهواء ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا[٢] فإن الأصوات الاحتكاكية تحدث بأن يضيق مجرى الهواء الخارج من الرئتين في موضع من المواضع بحيث يحدث الهواء في خروجه احتكاكا مسموعا[٣].

ولعل من أكثر هذه الأصوات الاحتكاكية ورودا في السورة صوت الهاء الذي بلغ معدل تواتره ١٨٣ مرة ولقد اختلف علماء اللغة العربية في موقع مخرجه من الحلق فمعظمهم جعله في أوله داخلا قبل أي حرف آخر، وقلة منهم كالخليل بن أحمد الفراهيدي، وابن سينا، والعلايلي قد جعلته بعد حرفي العين والحاء. فصوت الهاء الاحتكاكي مثل ملمحاً أسلوبيا في فعل الهداية التي "هي الدلالة على الطريق لمن لا يعرفه، فهي إرشاد إلى مرغوب لأن كون المهدي راغبا في معرفة الطريق، ولذلك تقابل الضلالة وهي الحيرة في الطريق"[٤].

لقد استطاع مخرج الهاء أن يصور معنى الهداية فإذا لفظ الهاء مرققا مخففا مخفوتا به، وقد خرج عميقاً من جوف الصدر في أول الحلق، لا بد أن تتلاشى بذلك اهتزازاته الصوتية مع النفس المبعثر، فيختفي التخريب فيه ويغيب التشويه عنه ويضمحل الاضطراب والذي يوحي عندها بمقام الطريق الواضح في الوصول إلى المقصود في قوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(١١٨)﴾، في حين إن لفظه باهتزازات رخوة مضطربة أي أن مخرجه بعد (ع - ح) يوحي بمشاعر إنسانية من حزن ويأس وضياع. وهي مناسبة لمعنى الهداية في قوله تعالى: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ(٢٣)﴾ ، التي تعكس باهتزازه الاضطرابات النفسية من جراء حيرته ورغبته في معرفة الطريق فجاء انقباض جوف الصدر وأنسجة الحلق مناسبا لهذا العارض المفاجئ فصوت الهاء يتحول إلى صوت لا بد له أن يرتعش على شكل اهتزازت توحي بالحالة

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٢، ص ١٨٤.

[٢] بشر، كمال محمد، علم اللغة العام، الأصوات العربية، مكتبة الشباب، ١٩٨٧، ص ١٠٠.

[٣] بشر، كمال محمد. نفس المصدر، ص ١١٨.

[٤] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١٠٢.

النفسية التي تعرض لها صاحب الصوت والتي تظهر على جهاز الراسم الطيفي بخطوط عشوائية توحي بهذا الاضطراب وتدل على العلاقة التجاورية بين الصوت المجهور والمهموس.

إن خاصية الاهتزاز في هذا الحرف أفادت لفت انتباه السامع إلى ما يقصده المتكلم ممن لا حضور له، مع ملاحظة الاحتكاك المسموع والصفير المنبعث من صوت الصاد، الذي ناسب مقام تكلف سيرهم للصراط.

كما نجد في آية أخرى توزيعا صوتيا آخر حرف الهاء في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ**(٩٩) ﴾.

فحرف الهاء بخروجه من آخر الحلق أوحى بأول هجرة في سبيل الله للبعد عن عبادة غير الله " فمخرج الهاء عند التلفظ به بانغلاق المزمار انغلاقا تاما سوى فتحة صغيرة في الجزء الخلفي على مستوى النسيجان الخلفيان الهرميان" [١] مثلت بصيص الأمل في هجرته إلى حيث يعبد ربه. حيث شكل صوت الهاء باهتزازاته العميقة في باطن الحلق الاضطرابات النفسية وهذا الموقع الممتاز للمخرج (قريبا من جوف الصدر لأرق أنسجة وأكثر حساسية) جعل اهتزازاتها أكثر عرضة لتأثر المباشر بمختلف الانفعالات التي تجيش في الصدر من حزن وأسى أحسسناها بصوته الاحتكاكي المسموع. الذي صور مقام الهجرة بما تستدعيه من شدة وقوة.

يأتي بعد صوت الهاء صوت العين الذي بلغ معدل تكراره ١١١ مرة في السورة والذي استطاع بمخرجه أن يصور ما يتطلبه مقام العمل للتمتع بالنعيم " الفوز" من مشقة وتكلف وجد في قوله تعالى: ﴿ **لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ**(٦١) ﴾.

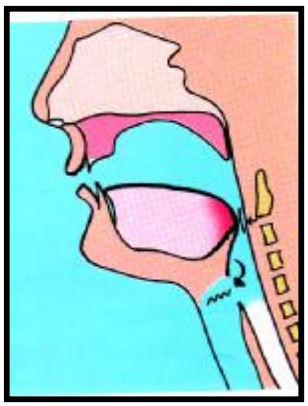

فخروج صوت العين يستدعي أن يضيق أول الحلق من الداخل على شكل حلقة مجوفة ملساء الجوانب (تمثل الاستعداد والتهيب للعمل) يندفع النفس بعدها من جوف الصدر فيحتك بفوهة الحلق ويتوزع إلى ذبذبات هوائية تتكيف عندها فوهة الحلق مع هذه الذبذبات برجوع جذر اللسان بقوة إلى الوراء مقتربا من الجذر الخلفي للحلق بحيث يلامسه (وكأنه يوحي بقصر العمل على هذا النوع) فيضيف مجرى الهواء المزفور لدى مروره على مستوى الفراغ الحلقي لتجميعها في محراق الفوهة فتتحول إلى صوت صاف محدثا احتكاكا مسموعا وواضحا مع تذبذب فيخرج صوت العين صافيا نقياً. وقد ناسب التحريض بعد امتداد طويل أوحى بآلية العمل لما يتطلبه من كفاح مستمر والتي جاءت الشدة والقوة والثقل في صوت العين معان مناسبة للتعبير عنها إن علمنا بأن العمل ما هو إلا الظاهر من الشدة والقوة.

---

[١] بركة، بسام، علم الأصوات العام، ص ١٢٦.

في أثناء ذلك جاءت الأصوات الاحتكاكية الأخرى هـــ، ذ في اسم الإشارة هذا مساندة في تكوين هذه الدلالة المحورية بإثارة انتباه السامع واهتمامه بكون المشار إليه ذات حاضرة عن طريق الاهتزاز المصاحب لها في نطقهما مما يدفع المخاطب للتحرك السريع الموافق لهذه الظاهرة. ويقول الدكتور إبراهيم أنيس بمعرض تحليل صوت العين أن " العين من حيث انعدام حفيفه أقرب من الميم والنون أو اللام ومن حروف اللين : الألف والواو والياء" [١] .

كما نلمح العين والزي المجهورين في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ(١٨٠)﴾ أوحى جهرها واحتكاكها بتصوير مقام تنزيه الله عن كل ما يصفه المشركون مما لا يليق بجناب كبريائه وجبروته فرجوع جذر اللسان بقوة إلى الوراء مع اقترابه من الجذر الخلفي للحلق بحيث يلامسه صور التصاق العزة بالله تعالى واختصاصه بها عاضده الزاي الذي يتكون بالتقاء رأس اللسان من منطقة اللثة العليا ويلامسها بحيث يترك منفذاً ضيقا للهواء[٢] مما صور معنى العزة بمعاني العلو والوضوح والفعالية ليصبح معناها مع التشكيلات الصوتية المشكلة لها المنعة والترفع بصلابة مع صوت مجهور صفيري شامل لكل واصف.

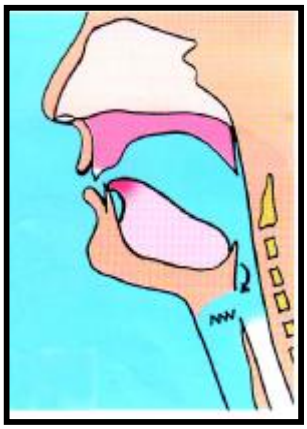

لقد صور مخرج العين من أول الحلق طلب البعيد باستعجال العذاب قبل أوانه في قوله تعالى: ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ(١٧٦)﴾ ، فقد أوحى صوت العين بمخرجه القصى تكلف الاستعجال وشدته، كما أوحى احتكاك صوت العين أيضا بفوهة الحلق وتوزعه إلى ذبذبات هوائية تكيفت معها الفوهة بتجميعها في محراقها ليخرج الصوت صافياً نقياً مشعراً بحرارة العذاب وألمه الذي أظهره عظمة حرف العين إن علمنا بان العذاب ما هو إلا ظاهر الألم الدفين.

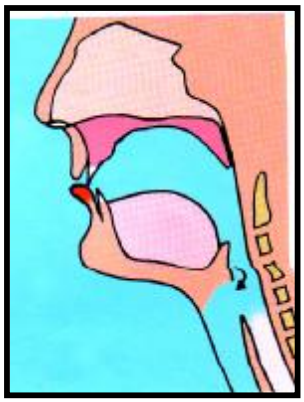

ومن الآيات المهمة الحاوية لحرف العين ما نجده في حرف الجر على في قوله تعالى:﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ(٤٥)﴾ حيث أوحى مخرج العين بمعنى الإحاطة التي تتوافق مع طبيعة صوت العين بتضيق مخرجه على شكل حلقة ملساء فالطوف عليهم يتم بصورة متقاربة متسما بالعلو والسمو لالتصاقه بهم في مسافة التكريم بين الطائف والمطوف عليه. والذي عبر عنه احتكاك العين ومخرجها خير تعبير.

---

[١] أنيس، إبراهيم. (١٩٦١)، الأصوات اللغوية، ط٣، دار النهضة العربية، ص ٧١.

[٢] بركة، بسام، علم الأصوات العام، ص ١٢٣.

إننا نلمح أيضا من الحروف الاحتكاكية حرف الفاء المتواتر ١١٢ مرة في السورة الكريمة والذي استطاع بمخرجه أن يصور حال عبدة الأصنام في قوله تعالى:﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ(٩٤) ﴾ ، حيث أوحى مخرج الفاء بالشدة والغلظة والقوة بضرب الأسنان العليا على الشفة السفلى مما مثل الإسراع في الجري كمن يريد أن يثب على شيء وصورت بعثرة النفس عند خروج صوت الفاء لبعثرة القوم وتشتتهم في كل الجهات للإحاطة به إن علمنا بأن صوت الفاء يتكون باقتراب الشفة السفلى من القواطع العليا وتلامسها بحيث تسمح للهواء المزفور أن ينفذ من خلالها مع حدوث الاحتكاك[١]. فالفاء صامت احتكاكي أسناني شفوي مهموس، أوحى انفراج الفكين عن بعضهما البعض عند خروج صوتها بمعاني التباعد والتوسع ليتم التعقيب فيها بزمن متراخ بقدر الحاجة بما يتوافق مع خاصيتها في الانفراج.

كما نجد في السورة الكريمة مجموعة أخرى من الأصوات الصامتة وهي الأصوات المركبة أي صوت يتكون في نفس الموضع الذي يتكون فيه الانفجاري ذلك أنه " من المعروف أن كل صوت انفجاري قد يكون له مقابل احتكاكي"[٢]. ولكن مع اختلاف في طريقة النطق. وبحكم تكون هذه الأصوات طريقة انفصال الأعضاء في النطق " فإذا كان انفصالها بطيئاً بحيث لا يحدث انفجاراً واضحاً بل يسمع عند إطلاق الوقف صامت احتكاكي يسمى الصوت الذي يتكون بهذه الكيفية انفجارياً احتكاكياً . والصامت الانفجاري الاحتكاكي نوع من الانفجاري يحدث في تكوينه أن يتبع إطلاق الانفجاري مباشرة بالاحتكاكي المقابل له أي الاحتكاكي الذي يتكون فيه الانفجاري. وهذا الصوت الاحتكاكي الذي يعد جزءاً جوهرياً من الانفجاري"[٣] .

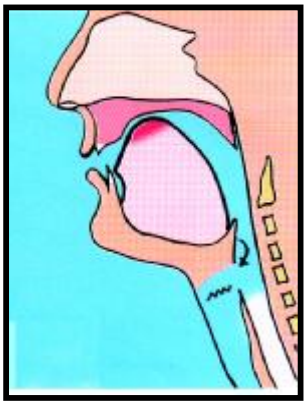

والصوت الذي يتكون بهذه الطريقة هو الجيم.وهو صوت (لثوي – حنكي مركب) (انفجاري احتكاكي) مجهور[٤].

لقد استطاع الاحتكاك في صوت الجيم في قوله تعالى:﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ(٦٨)﴾.أن يصور عملية الانتقال بين مكانين في المغادرة والعودة تناسبا مع ما يتطلبه المرجع من تدافع واستمرار، كما أن انفجار الجيم أوحى بالحرارة والقساوة المنبعثة من الجحيم عبر جهرها عن معاني الضخامة والعظم. فاجتمعت هذه المعاني

---

[١] بركة، بسام. علم الأصوات العام، ص ١٢١.

[٢] محمد بشر، كمال. الأصوات العربية، ص ١٢٥.

[٣] حسان، تمام. (١٩٥٥)، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ، ص ١٠٣-١٠٤.

[٤] محمد بشر، كمال. علم اللغة العام، الأصوات العربية، ص ٧١.

الثلاثة الجهر الاحتكاك والانفجار في تصوير الحيز المكاني لجهنم في صوت واحد عبر أيضا بصفاته الصوتية عن طبيعة ما يوجد في هذا الحيز من مخلوقات معدة لعذابهم في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ(٦٤)﴾.

فحرف الجيم في شجرة أوحى بجهره بإحساس سمعي يحمل الإعلان بارتفاع الصوت الذي صوره راسم الطيف بحرف شديد السواد زاد سواده بازدياد علوه عاكساً بذلك علو موجته للتعريف بها وبما تحمله من قساوة وصلابة ناسبت صفة الانفجار والاحتكاك بصوت الجيم عاضده بتصوير هذه الدلالة صوت الشين الذي حدث معه بلغة التفشي للدلالة على انتشارها وتوسعها في جهنم. بعدها نلمح انفراد الجيم في آخر الفعل (تخرج) ليوحي بانفرادها بعد التعريف بها في قعر جهنم الذي عبر عنه استفال حرف الجيم بصفته الصوتية هذه ليوحي بالانحطاط المكاني لها ولواردها، حيث أوحت قلقلته بالتحرك والاضطراب التي ناسبت عملية الإنبات بما فيها من قطع وقشر لخروجها بأسفل جهنم استقبلها بعد ذلك الجيم من بداية الجحيم بحرارة وتوهج كان قد أوحى بها انفجاره الذي صوره جهاز الراسم الطيفي، بحرف شديد السواد يقل سواده من بداية الصوت إلى منتهاه عاكسا بذلك ظلامها وشدة جحيمها إن علمنا بأن أعلى درجات النار هي اللون الأسود، والذي شكل ظاهرة في السورة الكريمة بزيادة السواد في مواقف الترهيب والتهديد متلائماً مع السياق العام بزيادة الضغط كلما جاء الوعيد.

ومن الطريف أننا لو تتبعنا توزيع الجيم في الآية الكريمة لوجدناه في وسط الكلمة لشجرة وآخر كلمة تخرج المتجاورتين جيء بفاصل ظهر بعده في بداية الجحيم. وكأنه يوحي بأن حال الشجرة هذه بخروجها في آخر جهنم ما هو إلا فاصل زمني وتكون بداية عذابكم.

وهناك نوع من الأصوات الصامتة. كان لها حظ الاستعمال بصورة كبيرة في السورة بلغ بها معدل التكرار (١٢٧) مرة تسمى الأصوات المكررة متمثلة بحرف الراء " ويتكون هذا الصوت بأن تتكرر ضربات اللسان على اللثة تكراراً سريعاً. وهذا هو السر في تسمية الراء بالصوت المكرر الذي يكون مسترخيا في طريق الهواء الخارج من الرئتين. مع تذبذب للأوتار الصوتية عند النطق به. فالراء صوت لثوي مكرر مجهور[١].

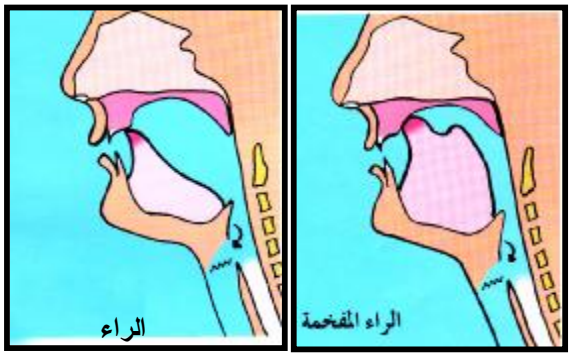

---

[١] محمد بشر، كمال.الأصوات العربية، ص ١٢٩.

إن الراء المتواتر في قوله تعالى: ﴿ فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ (٧٠)، جاءت لتصوير حال الكفرة بحال من يزجر ويدفع إلى السير وهو لا يعلم إلى أين يسار به عبر عنه سرعة الضربات المتكررة لصوت الراء بتذبذب طرق اللسان على النخاريب " اللثة" تذبذبا سريعا مما اوحى بالإسراع المفرط في السير الدال على المتابعة دون تأمل. فاعتقادهم بما جرى عليه آباؤهم دون تأمل كان بمثابة متابعة السائر متابعة سريعة قصد الإلحاق به مع غيبوبيته التامة التي أوحى بها صوت الهاء.

كما إن الاستفال في صوت الراء في آخر آثارهم أوحى بمعنى الانحطاط لوهيها وخفاء مذاهبها وانطماس معالمها، فهذه الراء دلت على حدث تمثل بحركة ما " سوقا للحرف على سمت المعنى المقصود والغرض المراد" تمثلت في اقتفاء هذه الآثار تقليدا بلا دليل ولا استضاء حجة.
كما أن الراء في فعل الروغان في قوله تعالى ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ (٩٣)، أوحى بالتحرك والتكرار يضاهي ما في هذا الحدث من ذهاب يمنه ويسرة بسرعة ضاهى بها انحرافه ما في هذا التحرك من خدعة وخفية.

كما أننا نجد السورة الكريمة في مظاهر تنويعاتها الصوتية تستخدم الأصوات الجانبية بكثرة في حرف اللام الجانبي الذي وظف في سياقات عدة لائمة انحرافه ففي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأوَّلِينَ ﴾(٧١).

تواترت اللام في الآية الكريمة ست مرات بتوزيع صوتي شامل لها من أولها إلى آخرها لتصور حال المشركين في الظلال باتباعهم آباءهم في ضلالهم ووصف من ضل بالكثرة فجانبية اللام أوحت بانحرافهم وزوغانهم عن الهدى.

فلفظ اللام يجعل طرف اللسان معتمدا على أصول الأسنان العليا مع اللثة لفترة طويلة اوحت بطول ضلالهم في جميع الأزمان فضلا عن صفة الإذلاق فيه والتي لفظ بها بسرعة وخفة للإسراع في إسلاء الرسول صلى الله عليه وسلم على ما يلاقيه من تكذيبهم.
أما قوله تعالى: ﴿ لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴾ (٨).

نجد أن الجانبية في صوت اللام قد أوحت بانحراف الشياطين عن السمع لقد صورت جانبية اللام صورة مركبة من شطرين يدل الأول فيها على العلوي و الثاني على السفلي فكان الحرف بصفته مجسدا لبداية الصورة ونهايتها:

لقد صورت جانبية اللام في حرف النفي بداية الصورة بإطلاق النفي إلى ما لانهاية مع المد فالانفتاح في السين أوحى بالانزلاق والمسير ومخرج الميم أوحى بالانضمام والجمع وجاء جهر العين ليوحي بالعيانة والوضوح ليكون السمع بذلك عبارة عن موجات صوتية تتجمع في تجاويف الأذن (م) تكون واضحة بفعل حاسة السمع (ع) التي انتفت بانحراف اللام والذي أوحى بانحراف الشياطين عن السماع وانحراف القذائف عليها من كل جهة . فانحراف السماع كان في

الأعلى وانحراف القذائف كان للأسفل. كما أن اللام بمخرجه باعتماد طرف اللسان على أصول الأسنان العليا وعلى اللثة مثل مقام التشريف والرفعة لدلالته على أهل الشأن والقدر مبرزا شأن الملائكة وقدرها وقد تجسد في الملأ الأعلى.

كما إننا نجد السورة قد مالت إلى الكثرة في استعمال: ل،ر،ن،م التي تشترك في اتحاد المخرج (حديثاً) أو قربه قديماً. ويقول كمال بشر: الأصوات السابقة، ل،ن، شبه حركات في أهم خاصية من خواصها وهي الوضوح السمعي Sonority. [١]

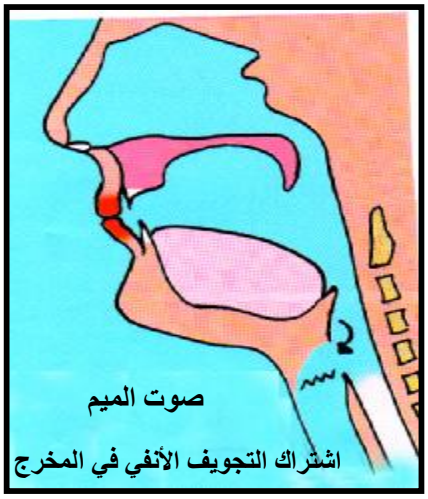

يقول المبرد" الميم ترجع إلى الخياشيم بما فيها من الغنة، فلذلك تسمعها كالنون، إلا أن النون المتحركة مشربة عنه والغنة من الخياشيم ، إنما سميت باسم واحد لاشتباه الصوتين، وإلاّ فإنهما ليستا من مخرج واحد [٢] فمن الآيات التي نلمح فيها اجتماع لهذه الحروف في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ**(٣٥)﴾ ، لقد تواترت اللام تسع مرات والميم مرتين والنون أربع مرات وأول ما يلاحظ على هذه الحروف عن طريق جهاز الراسم الطيفي الخطوط الطويلة التي احتوت عليها نتيجة اشتراكها جميعا بصفة الجهر التي تتطلب علو الصوت لتناسب مقام التوحيد، الذي يقتضى ترددا عالياً.

كما إننا نلحظ التماثل الصوتي بين هذه الأصوات بالنظر إلى الحزم الصوتية للأصوات المجهورة حيث نجدها متساوية إلى حدٍ كبير في طول الحزمة الصوتية مما يؤدي إلى تماثل للوحدات الصوتية أو تماثل ارتفاع التردد بين هذه الأصوات مما أسهم في تشكيل الإيقاع عند نطقها.

وهذا التساوي في التردد يجعل هذه الأصوات متماثلة في الدرجة و من حيث الحدة والغلظة فالصوت إذا زاد تردده ارتفعت درجته أي ازدادت حدته وإذا نقص تردده انخفضت درجته أي ازداد غلظا. مما يؤدي إلى حدوث التنغيم بسبب الارتفاع والانخفاض الذي يؤدي الى تشكل الإيقاع. وفي ذلك يقول الفارابي في كتاب "**الموسيقى الكبير**": " الحروف غير الموصوتة منها ما يمتد بامتداد النغم ومنها ما لا يمتد بامتدادها، والممتدة مع النغم هي مثل اللام، الميم،

---

[١] محمد بشر، كمال، علم اللغة العام، الأصوات العربية، ص ١٣١.

[٢] المبرد، محمد بن يزيد. (٢١٠-٢٨٥هـ). المقتضب، ج١، (تحقيق عبد الخالق عظيمة)، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٦٩، ص ١٩٤.

النون، الهمزة، الغين، الزاي، وما أشبه ذلك وغير الممتدة مثل التاء، والدال، والكاف، وما جانس ذلك"[١].

ولم يقف عند ذلك بل أشار إلى قضية تتعلق بالمردودية الموسيقية لهذه الأصوات وما يستحسن منها وما يستبشع قال " والحروف الممتدة بامتداد النغم، منا ما يستبشع مسموع النغم إذا اقترنت بها مثل العين والحاء والطاء وما أشبه ذلك ومنها ما لا يبشعه ، وهي هذه الثلاثة اللام والميم والنون"[٢]

والخلاصة التي ينتهي إليها هي أن "جل النغم الإنسانية، فإنما تسمع مقترنة ببعض المصوتات أو ببعض ما هو ممتد من غير المصوتات" [٣]. وهذا ما جعلها تسمع من مسافة قد تختفي عندها الأصوات الساكنة أو يخطأ في تمييزها[٤]. لقد تراكمت هذه الحروف بصورة متساوية في قوله تعالى: ﴿**وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ**﴾ (١١٣).

فاللام والميم والنون تواردت بمعدل خمس مرات في حين أن الراء جاءت بمعدل ثلاث مرات ويعتبر الكم في حد ذاته عاملا من عوامل البروز والظهور فالمواد التي تتكاثف بشكل غير عادي بالنسبة لمستعمل اللغة، كفيلة بإثارة الانتباه بكميتها نفسها. فهذه الأصوات يظهرها جهاز التحليل الطيفي متماثلة الحزم الصوتية مما يوحي بالتساوي بين الأنبياء في المحنة والأجر الأمر الذي يساعد على تشكيل الإيقاع مع توافق للحالات الشعورية للملتقى بما ينبه سماع المستقبل ويوسع أفق النص إلى أبعاد ثلاثة تتمثل في المرسل والمستقبل والرسالة .

لقد تواترت هذه الحروف بصورة مكثفة جداً على طول المساحة الصوتية للسورة الكريمة بلغ معدل تواتر اللام (٤٤٣)، ومرة والميم (٣١٦)، ومرة والنون (٤٣٣)، و الراء (١٢٧)، من مجموع (٣٧٩) حرفاً. مما يعزز خاصيتها من حيث وضوحها السمعي في صفة جهرها أيضا الذي ناسب ارتفاع وعلو الصوت تنبيها للمشركين والكفار خاصة فيما يتعلق بعقيدة التوحيد لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم في آيات كثيرة عاد الضمير فيها عليه صلى الله عليه وسلم وعليهم.

---

[١] المصدر السابق، ص ١٩٤.

[٢] الفارابي، أبو نصر محمد بن طرخان. (٥٩٠- ٨٧٠)، الموسيقى الكبير، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربي، القاهرة ، ١٩٦٧،ص (١٠٧٢).

[٣] المصدر السابق، ص١٠٧٢ - ١٠٧٣.

[٤] أنيس، إبراهيم. الأصوات اللغوية، ص ٣٨.

- ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾ (١١)
- ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴾ (١٦)
- ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمْ الْبَنُونَ ﴾ (١٤٩)
- ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ (١٥٣)
- ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (١٥٤)
- ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ (١٧٥)
- ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ (١٧٩)
- ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (١٨٠)

وعند هنا يتوقف النفس باستعراض أكثر الأصوات تراكماً ودوراناً حسب مخارجها وصفاتها والذي اكتفينا فيه بهذا القدر لضيق المساحة المخصصة لهذا البحث، وقد وجدنا بأن المخارج الصوتية من أول الحلق داخلاً حتى آخر الفم وبالتحديد في الشفتين خارجاً شكلت ساحةً حركية كان الصوت فيها راقصاً بارعاً يتنقل على مخارج الحروف إلى الأمام وإلى الوراء إلى فوق أو تحت إلى اليمين، إلى اليسار، ليصور بذلك الأشياء والأحداث بحركات تجسيدية ترجمتها اللفظة العربية إلى رقصة صوتية بارعة لا توحي بمعناها الأصيل فحسب إنما تجسده.

ثالثاً:المقطع اللغوي:

يشكل المقطع الصوتي وحدة صوتية في السياق اللغوي، وبذلك فهو يحوي اللبنة الأولى التي يتشكل فيها النص القرآني بشكل خاص. ذلك أن المقطع يخلق بسكتاته حائلاً يحول عن صفة الاتصال الصوتي التام عند النطق باللغة مما يسهم إسهاما كبيرا في تشكيل الإيقاع اللغوي وإيجاد العلاقة بين المقام والأنماط المقطعية.

لقد أثبتت الدراسات المخبرية (الفيزيولوجية منها والسمعية) أن إنتاج الكلام لا يتم بضغط متواصل وثابت من الرئتين خلال المجموعة النفسية الواحدة[١]،فعضلات الصدر تنتج نبضات منفصلة من الضغط خلال إنتاج المجموعة النفسية الواحدة.

بما يتناسب مع الحالات الشعورية والنفسية. كما أن تسجيلات الكلام ودراسة طيفه أدت إلى تسجيل الذبذبات الصوتية لجملة ما، يظهر اثر هذه الذبذبات في شكل خط متموج يتكون هذا الخط من قمم ووديان.كانت القمم أعلى ما يصل إليه الصوت من الوضوح[٢]، وهنا يجب الانتباه إلى ما قلناه في الأسطر الأخيرة فنحن قلنا جملة ولم نقل كلمة مفردة، لأن التركيب المقطعي يخضع لما يقع بين حدين أدنيين من الأسماع من السلسلة الكلامية أي لحظتي الصمت اللتين تسبق إحداهما الشروع في التلفظ بالكلام وتلي الثانية نهايته.

لقد تميزت اللغة العربية بمجاميع من المقاطع، تتكون كل مجموعة من عدة مقاطع ينضم بعضها إلى بعض وينسجم بعضها مع بعض. فهي وثيقة الاتصال[٣] . ينقسم بفضلها الكلام العربي إلى تلك المجاميع من المقاطع مما جعل هذه اللغة لغة إيقاعية أكثر من غيرها لتعدد مقاطعها.

---

[١] بركة، بسام، علم الأصوات العام، ص ٩٦.

[٢] بركة، بسام، المصدر السابق، ص٩٦. للاستزادة في الموضوع ينظر: عبد الجليل، عبد القادر. (١٩٨٨)، الأصوات اللغوية، ط١، دار الصفاء للنشر، عمان،ص ٢١٣ – ٢١٧ ، حسان، تمام. (١٩٩٣)، البيان في روائع القرآن، ط١، عالم الكتب ، ص ٢٦٠ – ٢١٦. اليسوعي، هنري فليش. (١٩٦٦)، العربية الفصحى نحو بناء لغوي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ص ٤٢، ٤٣، ٤٤. كانتينو ، جان. دروس في علم الأصوات العربية، ترجمة صالح القرمادي، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية، ص ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤. مصلوح، سعد.(١٩٨٠)السمع والكلام، عالم الكتب، القاهرة، ص ٧٣ – ٢٧٥. عمر احمد مختار، (١٩٧١)، دراسة الصوت اللغوي، دار المعارف، القاهرة، ، ص ٢٥١ وما بعد. عبد العزيز خليلي،(١٩٨٦)، البنية المقطعية في اللغة العربية،المجلة العربية للدراسات اللغوية، مجلد٤،ع(٢)،الخرطوم، ص٤٣- ٥٧.عصام أبو سليم، (١٩٩٠)، الأنماط المقطعية في اللغة العربية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مجلد ٩، ع(٣٥) ، ص ١٨٦.

[٣] أنيس، إبراهيم. الأصوات اللغوية، ص ١١١.

وهذا يقودنا إلى تعريف المقطع فهو: وحدة صوتية أكبر من الفونيم (الصوت اللغـــوي) وتأتي مباشرة بعده من حيث الأبعاد الزمنية (في النطق) والمكانية(في الكتابة) وهو يتكون من نواة تدعى النواة المقطعية تكون إجمالاً صائتا مصحوبة بصامت واحد أو أكثر[١] في نوعين من المقاطع هما مفتوح والمغلق الأول ينتهي بحركة أو علة والثاني ينتهي بساكن أوصامت.

ولذا ستركز دراستنا في السورة الكريمة في هذا المبحث على كشف التماثل الصوتي المقطعـــي مع الوضع في الاعتبار دلالة هذا التماثل الصوتي في ضوء السياق وفق تضافر دلالـــة المقطـــع مع المقاطع الأخرى في السياق الكلي للآية وليست بمعزل عنها.

ومن استعمالات المقاطع الصوتية قوله تعالى: ﴿ **وَالصَّافَّاتِ صَفًّا(١)فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا(٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا(٣)** ﴾ .

	×		×		
و	ـَ ص /	صا /	فا /	ت - ـِ /	ص – ف / فا
WaS	Sa:	Fa:	Ti	SaF	Fa:
ص ح ص	ص ح ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ح
cvc	cvv	cvv	cv	cvc	cvv
متوسط	متوسط	متوسط	قصير	متوسط	متوسط
مغلق	مفتوح	مفتوح	مفتوح	مغلق	مفتوح

	×		×				
ف ـَ زْ /	زا /	جـــ /	را /	ت – ـِ /	ز ـَ ج /	را	
FaZ	Za:	gi	ʃa:	Ti	g	Z a	ʃa:
ص ح ص	ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	
cvc	cvv	cv	cvv	cv	cvc	cvv	
متوسط	متوسط	قصير	متوسط	قصير	متوسط	متوسط	
مغلق	مفتوح	مفتوح	مفتوح	مفتوح	مغلق	مفتوح	

[١] بركة، بسام. علم الأصوات العام، ص ٩٧.

		×		×		
		ف َ _ ت/ تا / ل ِ _ /يا / ت – ِ /ذ _ ك / را				
ا a:	Ki ئ	Ti	ja:	Li	Ta:	TaF
ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح ص
cvc	cvv	cv	cvv	cv	cvv	cvc
متوسط	متوسط	قصير	متوسط	قصير	متوسط	متوسط
مفتوح	مغلق	مفتوح	مفتوح	مفتوح	مفتوح	مغلق

يتضح الإيقاع الصوتي في تتابع الكتابة الصوتية للآية من خلال تماثل المقاطع الصوتية مع بعضها البعض، كما يتضح لنا أن البنية الإيقاعية الصوتية للآية تمركزت في المقطعين القصير (ص ح أو CV) والمتوسط (ص ح ح ، ص ح ص ، CVC، CVV) مع كثرة الاستعمال للمقطع المتوسط المغلق CVC ، والمفتوح CVV مما يشكل ملمحا أسلوبيا باستدعائه هذا الانتقاء والاختيار الذي يمثل بدوره ركيزة في الآية.

فالمقاطع المتوسطة نجد كلماتها قد اشتقت من أبنية ثلاثية و ثنائية هي ذكر، تلا، صف، زجر، ولعل هذا كان سببا في شيوعها الذي يتوافق طرديا مع أبنية العربية فضلاً على أن هذا المقطع قد وقع عليه النبر والذي اتضح من خلال علامة (×) مما يؤكد أهميته في تأكيد المعنى الذي طرحته الآية.

وتجدر الإشارة إلى أن المقاطع المتوسطة في هذه الآية زادت فيها المقاطع المفتوحة على المغلقة أو (CVV) على (CVC) لتناسب دلالة الآية الحركة الطويلة.

فلو نظرنا إلى الكلمات التي احتوت على المقاطع المتوسطة المقفلة لوجدناها معادة بشكل ما يؤدي نفس المعنى في كلا المقطعين و _ َ ص، ص _ َ فْ / ف َ _ زْ ، ز_ جْ/ ف َ _تْ ، ذ _ كْ / مما يتوافق مع معنى الصف، معنى الزجر، معنى ذكر.

الوقف في هذا المقطع المغلق الذي يقتضي خروج هواء زفيري طويل يقتضي الوقف بعدها حتى يلتقط القارئ أنفاسه ويواصل أداءه مما يتوافق مع حالة الصف والزجر والتلاوة اللامتناهية الممتدة بشكل أدى إلى الاختفاء التدريجي للصورة.

وهذا التتابع الصوتي يظهر مدى توافق المقطع المتوسط المغلق بسكناته و وقفاته مع الاستعداد لامتثال الأمر من الله عز وجل بما يتناسب مع حبس النفس وإطلاقه.

فالإيقاع المتقطع في تبادل المقاطع الصوتية حيث يكتم الهواء فيأتي ساكناً جاء مناسباً مع الحالة الشعورية والنفسية المضغوطة المكبوتة. في الافتتاح بالقسم لم فيه من التشويق

المشحون لمعرفة المقسم عليه كانت قد أوحت بها الحالة السكونية للمقطع. جاء بعدها التقطيع والاستمرار في المقاطع دالاً على ترتيب الجمع على الخط الواحد (ص _ فْ) والدفع بالامر الواحد (ز_ جْ) والذكر بالتسبيح الواحد (ذ _ كْ) بما فيه من إطلاق وحبس.

عاضد هذه الدلالة صوت المدود تا /يا /را /زا /صا /فا التي اقترنت بالألف، والألف أوضح الحركات كلها في السمع[١] ، ناسبت حركة الفك العلوي بالنطق بالإلف إلى أعلى مما يشير إلى فوق مما يوحي بالعلو والامتداد الدال على العوالم العلوية الخاصة بالملائكة موضوع الحدث، في حين دل اقتران الياء بالألف على الصعود من تحت إلى فوق مترافقاً مع حركة الفك السفلي باتجاه الصدر مما يشر إلى تحت ، إن علمنا بأن الملائكة في عوالمها العلوية موكلة بمتابعة أعمال من هم في العوالم السفلية، فالمدود توحى بالاتساع والشمول ومقام العظمة لله تعالى تساندها الأصوات التي ارتبطت بها فالفاء مثلا بمخرجها بضرب الأسنان العليا على الشفة السفلى، توحى بمعاني الفصل التي تلائم عملية الصف للملائكة واهتزاز الراء والزاء لائم زجر الملائكة لما دونهم.

فصوت الإطالة والمدّ توافق مع المقاطع المتوسطة والمفتوحة بدلالاته الحرفية الطويلة السريعة التي عبرت عن معاني الكثرة والامتداد والوصل لهذه المخلوقات فضلاً على أن المقاطع المتوسطة في الآية اقترنت إلى حد كبير بالتشديد فتضعيف الأصوات أدى إلى تضعيف المعنى وتأكيده لينتبه إليه السامع مما شكل نقطة الارتكاز على المقطع المتوسط بنبره، الذي بدوره ولد صوتاً إيقاعيا ساكنا أدى إلى تحويل أحد مقاطع الكلمة من القصير المفتوح إلى المغلق فبدون التشديد كان المقطع (ص ح: ص _ َ ، ز _ َ ، ذ _ َ) و معه أصبح (ص ح ص: ص _ فْ / ز_جْ/ ذ_ ك/.

فكلما زاد المبنى الصوتي زاد تبعا لذلك المعنى، فزيادة صوت التشديد والضغط عليه غالبا ما يرفع الموجة الصوتية ويشدد سواد الصوت في الحزمة الصوتية على جهاز الراسم الطيفي مما يظهر تكلف الصف والزجر والذكر ومشقته الذي يؤكد بدوره على هذه المخلوقات بصفاتها دون غيرها. كما أكد المقطع المتوسط المفتوح صا، را، زا، على امتدادها المتعالي في سموها على مخلوقات العوالم السفلية.

---

[١] أنيس، إبراهيم، (١٩٦٥). موسيقى الشعر، ط٣، الانجلو المصرية ، القاهرة، ص ٢٩٥.

ومن النماذج المقطعية في السورة الكريمة قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ** ﴾ (٣٠)

و ـَ / ما / كا / ن ـَ / ل ـَ / نا / ع ـَ / ل – ي / ك ـُ م								
wa	ma:	Ka:	na	La	na:	a ʕ	Lay	Kum
ص ح	ص ح ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ح	
cv	cvv	cvv	cv	cv	cvv	cv	cvc	cvc
متوسط	متوسط	متوسط	قصير	قصير	متوسط	قصير	متوسط	متوسط
مفتوح	مفتوح	مفتوح	مفتوح	مفتوح	مفتوح	مفتوح	مفتوح	مغلق

م ـ ن / س ـ ل / ط / ن ـ ن / ب ـ ل / ك ـ ن					
min	SuL	Ta:	nin	baL	Kun
ص ح ص	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ص
cvc	cvc	cvv	cvc	cvc	cvc
متوسط	متوسط	متوسط	متوسط	متوسط	متوسط
مغلق	مغلق	مفتوح	مغلق	مغلق	مغلق

ت ـُ م / ق ـ و / م ـ ن / ط / غ – ِي ن				
Tum	qaw	man	Ta:	gin
ص ح ص	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ص
cvc	cvc	cvc	cvc	cvcc
متوسط	متوسط	متوسط	متوسط	متوسط
مغلق	مغلق	مغلق	مفتوح	مغلق

الملاحظ على هذه الآية أنها اشتملت على عشرين مقطعا بلغ فيها عدد المقاطع المقفلة ١٠ مقاطع توزعت فيها باقي المقاطع المفتوحة بين القصيرة والمتوسطة.

ومن هنا نلاحظ تمركز البنية الإيقاعية للآية في الثلاثة مقاطع القصيرة CV ص ح والمتوسطة (ص ح ص، ص ح ح) أو (CVC – CVV) أو (cvcc)، مما يشكل إيقاعا جماليا في الآية الكريمة.

واتسمت الخصائص الصوتية للمقاطع المتوسطة المفتوحة بالمدات الصوتية التالية: ما، كا، نا، طا، بصورة متتالية في أغلبها مما أوحى بإرخاء العنان المختار للضلال الواقع على المشركين بما فيه من امتداد وإطلاق عبرت عنه الألف الصاعدة للأعلى في كل حالاته.

فهذه الحركات الطويلة جاءت للتعبير عن هذه الحالة الشعورية بانسيابية وحركية أظهرت تجاوز الحد في الطغيان فكان صوت الإطالة بمثابة التطهر والمتنفس الذي أطلقه زعمائهم لتبرئة أنفسهم عما في أتباعهم من شرك وعصيان.

فسياق الآية يشير إلى نفي التهمة، وكان من مستلزمات هذا النفي أن تعتمد على مقاطع مفتوحة ومتوسطة توحي بموقفهم الوسط من حيال الموقف.

وقد ساعدت المقاطع المقفلة على نسج هذه الضلال بتواتر اللام في المقطعين (س _ لْ)، (بَ _ لْ) ليوعز بمعنى الانحراف والإضراب عن موقف الطغيان وقدعبر المقطع المقفل (ق _ وَ) عن معنى البعد الذي أوحى به تدافع الهواء في الفم في حرف (و) ليوحي بتدافعهم إلى الضلال وانغراقهم في الطغيان فضم الشفتين إلى الأمام دل على انضمام القوم و اجتماعهم فيما هم عليه " أي كان الطغيان وهو التكبر عن قبول دعوة رجل منكم شأنكم وسجيتكم فلذلك أقحموا لفظ "قوما" بين كان وخبرها لأن استحضارهم بعنوان القومية في الطغيان يؤذن بأن الطغيان من مقومات قوميتهم" [1] ، كما أن تكثيف الترجيع الصوتي للنون والميم أوحى بهذا التداخل.

ويمكننا اعتبار المقطع المقفل (غ ِ _ ي ن) أبرز وجه مقطعي في الآية اختزل فيها معانيها وشكل نقطة الارتكاز لها بنبره، فهذا المقطع الطويل المقفل يبرز اختيار القرآن وانتقاءه لحروف مقاطعة لرسم أبعاده وصوره فالمقطع (غ _ ي ن) ناسب صورة الغي الطويل المتأصل المظلم حيث أوحى الغين بما فيه من غور للمعنى بغرغرة صوته التي تجعلنا نسمعه مثلما نرى الليل المظلم على حفاءهم وامحاءهم بسواد ضلالهم وقد ساعد على تشكيل هذه الصورة الملونة النطق بالياء المكسور ما قبلها ليوحي صوتها كمن يناجي من وادي سحيق بما يشف عما في صميم الإنسان من خصائص متأصلة فيه تمثلت بهذا الطغيان عندهم والذي جاء صوت النون فيها تعبيراً عن هذا البطون في الصميمية في حركة متمثلة من الداخل للخارج شكلها رسمه الذي يشكل نتوءاً " نقطة" في جوف مدور أوحى بخروج هذا الطغيان من أنفسهم برنين النون الذي ساهم في إبراز جماليات الإيقاع والذي أوحى بالتعدي على ما ليس لهم بحق التعدي عليه من معصية الله وخلاف أمره.

---

[1] ابن عاشور، الطاهر. التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١٠٥.

فهذا المقطع الطويل بطول طغيانهم جسد حالات الظلال اللامتناهي للمخـــاطبين بتعـــانق المقاطع مع الصفات لإبراز هذه الدلالة المركزية للآية. في حين ساهمت المراوحة بين المقـــاطع المفتوحة والمغلقة بأنواعها بالتنقل بين الإيقاع الساكن والمتحرك الطويل والقصير لتشكيل الإيقاع الموسيقي للآية بما يتلاءم مع سياقها والحالات الشعورية لقائلها.

ومن أحسن استخدامات القرآن الكريم للمقاطع المقفلة المتوسطة والطويلة:

قال تعالى:﴿ **بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ**﴾ (٣٧).

بـــ ـَ ـلْ / جا / ء ـَ / ب ـ ل / ح ـ ق / ق ـ /						
qi	haq	biL	ʔa	ga:	baL	
ص ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح ص	
cv	cvc	cvc	cv	cvv	cvc	
قصير	متوسط	متوسط	قصير	متوسط	متوسط	
مفتوح	مغلق	مغلق	مفتوح	مفتوح	مغلق	

و ـ / ص ـ د / د ـ / ق ـ لْ / مُ ـ ر / س ـ / ل ـ ي ن							
Lii:n	Sa	mu	qaL	da	Sad	Wa	
ص ح ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح	
cvvc	cv	cvc	cvc	cv	cvc	cv	
طويل	قصير	متوسط	متوسط	قصير	متوسط	قصير	
مغلق	مفتوح	مغلق	مغلق	مفتوح	مفتوح	مفتوح	

بلغ عدد مقاطع هذه الآية ثلاثة عشر مقطعا توزعت بين ستة مقاطع مفتوحـــة وســـبعة مغلقة جاء منها الأخير بأغلبه وقد وقع عليه النبر خاصة في المقطع الطويل المنفرد فـــي آخـــر الآية الكريمة.

وهذا النبر يظهر على جهاز الراسم الطيفي من خلال مقدار السواد الموجود في الحـــزم الصوتية و يزداد بها السواد بمقدار ازدياد ارتفاع علو الصوت في الأصوات الأكثر شدة أي أنـــه يتشكل بازدياد الضغط على بعض الأصوات.

فالمقطع المغلق (ح ـ ق) يشعرنا باستحقاق الشيء ووجوبه باجتماع حـــرف (ح) بمـــا يحويه من عاطفة وحرف القاف بما يحويه من قوة دونما فاصل بينهما ليعبرا عما في الحق مـــن

رغبة وحيازة اوحت بها حرارة الحاء بوقوع الضغط عليه عملت بعدها قوة القاف فوراً على تحقيقها ليجسده هذا الغلق لها مفهوم ظاهرة الحق للرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاء به فاحتكاك الحاء أوحى بحرارة التعلق بمواضيعه - صلى الله عليه وسلم- والإحاطة بها وشدة القاف كشف عما يقتضيه الحق من قوة للحصول على حقوقه بمواجهة ما يلقاه في سبيل ذلك من مقاومة على صعيد الكائنات والأنظمة والقوانين على حد سواء والضغط الذي رافق المقطع على بعض الحروف وما استلزمه من طاقة هوائية بذلت في إخراجها أوحت بمقدار ما يتطلب من جهد في إخراجه ليؤكد أهميتها وقيمتها عند السامع.هذه المعاضلة ظهرت على جهاز الراسم الطيفي باتساع الموجة الصوتية Amplitude التي تعتمد على مقدار الطاقة التي تستهلك من أجل انتهاجها الذي يقابل اتساع الموجة علو الصوت " أي كلما كان الصوت عاليا كلما اتسعت الموجة الصوتية"[١]. فهذه المعانقة الثلاثية بين المقطع الصوتي، والصفات، والراسم الطيفي خلق دلالة مركزية بارزة لكملة الحق.

كما كشف المقطع المتوسط المقفل بسكونه (بَ _ لْ) و(بـ _ لْ) عن معاني الإضراب والبلبلة، الإضراب الذي يدعم ويؤكد المخاطب (ﷺ) بحضور الحق، والبلبلة التي ترافق أخذ الحق مما خلق حركة إيقاعية اتسمت بالخفوت والاستمرار توافقا مع ما يتطلبه اخذ الحق من كر وفر وسكون اقفل به المقطع ليوحي بسكون الحق ثباته.

ومن ألطف ما جاء به المقطع المقفل بهذه الأية بديعيا هذه التورية التي حملها المقطع (م ُ _ رْ) والتي اشعرتنا بطعم المرار المرافق للرسل في أثناء دعواتهم، ومرور الرسل وتلاحقهم الواحد بعد الأخر على هذا النهج في المجيء بالحق أكده تكرار حرف الراء بضرباته المتتالية الواحدة بعد الأخرى حيث قدم صورة صوتية مماثلة للصورة المرئية توافقت مع المقطع (ص _ د) ليدل على معنى الاعتراض والمنع فقد جاءت شدة الدال ومقاومة القاف وصلابة الصاد لتجعل المعنى يتجاوز عن الإخبار عن الواقع إلى صفاء الطوية وصد الانحراف والخلل.

كما أن ظاهرة التنوين في المقطع الطويل المنبور أدت إلى إغلاقه ليحدث له السكون صفة لاصقة بالمرسل أوحى بها المقطع (ل _ ى ن) تمثلت باللين والرفق الملازم للمرسل لقوله تعالى " ولو كنت فظا غليظ القلب لانفظوا من حولك "

---

[١] مصلوح، سعد. دراسة السمع والكلام، ص ١٧٧.

فهذه المقاطع الثلاث المغلقة المنبورة شكلت هرم الدعوة (ح _ ق) (ص _ د) (م _ ر) بمجيء الحق والتصديق للإرسال وهذا الهرم يحتاج إلى نشاط لإكماله مثلـــه النبـــر علـــى المقاطع حق تمثيل.

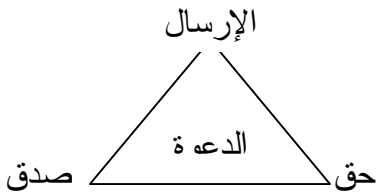

ومن استعمالات النص القرآني للمقاطع الصوتية قوله تعالى ﴿ **هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنـــتُمْ بِـــهِ تُكَذِّبُونَ**﴾ (٢١).

و ـَ / قا / ل _ و / يا / و _ يْ / ل ـَ / نا / هـــ ـَ / ذا /								
ʔa:	ha:	na:	La	Way	ya:	Luu:	qa:	wa
ص ح ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ح
cvv	cvv	cvv	cv	cvc	cvv	cvc	cvv	cv
قصير مفتوح	متوسط مفتوح	متوسط مغلق	متوسط مفتوح	متوسط مغلق	متوسط مفتوح	قصير مفتوح	متوسط مفتوح	متوسط مفتوح

ي _ وْ / م ـُ _ د / د _ي ن/ هـــ _ / ذا / ي _ و / م – ل / ف _ص / ل _ ل/								
LiL	FaS	muL	yaW	ʔa:	ha	dii:n	mud	yaW
ص ح ص	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح ص
cvc	cvc	cvc	cvc	cvv	cv	cvvc	cvc	cvc
متوسط مغلق	متوسط مغلق	متوسط مغلق	متوسط مغلق	متوسط مفتوح	قصير مفتوح	طويل مغلق	متوسط مغلق	متوسط مغلق

/ ل ـَ/ذ _ ي / ك _ ن/ ت _ م / بـــ -ِ/ هـــ _/ ت_/ ك ـَ ذ/ ذ – ِ/ ب _ ون									
buu:n	ʔi	Kaʔ	Tu	hi	bi	Tum	Kun	ʔij	La
ص ح ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ص	ص ح
cvvc	cv	cvc	cv	cv	cv	cvc	cvc	cvc	cv
طويل مغلق	قصير مفتوح	متوسط مغلق	قصير مغلق	قصير مفتوح	قصير مفتوح	متوسط مغلق	متوسط مغلق	متوسط مغلق	قصير مغلق

لقد تمركزت البنية الإيقاعية للآية في المقطع القصير والمتوسط والطويل وقد جاءت هذه المقاطع بصورة المغلق والمفتوح بعدد ارتقى إلى اثني عشر مقطعا زادت فيها المقاطع المفتوحة على المغلقة حيث توزعت هذه المقاطع " المفتوحة" الطويلة (يا، نا، ذا، و رَ، هـ رَ، قـا) من بداية الآية إلى ما قبل نهايتها معتمدة على حرف النداء في طلب الاستغاثة بامتداد صوت المنادي بما يتوافق مع خروج الصوت من هاوية نفسية عميقة أوحت بالضائقة والشدة التي وقع فيها المستغيث بامتداد الزمان لهذا اليوم عبر عنه امتداد الألف بعد أن قرب المقطع (ذا) بإشارته حضور هذا اليوم البعيد.

ومما جعلنا نلمح توزيعا يشف عن جماليات الإيقاع الموسيقى باجتماع المقاطع (قا، يا، نـا،ذا) ، (و ـَ ، هـ ـَ، ل ـ َ) التي أظهرت مقام الحسرة والتأوه بما تفوه به الكفار فجاءت هذه المقاطع مناسبة لحالات الوصل والمد المتتابعة في الآية والتي اتفقت مع الحالات الشعورية والنفسية.

ولم تستفرد المقاطع المفتوحة دلالة الآية بل عانقتها المقفلة في توزيع متناسب لإبراز هذه الدلالة المحورية للآية في طلب الاستغاثة فالمقطع (و_ يْ) يشعرنا بالهلاك كمن يقع من أعلى إلى أسفل إذا أن من مقتضيات الهلاك الوقوع الذي جاء بدوره مناسبا مع خروج صوت الياء كمن يصرخ في حفرة لعدم تمكنه من التعدي بعد أن وقع على المحك الذي أوحى به صوت الياء الذي طابقه بعد الواو للأمام في مكان مغلق يصعب التراجع منه كان قد أوحى به انغلاق المقطع معبرا عن كتمان هذه الآهات الحبيسة التي تتطلب أن يخرج الصوت بعبارة (و _ ي) فهذا السقوط تطلب ردة فعل للصعود أوحى بها المقطع المغلق المقلوب له (ي _ و) ليتناسب ونداء الاستغاثة للخروج.

وأشعرنا المقطع المقفل [م ُ_ د] بهذا المد للدَين لتصوير مد الأعمال بما يتوافق مع أخذ الجزاء الذي عبر عنه النبر في المقطع [د _ ي ن] بالضغط الكبير على الصوت الملائم لعملية الأخذ التي تتطلب وقتا ليس بالقصير وقف عند آخره لأخذ الجزاء.

عاضد هذه الدلالة المقطع المغلق [ف _ صْ] (ل _ ل) الذي جاء يدل على معنى النزع والتفريق فالفص في اللغة ملتقى كل عظمين في الجسد الذي دل على معنى الفصل، بمخرج الفاء بانفراجها وصلابة الصاد باحتكاكها وتعلق اللام بصفتها دلت على معنى التبعيد بين أجزاء الشيء مع إبقاء العلاقة بين الأجزاء المفصولة عن بعضها بعضاً. والتي أعطت بدورها معنى الفصل الذي يقوم عليه أخذ الجزاء " الدين"، كما قد أعطى المقطع (ك – ذ) صورة انفضاح الكاذب وقد صار ما كذبه حاضراً فالكذ يعطى معنى ما صلب وخشن بهذين الحرفين ليدل على صلابة وجه الكاذب لفقدان ماء الحياة فيه وقد صار ما كذبه ماثلا أمامه عينيه حيث ازداد هذا التصوير وضوحا بانفجار الكاف التي أوحت بالصراع الداخلي واهتزاز الذال الذي

أوحى بالاضطراب النفسي مما يفضح الكاذب نفسه بنفسه لما يعانيه من اضطراب في النفس خرج على وجه الذي رأى به ما كذبه وقد صار قريبا ومشاراً إليه بالمقطع المفتوح (ذا) فخرجت آهاته في هواء زفري طويل عبرت عنه المقاطع القصيرة والمتوسطة بياويلنا.

إن تدبرنا لهذه الآية يجعلنا نخرج بنسبة تكاد تكون متعادلة بين المقاطع المفتوحة والمغلقة لتصوير حال قاصرات الطرف في الجنة بقوله تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ(٤٨)كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ(٤٩)﴾

لقد بلغت عدد المقاطع في الآية اثنا عشر مقطعا زادت فيها المقاطع المفتوحة بمقطع على المقاطع المقفلة اثنان منها قصير يمثل سرعة حركة الطرف.

ولعل في زيادة المقاطع المفتوحة (قا، ص _ را، ف -ِ) ما يوحي بامتداد القصر في النظر إلى مالا نهاية فهذه المقاطع تتابع بصورة المتوسطة، فالقصير فالمتوسط فالقصير، بما يتناسب مع حركة الجفن في النظر والانكسار، الذي حقق بدوره إيقاعا ناسب حالات الوصل والمد المتتابعة في الآية الكريمة والذي بدوره كثف الإيقاع بواسطة المراوحة بين المد بالألف كحركة طويلة والمد بالكسرة كحركة قصيرة الأمر الذي أشعرنا بالتنعيم.

قا / ص _ / را / ت ُ _ ط / ط _ رْ / ف _ / ع _ ي ن / ك َ _ / ا َ _ ن								
qa:	Si	ʿa:	TuT	Tu	Fi	ʿi:n	Ka	ʾan
ص ح ح	ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ص	ص ح	ص ح ح ص	ص ح ص	ص ح ص
CVV	CV	CVV	CVC	CVC	CV	CVVC	CV	CVC
متوسط	قصير	متوسط	متوسط	متوسط	قصير	طويل	قصير	متوسط
مفتوح	مفتوح	مفتوح	مغلق	مغلق	مفتوح	مغلق	مفتوح	مغلق

ن َ _ / هــ _ ن / ن َ _ / ب _ي / ض _ ن / م _ ك / ن ُ _ و ن _						
na	hun	na	bij	dun	mak	nuWn
ص ح	ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ح ص
CV	CVC	CV	CVC	CVC	CVC	CVVC
قصير	متوسط	قصير	متوسط	متوسط	متوسط	طويل
مفتوح	مغلق	مفتوح	مغلق	مغلق	مغلق	مغلق

ومما ساعد على نسخ هذا الإيقاع المقطعين المقفلين [تُ _ ط] [ط _ رْ] اللذان توسطا حركة الإيقاع ليوحيا بانغلاقهما عن معاني الحبس لهذا الطرف فلا تتحرك إلا للإطرار على

أزواجهم والذي دل عليه إدغام ت في ط عند نطق [ت _ طْ] [ط_ رْ] بإطباق الطاء . وقد جاء المقطع الطويل للتعبير عن سعة العيون للقاصرات.

ولتصوير حبس النظر حياء الذي خصت به قاصرات الطرف جاءت المقاطع المغلقة بنسبة أعلى لمناسبتها الصبغة اللونية المقصودة بالتصوير من تتابع هذه المقاطع لتجسيد هذا البياض المكنون للقاصرات في المقطع [ب – ي] [ض – ن] [م- ك] [ن – ن] . التي توحي بمعان اللمعان للبياض بكنه. إن نطق هذه المقاطع يشعر بهذا اللمعان للبياض وقد اختار القرآن الكريم لهذه الآيات حروفا مطابقة صوتيا ودلاليا فهذه الحروف التي شكلت المقاطع حروفا انفجارية ساهم الانفجار فيها بتوليد اللمعان لمعانيها وحرف الضاد بإطباقه مكن من رسم هذه الصورة باستعلاء أقصى اللسان ووسطه إلى جهة الحنك العلوي وانطباق الحنك على وسط اللسان بحيث انحصر الصوت بينهما[١].

لذا فنحن نحس بهذا الكمر والكتم بانطباق الحنك على وسط اللسان وقد ساعد صوت النون صوت الضاد في تحقيق هذا المعنى ونسجه حين أوحى بالرقة والحنان المناسبة لمعاني الأنوثة التي دل عليها المقطع [هـ - ن] مما ولد إيقاعا موسيقيا ساكنا بالوقف على هذه المقاطع التي دلت بوقفها الطويل على شدة لمعان البياض الناتج عن الكن له.

وبعد استعراض هذه النماذج المختلفة من سورة الصافات نختم هذا الاستعراض بنموذج من قصص الرسل عليهم السلام وهو ما ابتدء البعث للبشرية به سيدنا "نوح عليه السلام" إبرازاً للدور الوظيفي والجمالي للمقطع الصوتي ففي قوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ(٧٥)وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنْ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ(٧٦)**﴾

لقد توزعت الطاقة المقطعية للآية الكريمة بكثافة صوتية تراوحت ما بين تسع مقاطع مفتوحة و ست مغلقة كانت حصة كل منها من القصير والمتوسط سبعة مقاطع ومن الطويل واحدة للمغلق ليكون المجموع خمسة عشر مقطعا صوتياً.

---

[١] بركة، بسام، علم الأصوات العام، ص ١١٥.

و ـَ / ل ـَ / ق ـ د / نا / دا / نا / ن ـُ / ح ـ ن / ف ـَ /
Fa hun nu na: da: na: qad La Wa
ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح
cv cvc cv cvv cvv cvv cvc cv cv
قصير قصير متوسط متوسط متوسط متوسط قصير متوسط قصير
مفتوح مفتوح مغلق مفتوح مفتوح مفتوح مغلق مفتوح

ل ـَ / ن ـ ع / م ـ ل / م ـُ / ج ـ ي / ب ـ ون / و ـَ
Wa buu:n dj=d/ij mu maL niʕ La
ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص
cv cvcc cvc cvc cv cvc cv cvc
قصير متوسط متوسط قصير متوسط قصير طويل قصير
مفتوح مغلق مغلق مفتوح مغلق مفتوح مغلق مفتوح

ن ـ ج / ج ـ ي / نا / هـ ـُ / و ـ ـُ / ا ـهـ / ل ـ ـَ / هـ ـ ـُ /
hu La ʔah wa hu na: djii: nag
ص ح ص ص ح ص ح ص ح ص ح ص ح ص ص ح ص ح
cv cv cvc cv cv cvv cvv cvc
متوسط متوسط متوسط متوسط قصير متوسط قصير قصير
مغلق مفتوح مفتوح مفتوح مفتوح مغلق مفتوح مفتوح

م ـ / ن ـ ل / ك ـ ر / ب ـ ل / ع ـ ـَ / ظ ـ ي م
ʕii:m ʔa biL Kaɾ naL mi
ص ح ص ح ص ص ح ص ص ح ص ص ح ص ح ص
cvvc cv cvc cvc cvc cv
قصير متوسط متوسط متوسط قصير طويل
مفتوح مغلق مغلق مغلق مفتوح مغلق

إن تلاحق المقاطع المتوسطة المفتوحة في الآية الكريمة [و -َ/ نا / هـ -ُو – / ل – َ / هـ - َ / م – ِ / ع – َ] من بدايتها إلى آخرها متراوحا في المد بين حرف الواو القصير والطويل وحرف الياء الطويل والقصير أشعرنا بتدافع النجاة بقوة للمكروبين . بمخرج الواو والياء اللـذين تدافع معهما النفس عند خروج صوتيهما في جوف الفم دون أن يصدمان بأي عائق عاضد هـذه الدلالة المركزيـة اجتمـاع المقـاطع المقفلـة (ن ـ ج)، (ا ـ هـ)،(ل ـ ل)، (ك ـر) (ب_ل)، (ظ ـ ي م) .

لقد ساهمت حروف المد في رسم صورة فنية تساندت فيها المقاطع المتوسطة بامتداداتها القصيرة والطويلة لرسم صورة حركية للغم الشديد. استطاعت بها حروف المد الألف اللينة بامتدادها للأعلى – حرف الواو بحركته إلى الأمام والياء للأسفل بتصوير مشهد الطوفان في صعوده وهبوطه. فهذه المقاطع (و ـَ ، نا،هـ ـُو ـَ، ل ـَ ، هـ ـُ، م ـِ ، ع ـَ) تبدأ بتقدم للأمام ثم ارتفاع ثم تقدم للأمام يليه علو فهبوط للتقدم من جديد مما يشعرنا بهول المنظر وخوف الوقوع فيه. عاضد هذه الدلالة جهر أصوات الكرب التي ناسبت مقام ارتفاع الطوفان وانخفاضه والذي عبرت عنه المقاطع المفتوحة المكثفة بإشارتها للامتداد والاتساع فيه مما خلق ترجيعا صوتياً أظهر تنغيماً موسيقياً وقد أحدث المقطع مثل الوقف بالمقطع (ظ – ي م) بوقف الغم الطويل لتحقق النجاة. وبهذا نجد أن اللغة التي تقوم على مبدأ المقاطع لغة إيقاعية أكثر من غيرها كالعربية ومن هنا أتى سحر الكلمة في اللغة العربية بموسيقى تخللت جميع أجزائها وحسب أغراضها لا سيما في النص القرآني.

رابعاً: إيقاع الوحدات اللغوية:

إن اختيار لفظة إيقاع للوحدات الصوتية في هذا المبحث اختيار يقودنا إلى معنى التكرار والتعدد وارتباط هذا الإيقاع بالوحدات اللغوية يعنى تجاوزنا عن المفرد للمركب وبما أن هذه الوحدات تتعلق بالدراسة الصوتية فإن الاختيار يعنى الأصوات التي يؤدي جرسها ذهنياً إلى استحضار المعنى الذي تمثله.

لقد تنبه علماء اللغة من خلال دراستهم للنص أن النص يقوم على الجمع بين عناصر متعادلة تكرارية تحت ما يسمى بالمردودية الصوتية الإيقاعية، والتي تكاد تبنى على مفهوم الموقع الذي يتسع تحدد حينئذ للعلاقات التركيبية والمقولية بصفة عامة في موقع استبدالي تحدد فيه دلالة الكلمة بعلاقاتها بمعاني الكلمات المجاورة لها أي موقع الأصوات من الكلمات.

فموقع الأصوات بالنسبة لياكبسون مؤشراً ينبغي أن ينبهنا إلى وجود واقعة فـ " عندما نلتقي بملامح "traits" ومتواليات فونيماتية ..... عندما نلتقي، بهذه الوقائع جميعا في مواقع متجاوبة داخل البيت أو داخل المقطع فإننا نجد أنفسنا ضرورة، عن وعي أو عن غير وعي أمام الأسئلة التالية: هل توجد رابطة تتشابه بين هذه المجموعات المتجاوبة بفضل مواقعها؟وإلى أية درجة ؟ وبأي طريقة؟"[١].

الأمر الذي يؤلف إيقاعا متناسقا ونغما متجانسا نتيجة التلائم وهو ما نجده في التجنيس والترصيع وإيقاع الصيغ المتمثلة في هذا المبحث بحسب اشتقاقاتها. فهذه الوحدات الغاية منها تحسين اللفظ الذي يسهم في تشكيل الموسيقى بين لكلمات في النص.

١ - **التجنيس**:

إن التناسب اللفظي عند اللغويين والنقاد القدامى كان إرهاصاً للعناية بالجرس الصوتي وأثره الدلالي والإيقاعي ونعنى بالجرس الصوتي والجناس الصوتي: وهو " أن يتفق اللفظتان في وجه من الوجوه ويختلف معناهما، فما هذا حاله عام في التجنيس التام والتجنيس الناقص"[٢] .

---

[١] العمري، محمد، (١٩٩٠). تحليل الخطاب الشعري بالبنية الصوتية في الشعر، ط١، الدار العالمية للكتاب، الدار البيضاء، ، ص (١٤٣).

[٢] العلوي، يحيى بن حمزة.(١٩٨٠). الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز،م٢،ج٢، بيروت، لبنان،ص ٣٥٦. وللمزيد انظر: عصفور جابر، مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي، ط٣، التنوير، بيروت، ص ٢٧٦ – وما بعدها. القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن.(١٢١١- ١٢٨٥م)، (١٩٦٦)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء (تحقيق محمد الحبيب بين خوجة)، دار الكتب الشرقية، تونس، ، ص ٢٢٢. بن المعتز، عبد الله، البديع، اغناطيوس كراتشفوسكي، ط٣، دار المسير، بيروت، ١٩٨٢،ص (٨٥ – ١١١)

وقد نبه السكاكي إلى ميزة الجناس التام حيث قال " ووجه حسن هذا القسم، أعنى التام حسن الإفادة مع أن الصورة صورة الإعادة"[١].

وقد فطن بعض النقاد القدامى إلى قضية الجرس الصوتي فأشاروا إلى القدرة على التهدي إلى العبارات الحسنة التي تشير إلى التلاؤم.

كما تتضح أهمية التماثل اللفظي عند العديدين من النقاد المحدثين الذي يرون فيه (الأصوات المتشابهة التي تتكرر في النص ويحدث تكراراها موسيقى إيقاعية تكون ذات أثر فعال في جماليات النص وأبعاده الدلالية، لذلك فقد أضافوا للنوعين السابقين نوعاً ثالثاً يدعى بالجناس الاستهلالي الذي يتحقق حين تبدأ كلمتان أو أكثر بصوت واحد يتكرر في كل من الكلمتين المتتاليتين أو الكلمات المتتالية فيحدث نوعا من النظم الموسيقي العذب بالتقاط صدى الصوت الأول وترديده [٢] .

فالجناس وجه من وجوه التحسين البديعي اللفظي في كتب النقاد القدماء الغاية منه تحسين اللفظ وإن حسنت المعنى أحياناً، وعلامته أنه لو غير اللفظ الثاني إلى ما يرادفه زال ذلك الحسن، وهذه الحقيقة قربته إلى الدراسة الصوتية لما يسهمه من تشكيل للموسيقى الداخلية بين الكلمات.

ولذلك سنتتبع الجناس في السورة الكريمة حسب أنواعه القديمة والحديثة بما يتناسب مع التشكيل الدلالي والإيقاعي.فالجناس في قوله تعالى: ﴿ **وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ(١١٧)وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ(١١٨)**﴾

المستبين
المستقيم

مضارعة تجنيسية
نَ – مَ
اختلاف صوتين
بينهما قرابة

إن حالة الأصوات في تقاربها وتباعدها تشمل كل صور الكثافة التوازنية كما أن المواقع النحوية والصرفية المتعادلة ترجح توازن الأصوات في مستوى من مستوياتها فالأصوات الواقعة في حيز توازني من تجانسات هو هذا السياق الذي اكتشف فيه البلاغيون العرب هوية الصوتين المختلفين ضمن سلسلة متماثلة فيما اسموا المضارع، فقسم التجنيس بحسب قرب مخرج

---

[١] السكاكي، (١٩٨٣). مفتاح العلوم، (تحقيق نعيم زرزور)، بيروت، ص ٤٢٩.

[٢] نحلة، محمود أحمد. (١٩٨١). لغة القرآن الكريم في جزء عم،دار النهضة للطباعة والنشر،بيروت،ص٣٥١.

الصوتين المختلفين إلى "مضارع" و " لاحق" ويقول السكاكي " التجنيس المضارع أو المطـــرف، هو أن يختلف الطرفان بحرف أو حرفين مع تقـــارب المخـــرج" واللاحـــق أن يختلفـــا لامـــع التقارب"[١].

وَ	ء	ت	ي	ن	اهـــ	ما	ا	ل	ك	ت	ا	ب	ال	م	س	ت	ب	ي	ن
وَ	هـــ	د	ي	ن	اهـــ	ما	ا	ل	ص	ر	ا	ط	ال	م	س	ت	ق	ي	م

هناك تواز نحو ى بين الآيتين وبالتالي تناسق في الحركات الإعرابيـــة جـــاءت العلاقـــة بـــين الأطراف الفعلية فكل كلمة من الشطر الأول تحتل موقعا لسانيا هو موقع نظريتها فـــي الـــشطر الثاني: -

الوحدات المتوازنة	و	آتى	نا	هما	الكتب	المستبين																	
	و	هدى	نا	هما	الصراط	المستقيم																	
الموقع اللساني	رابط	فعل	ضمير	م بـــ	م بـــ	نعت																	
	بحسب	ماض	تكلم	مثنى	مفرد	مفرد																	
			مفرد			اسم فاعل																	
			فاعل																				

فهذا التوازي النحوي، والصرفي حقق فضاء توازنياً بين المقطعين حقق بـــدوره تعـــادلاً صوتياً دلالياً كانت المخالفة فيه تالية للمؤالفة باعتبار المنطق العام لدينامية الأشكال تحققت فـــي الكلمتين المتجانستين المستبين، والمستقيم فالنظر المتأني يكشف عن دور التجانس في التنبيه إلى اختلاف المعنى فالمعاني المختلفة مطروحة في الطرقات دون أن تثير الانتباه كما يثيره اختلاف معاني الألفاظ المتجانسة فالجناس يلعب دور الموقع المناسب لبروز الاختلاف، الذي يلعب بدوره دور المعارضة لنزوع الأصوات إلى التجانس (م،ن) الذي لا يعمـــل بـــدوره إلا علـــى تأكيـــد اختلاف المعنى.

---

[١] السكاكي، (١٩٨٣). مفتاح العلوم، (ضبطه نعيم زرزور)، بيروت، ص ٤٢٩.

إن الاختلاف الصامتي بين الكلمتين يبرز حقيقة اختيار القرآن لوحدات صوتية لغوية معينة لأن المقام يستدعي هذا الانتقاء والاختيار فاختيرت حروف المد واللين في المقطع الأخير لأن الصوت الأخير يقع موقع التقفية والسجع، فعليه الوقف مهما كان نسبياً بعد وحدة معجمية وبهذا تكون قيمة الموقع في المقام الأول صوتية، حيث يرى ابن دريد أن حروف اللين (يسميها حروف المد) "إنما احتملت المد لأنها سواكن اتسعت مخارجها حتى جرى فيها الصوت[١] ".
فحرف المد الياء مطل للحركة أو هو إشباع لها بفضله تحول المقطع القصير المفتوح إلى طويل مفتوح،" معبرةً عن اللامتناهي من الاستقامة والاستبانة".

ب ـِ ص ح	← ص ح ح ب ـِ ي
ق ـِ ص ح	← ص ح ح ق ـِ ى

فهذا الإشباع يشبه انعدام الحركة (السكون) من حيث كونه لا يؤدي إلى ظهور مقطع صوتي[٢] فيتحول المقطع الثاني القصير المفتوح إلى قطع ثلاثي طويل مفتوح وهذا نفسه ما يقع لو أضفنا إلى ق أو ب صوتاً صامتاً م أو ن(ق ـِ م) ،(ب ـِ نْ)، من غير الإشباع عندها يستوي دور الإشباع الذي حول الحركة إلى مدّ، وحول المقطع القصير المفتوح إلى مقطع مفتوح، يستوي مع دور السكون الذي يحول المقطع المفتوح إلى مغلق[٣].

ق _ ى ب _ ى	= - ٥	← ص ح ح = ص ح ص

إن هذا التمطيط للزمن الفاصل بين صامتين بعد الفراغ من نطق الصامت قام به المد وقد صاحبه رنين ما كنا لنسمعه لولا المؤالفة التي أحدثتها الأصوات المتجانسة والمخالفة التي تخللت هذا التجانس هذه المجانسة بين القاف، والباء مع حرف المد الياء الذي ناسب الكسرة فجعل الانتقال متوازنا مع الحاسة الموسيقية عند السامع بما يُشكل إيقاعا موسيقيا متجانساً رافق

---

[١] ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي.(٢٢٣-٥٣١هـ)، (١٩٤٥). الجمهرة،ج١، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ، ص ٨.

[٢]جعفردك الباب، (١٩٨٣). الساكن والمتحرك، اللسان العربي، ع (٢٠)، ص ١٥. وينظر أيضاً: جعفردك الباب، (١٩٨٢). الصوامت والصوائت في العربية، اللسان العربي، ج١، ص ٣١-٣٦. انظر، جعفردك الباب، الدراسات الصوتية في التراث اللغوي العربي، مجلة المعرفة.

[٣] المصدر السابق، ص ١٥.

انعدام الحركة (السكون)، مع المد حركة في السكون تلاها سكون أي امتداد زمني بعد الصامت فهذا الصامت الساكن نْ،م، يتحرك بالضرورة ويصاحبه في حالة الوقف هاء ساكنة حيث لا بد لك من الشعور بتكرر الساكن أينما وجد وإذا أخطأت إدراك مكررة الخافت المتحرك فما عليك إلا الإبطاء في لفظة حتى تتأكد من أن كل حرف ساكن يجمع إليه مكررة المتحرك حتى كأن السكون نفسه لا يخلد من الحركة وإن بدا لأعيننا العكس فهذا توهم"[١].

فإمكانية التمطيط للزمن قبل النطق بالصامت الثاني المجهور صاحبه رنين لحظة التمطيط بالنطق ناسب صفة الجهر لها.

فبين المد سكون وبين السكون حركة يتلوها سكون عبر عنه مقام المجانسة بين الأصوات وهذه المجانسة التي تمثلت بمقام المؤالفة والمخالفة ظهرت على جهاز الراسم الطيفي من خلال تفاوت الموجات والحزم الصوتية حيث ترتفع بعض الموجات الصوتية وتنخفض الأخرى وما بين الارتفاع والانخفاض يتشكل التنغيم حيث تنخفض الحزمة الصوتية في صوت النون الصامت وتزداد مرة أخرى مع صوت اللام ثم ينخفض تردد الحزمة عند الميم الصامت وهكذا بين الهبوط والصعود أو الازدياد أو الانخفاض يحدث إيقاعا صوتياً يتوافق مع الحالات الشعورية والتشكيل الإيقاعي. فالشفتين والفكين يستقران في انطباقهما على بعضهما بعضاً، عندما تلفظ في نهاية الكلمة لتكون بذلك اشد تمثيلاً لواقعه الانسداد والانغلاق على الدين الحق في النهاية، أما عندما تلفظ الميم في أول كلمة فإن الشفتين والفكين لا تلبث أن تنفرج عن بعضهما بعضاً لتكون بذلك أصلح لتمثيل وقائع التوسع والانفتاح والتمدد المناسبة لمعنى الظهور الشديد الواضح للاستبانة للكتاب، كما إن استقرار الشفتين في نطقهما للميم في انطباقهما على بعضهما بعضاً، في نهاية اللفظة يوحي بالثبات على هذا الصراط، عاضده ضم الشفتين على بعضهما بشيء من الشدة والتأني في بداية اللفظة، لتكون أكثر تمثيلا لواقعة الجذب له، مما شكل انسجاما وتجانسا بين الإمكانيات التجانسية للأصوات بغض النظر عن انتمائها إلى الكلمات دون اختفاء للعامل الدلالي الذي أخذ وجه المؤالفة التي أحدثتها كما قلنا الأصوات المتجانسة والمخالفة التي تخللت هذا التجانس في السياق والمحتوى للموضوع المعالج. ومن هنا يتشكل الإيقاع وتتعدد الدلالات.

---

[١] نعيم علوية، (١٩٨٠). الحركة والسكون في اللغة والكلام العربيين، مجلة الفكر العربي المعاصر(٦- ٧)، ص (١٠٧ – ١١٠).

وأما ما نلمسه من تجنيس صوتي في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ(٧٢)فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ(٧٣)﴾

نجده في اللفظتين { **منذرين** / **المنذرين** } الرسل / الضالين مماثلة

×	م	ن	ذ	ي	ن
ال	م	ن	ذ	ى	ن

هذه المماثلة تشعر القارئ وكأن اللفظتين قد تكررتا فالتكرار هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظة والمعنى، وهو مما لا يعد جناسا على الرغم من استيفاء شروط الجناس التام لولا اعتبار اختلاف المعنى فانتفاء عنصر الاختلاف أبعده عن التجنيس وقرب الترديد إليه فاللفظة التي تتردد تفيد معنى غير معنى زائدا بل الأولى تبيان الثانية، وهنا عندما ننسب الكلمتين المكررتين إلى جهتين مختلفتين دلاليا او نحويا فالاختلاف ليس مصدره معنى الكلمتين في ذاتها بل في محيطها في السياق الذي تردان فيه ففي الترديد إبراز للمعنى السياقي عن طريق عدوى المجاورة حيث ينتقل الاختلاف الموجود بين أرسلنا (رسلا ينذرونهم) وبين (انظر عاقبة) حالهم في الدنيا والآخرة إلى منذرين لتصبح كلمتين تميزهما هذه النسبة. فكانت الأولى موصولة بالإرسال والثانية بالعاقبة فظهرت كالمختلفتين بفعل تأثير المكونات المجاورة لها والداخلة معها في علاقات إسنادية متنوعة تنفذ إلى جوهرة فتشعر باختلافه عن نفسه، فالإنذار هو هو في ذاته وليس هو هو في سياق الآية الكريمة، لأن إرسال المُنْذِرين ليس هو عاقبة المُنْذَرين، فالإرسال حرب على الإنذار أبرزه موقع الاختلاف الكامن والمقدر الذي اقتضى فتح الذال وكسرها مع حرفي المد (الياء) واللين (النون) في المقطع المغلق حيث اكتفى بالمعادلات الكمية بتعادل المد مع النون (أي الحركة في السكون) وتتعادل النون مع المد في مقطع واحد (رِ - ى ن) ضمن آلية مقطعية صوتية خضعت للمعادلة الكمية في تعادلٍ للنوع واتحادٍ للكم.

وكل بنية صوتية أو دلالية سواء كانت صامتة أم صائتة تقوم وظيفتها على مستوى النص، وتضافر هذه الأصوات المنظومة يؤدي إلى تشكيل المعنى، ولو تغيرت بعض البنى الصوتية في سياقها فبالتبعية سوف يتغير التشكيل الصوتي الذي يؤدي بدوره إلى تغير المعنى.

أما التجنيس الاستهلالي في السورة الكريمة فإننا نلمح فيه هذا التداخل الصوتي بين الحروف المتتابعة في الكلمة كما في قوله تعالى:﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾ حيث جسد حرف

القاف هذا النغم الموسيقي القلق بتحول جناس الصوت إلى ترجيع صوتي حرفي لحـــرف القـــاف متداعيا مع الألف إذ نشعر بفعل هذه القلقلة بهذا القلق النفسي القرين.

كما ساهم تتابع حرف الميم بغنته بتصوير المقامات المقدرة بقوله تعالى:﴿وما منا إلا وله مقام معلوم﴾ بهذا التداعي والترجيع الصوتي الذي جسد تناغما بالتقاط صدى صوت الميم مفرداً أو ترديده مدغما مع ن لإحداث جرس موسيقي عبر عن تلاحق الخلق باختصاص مقام كل مـــنهم. كون أن الصوت هو العنصر الباني لهذا الجناس.

ـــــ م م نا ـــــ ـــــ م ـــــ م م ـــــ م .

ونجد تتابع الصوت في الآيات الكريمة جليا واضحا في قوله تعالى: ﴿ أَءِذَا مِتْنَـــا وَكُنَّـــا تُرَابًـــا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾(١٦)

اء ـــ ـــ نا ـــ نا ـــ ن ـــ ن اءنا ـــــــ ن.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾(٤٥)

ـــــ ـــــ ـــــ ن م م ـــــ ن

﴿ فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴾(٦٦)

ـــــ ـــــ م ن ـــــ م ـــــ م ن ـــــ ن .

مجسدا بذلك لعملية الحشو بالإدغام بغنة بين م ، ن .

﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾(٧٥)

ـــــ نا ـــــ نا ن ـــــ ن ـــــ ن.

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ﴾(١٧٤)

ـــــ ـــــ ح ـــــ ح ـــــ

﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ﴾ (١٧٨)

ـــــ ـــــ ح ـــــ ح ـــــ

وكأن الجناس الاستهلالي جاء شاملا للآيات التي تعبر عن حال الـــضالين المـــشركين و عباد الله الصالحين فاستهل الكلمات لتصوير سرعة تعجيل العذاب وسرعة الرحمـــة والجـــزاء. بحروف كان أغلبها من اللام والميم والنون للفت انتباه السامع لهذه الحقيقة فقد وجد المحدثون أن اللام والنون والميم " تحتل القمم على جهاز الراسم الطيفي تاركة الوديـــان للأصـــوات الـــساكنة وتلك القمم هي أعلى ما يصل إليه الصوت من الوضوح"[١].

---

[١] أنيس، إبراهيم. الأصوات اللغوية، ص ١١٠.

٢ - إيقاع الصيغ:

إن إيقاع الصيغ اللغوية مرتبط بمادة الجذر اللغوي، الذي ورد في السورة الكريمة على صور أعطت إيقاعاً خاصاً شعر بها قارئها من حيث ترديد الصيغة بأشكال مختلفة، فما ولد معاني جديدة من مادة الجذر الواحد.

فقد ورد الجذر في السورة الكريمة على صور متعددة منها:

١ - صورة جمع إسم الفاعل المؤنث والمصدر للجذر صرف وزجر في قوله تعالى:

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢)﴾

٢ - صورة الفعل الماضي والمصدر للجذر زي ن:

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) ﴾

٣ - نلاحظ صورتان للجذر خ ل ق هي : المصدر خلقاً والفعل الماضي خلقنا في قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (١١) ﴾

٤ - صورة الفعل الماضي مع جمع إسم الفاعل للجذر غ و ى في قوله تعالى: ﴿ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢) ﴾

٥ - صورة الجذر ع م ل في الفعل الأمر وجمع إسم الفاعل العاملون في قوله جل وعلا: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ (٦١) ﴾

٦ - نرى الفعل الماضي مصدر المرة للجذر ن ظ ر في قوله تعالى : ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨)﴾ والجذر خ ل ق في قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (١١) ﴾

٧ - صورة فعل الأمر مع المفعول المطلق في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧)﴾

٨ - صورة فعل الأمر ملحق بضمير الجمع مع الفعل المضارع المجموع للجذر ب ص ر في قوله تعالى: ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥)﴾

٩ - وصورة فعل الأمر المفرد مع المضارع المجموع لنفس الجذر في قوله تعالى: ﴿وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩) ﴾

١٠ - ترداد مادة الجذر بالصيغة نفسها في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨) ﴾ مما دل على تلاحم المكونات الداخلية للآية، وبيان نوعها.

وهذه الأمثلة نجد أن مادة الجذر الواحد قد ترددت بعدد كبير من الكلمات وذلك بتغيير الوزن وبعض الاحرف التي ألتصقت بمادة الجذر الذي جاء أغلبه من أفعال ثلاثية في ، بصر، نظر، عمل، غوى، خلق، خطف، زجر، صف، بنى وفعل رباعي واحد زيّن، والملاحظ على هذه

الأفعال أنها تدل على أعمال يقدم بها المرء عن طريق أحد حواسه الخمس؛ كاللسان مثل الغواية والزجر، والعين كالنظر والبصر، واليد في البناء وغيرها داخل عالم الكفر والايمان بتكرار جاء في البنية الايقاعية الداخلية للجذر لغرض التأكيد لتنبيه الغافل وإيقاض الوسنان عن طريق تتابع الاصوات وتلاحقها تقالب صوتي نحوى دلالي متجدد بتجدد معاني الجذر الواحد.

فمن الآيات التي تمثل مميزاً إيقاعياً قوله تعالى:

﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨)﴾

ظهر الجذر ن ظ ر على صورتين في الفعل الماضي، واسم المرة بتتابع لحروف الجذر مرتين فاجتمعت هذه الاصوات الجهرية التي تشترك بانحباس النفس عند النطق بالحرف. لتعلن إرتفاع الصوت عن ارتفاع النظر للتأمل والتفكر، والذي عبر عنه مخرج حرف الجر المفيد للظرفية في قوله تعالى في النجوم أي في عملها ولم يقل إلى النجوم مع أن فعل النظر إنما يتعدى بإلى إلاّ أن النظر هنا بمعنى الفكر والتأمل ولهذا تعدى الفعل بحرف الجر في فالفاء للتوسع والياء وعاء للمحتويات "الحفرة" أي ظرف للمكان، لأن النظر بزمن متقارب جاءت فعاليات صوتية جديدة على صعيد البنية لتدل على صعيد البنية على حدوث البرهان بعد التفكر "إيماء إلى أن الله تعالى ألهمه المكيدة وأرشده إلى الحجة"[١] بمجرد النظر فيها ولو كان غير ذلك لكانت النظرة نظرت بما شكل بذلك إيقاعاً حركياً متناغماً متماثلاً متناسقاً بين حروف مادة جذر والصيغ الواردة فيه مع المعنى.

كما نجد في آية أخرى تكرار إيقاع الوحدة اللغوية في تكرار الصيغة الصوتية خطف الخطفة في قوله تعالى: ﴿ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠)﴾

لقد احتوى حروف الجذر اللغوي للصيغة على حروف مهموسة تكررت مرتين لتناسب مقام الإختلاس والترقب والتربص سترات سريعة بحركة السمع ساعدها التوارد المقطعي التالي:

(فْ-لْ/ خ-طْـ/ ف-ة/) في الخطفة و (خـ-َ/طـ-ِ/ف-َ) في الفعل خطف فالمقاطع جاءت مختلفة على الرغم من تكرار الحروف ذاتها فثمة فارق في المعنى بين تكرار الفعل وبين المجئ بالمصدر إذ إن المصدر هنا وظف لإزالة الوهم من أن الفاعل "الشياطين" لم يفعل ذلك (لم تستطع التسمع) وإنما فعل ملازمة قريبة منه فلو كانت الصيغة (وحاشا لنا أن نعدل على كلام الله) إِلَّا مَنْ خَطِفَ خَطْفَ (الشيطان) فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ، لأنصرف الذهن إلى تكرار الفعل للتأكيد عليه أي على عملية الخطف ذاتها بإستراق السمع بشيء من كلام الملائكة تجوزاً فجاءت صيغة المرة لتزيل هذا التجوز الذي قد ينصرف إليه الذهن، وتقرر بأنه لم يقم به حقاً،

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص١٤٢.

ولذا جاء لكل صيغة رسمها المقطعي الدال على معناها المختلف مع أن حروف الجذر واحدة الأمر الذي خلق تماثلاً بين تخالف أحدث أثراً سمعياً أحسسناه ولم ندرك كنهة.

وفي ذلك يقول ابن عاشور: " الخطف: ابتدار تناول شيء بسرعة، والخطفة المرة منه، فهو مفعول مطلق لـــ "خطف" لبيان عدد مرات المصدر، أي خطفه واحدة ، وهو هنا مستعار للإسراع بسماع ما يستطيعون سمعه من كلام غير تام".[١]

كما نجد في الآية أن تكرار إيقاع الوحدة اللغوية جاء معبراً عن الموقف في قوله تعالى: ﴿ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢)﴾

فالآية تقوم على مادة لغوبة واحدة غ و ى التي أخذت أشكالاً وتصاريفاً تمثلت بصورة الفعل الماضي مع جمع اسم الفاعل لاحداث نوع من الإيقاع ، جاءت المقاطع فيها على النحو التالي:

اغويناكم: (ا-غ/و -ي/نا/ك-م) (مغلق متوسط ، متوسط ، متوسط ، مغلق متوسط)

غاوين : (غا/و -ِي ن) (متوسط مفتوح، طويل مغلق)

فتشقق مادة الجذر خلقت تشققاً في التركيب الصوتي على صعيد البنية أكسب مادة الجذر فعاليات صوتية جديدة نلمحها من خلال تواتر الحروف على صعيد المقاطع الصوتية:

غ-َو -ى في مادة الجذر (قصير ، متوسط)

غا/ و -يْ في اسم الفاعل (متوسط ، متوسط)

أ-غ/و -ىْ في مادة الفعل (متوسط ، متوسط)

لتصبح هذه المقاطع فعاليات رمزية دلالية جديدة، فالمقاطع المغلقة في بداية الفعل أغويناكم ونهايته (أ-غ-و -ي، ك-م) دلت بانحسار وقوع الفعل في الزمن الماضي لتوحي بان الغواية في الفعل غواية عارض غير ثابت ناتج عن اختيار ، فلما أريد الحدوث الدائم في الغواية ذيل المقطع الاخير من اسم الفاعل (و -ي ن) به للدلالة على نسبة الغواية المتمكنة من نفسهم بثبوت الوصف في الزمن الماضي فاختير المقطع الأطول ليناسب طول المدة.

وشبيه بالآية السابقة قوله تعالى: ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥)﴾

فقد كان لتواتر الحروف مثل الباء والصاد والراء مرتين، الاثر الواضح في نسج دلالة التهديد الحاصل في الحال أو المستقبل البعيد، فهذه الحروف متنوعة الصفات الانفجارية، الاحتكاكية، المكررة، اللينة تناسبت وانتظار ما يخبئه المجهول من احداث متغيرة متجددة مما يناسب مقام التخويف والتهويل.

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٢٢، ص٩٣.

فالمقطع الطويل في يبصرون أوحى بالمستقبل البعيد الذي لا يمكن تجديد وقوعه بديل كما أن هذا الدفق للمقاطع المقفلة في الفعل الامر(أ-ب،ص-ر،هـ-م،) أشعرنا بدوام ما هو حاصل ابتداء مما يوحي بنغمة موسيقية مدوية .

وقد أشار الألوسي لهذا المعنى فقال: "وهم حينئذ على أسوأ حال وأفظع نكال قد حل بم ما حل من الأسر والقتل أو أبصر بلاءهم على ان الكلام على حذف مضاف ، والامر بمشاهدة ذلك وهو غير واقع للدلالة على أنه لشدة قربه كأنه حاضر قدامه وبين يديه مشاهد خصوصاُ إذا قيل أن الامر للحال أو الفور" [١]

وبذلك نرى بأن الترداد للحروف المشتركة من مادة الجذر الواحدة خلق امكانات كثيرة لتخريج الكلمات تقوم بينها صلة رحم معينة قوامها اشتراكها في أصول ثلاثة فاء الكلمة وعينها ولامها أدى إلى خلق التحام على صعيد البنية من حيث دلالة هذه الكلمة.

---

[١] الألوسي، تفسير روح المعاني، ج٨، ص١٥٦ .

خامساً: إيقاع المعاني المفردة(تناسب الدلالات):

إن حديثنا عن إيقاع المعاني المفردة. تنطلق من المعنى الذي يكون التحسين فيه راجعاً إليه أولاً و بالذات، وإن كان بعضها يفيد تحسين اللفظ، وعلامته أنه لو غير اللفظ بما يرادفه لم يتغير المحسن المذكور.

إن الرجوع للمعنى يوجهنا إلى الحديث عن مواقع مجردة تتخذ فيها الصناعة الصوتية بواقعها الأكثر بروزاً فتتحول البنية العميقة إلى بنية سطحية تتخذ بها الكلمة موقعاً مكانياً بين الكلمات المقابلة لها ضمن علاقاتها التجاورية، وما بينها من توافق وتنافر لإعطاء دلالة جديدة.
وبهذا يكون الإيقاع بين المعاني والتراكيب لا بين المفردات ، وذلك من خلال التحرك ضمن الإطار السياقي، من خلال جمع من الشيء وضده للألفاظ الطباقية لتحقيق دورها الاساسي في إنتاج الدلالات العميقة التي تظهر من أطرافها وعلاقاتها بالسياق لتطفو على السطح محققتاً توازناً متناسقاً على صعيد المادة الصوتية.

ومن الامثلة على تداخل الأطراف المتضادة وتفاعلها ما نجده من تقابل على صعيد الإطار المكاني في قوله تعالى : ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥) ﴾
من خلال هذه الألفاظ نلاحظ إمتداد هذا الإطار المكاني من حلقة مركزية هي الأعلى السموات إلى أخرى هي المكان الأسفل الأرض حيث تشكلت الدلالات السياقية من خلال المستوى العمودي لحركة المعنى من اعلى إلى أسفل.

فعنصر المخالفة القائم بين السموات والارض عمق المعنى دلالياً وخلق إيقاعاً متبايناً صوتياً، غير متعادل فونومياً مخالف مورفونولوجيا أحدث تخالفاً إيقاعياً.

حرف الربط بعدها مكن من هذا التلاحق للعناصر المتغايرة بين طرفي البنيتين الإيقاعيتين، مما ساعد على إبراز المعنى وتنظيم حركة الاقطاب والجمع والتآزر بين المضادين.
برزت مسارات زمانية في المستوى الأفقي للإطار المكاني، أخذت طبيعة الانتشار الذي لا يحدد بنقطة معينة من خلال مسافة زمنية ممتدة من بداية القسم الأول المرئي (السماوات والارض). للقسم الثاني الحسي "المشارق" فامتداد النظر بين العالم العلوي والسفلي وسعه أفقياً اتجاه المشارق مع ترك فوهة من جهة الغرب كمدعاة للتساؤل وللفت النظر للتفكر والتأمل بتعاقب دورة الحياة.

سموات

عدمية - o ≠ مشارق

الأرض

فهذه الحركة بين الاعلى والاسفل والمشارق والمغارب دلت على أحكام السيطرة في الشرق في الاعلى والأسفل فأينما تولوا نظركم تجدو له آية تقول بملء فيها إنه واحد كان قد أبرزها هذا التداخل بين البعد الزماني والمكاني.

إن هذا الإمتداد الزماني داخل الدائرة المكانية المتمثل بالمشارق والمغارب مؤول لهذين الطرفين المتقابلين السموات، الارض، فالواقع العملي إذا ما وصل إلى ذروة تجليه فإن الإدراك البصري قادر على إكتشاف جانب المرئيات فالإنسان لا يكاد يرى شيئا إذا حدق في مصدر ضوئي خاصة إذا كان هذا هو قرص الشمس كما أنه لا يستطيع أن يبصر في الظلام فيجيء بالمتضاد المرئي ليدل بالمتضاد الحسي على ما هو مشهود من تعاقب الايام، الزمن الممتد الأبدي.

وقد خلق هذا فراغاً إيقاعياً من خلال هذه العلامة العدمية عوضه التوازن المورفولوجي في جموع العوالم العلوية خالقاً بذلك زيادة ايقاعية ودلالية كملت الفراغ الايقاعي عن طريق هذا التداخل بين البعد الزماني والمكاني.

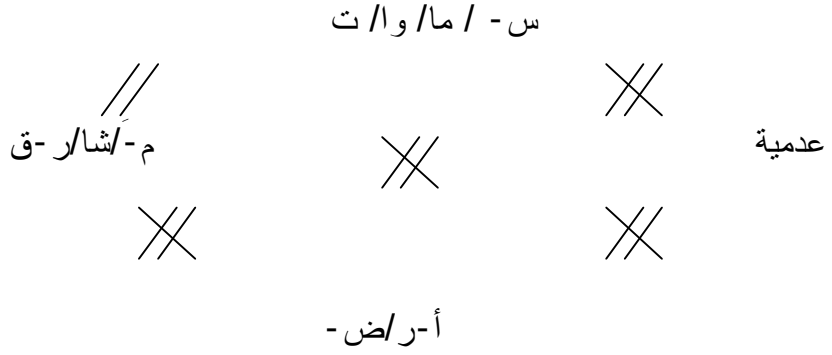

السموات= إيجابية الدلالة والكمية

الأرض = سلبية الدلالة والكمية

المشارق = ايجابي الدلالة والكم

علامة عدمية = سلبي الدلالة وإيجابي الكم

نلاحظ وحدات متقاربة في الدلالة وتوازن في الإيقاع مع عدم تعادل طرفي الأزواج المتقابلة كما في قوله تعالى:

﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٥)﴾

الصورة المختزلة مورفولوجياً للفعل تذرون وتدعون دلت على استعجالهم في الترك والطلب لسيرهم على اثار أباءهم من غير تفكر ولا تأمل.

فالفعل تدعون اصله تودعون وتذرون اصلة تؤذرون

ت-و/ذ-َ/ رون تدعون ت- /د-َ /ع- ون

ت- /ذ-َ/ رون تدعون ت- /د-َ /ع- ون

وهذا التماثل بين الوحدتين الصوتيتين ساعد الإيقاع على الظهور.

فالتضاد بين أطراف الازواج المتقابلة تمت على الصعيد الأفقي عن طريق التجاور بين:

تدعون ≠ بعلا

تذرون ≠ أحسن الخالقين

وعلى الصعيد العامودي بين:

تدعون ≠ تذرون

بعلا ≠ أحسن الخالقين

فهذه الكلمات ولدت تقابلاً دلالياً على المستويين في حين أن التضاد على المستوى العمودي تذرون ناسبت أحسن الخالقيين، وتدعون ناسبت بعلا ذلك أن الوذر يفيد القبح والسوء في موقف يدل على ذم وتوبيخ لتركهم أحسن الخالقين في حين أن الودع يفيد الثناء وخفض العيش والدعة وهو ما يناسبهم في حياتهم في بحثهم عن الاسهل.

فالزيادة الإيقاعية أحدثت نغماً موسيقياً دلالياً إيقاعياً بين:

بَ-ع/ل-نْ ، أ-ح/س-َن-ل ، خا/ ل-ِ/ق – ي ن

فإيقاع الطرف الاول: أفرز مفردات إيقاع الطرف الثاني لدلالة التخالف الكمي بين الطرفين الغير متعادلين عبادياً توحيدياً، فالصنم لا يمكن أن يقاس بأحسن الخالقين فتداخل طرفي التقابل وتفاعلهما من خلال هذا السند الدلالي هو الذي فرض هذا النمط من التضاد بين الازواج المتقابلة.

وقريب من ذلك ما جاء في قــوله تعالـــى:﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ(١٦)﴾

الألفاظ الطباقية تدور من خلال دائرة الزمن المطلق بأبعادها المختلفة فقد دلت البنية الأسلوبية على الزمن الماضي من خلال الفعل الماضي متنا، والزمن الحاضر كنا، والمضارع المستقبل مبعوثون التي تحمل في مجملها طاقة حركية مما يبرز صفة التوسع لحركة الزمن للأعلى (البعث) والاسفل (الموت) التي تجسد أبعاد الحركة الرأسية.

فالطباق وسع الزمن الماضي ليشمل الزمن المطلق ليعبر عن فلسفة الحياة من خلال هذه البنية الاسلوبية لهذا الطباق:

متنا ≠ مبعوثون

م-ت/نا م-ب/ع-و/ث-ون

فالبنية المقطعة ناسبت مضمون العقيدة (عقيدة التوحيد) فالموت لا شك فيه لا ينكره احد اما البعث فمنكروه كثيرون وهو في صورة المقطوع به لا يمكن فيه نزاع، ولا يقبل فيه إنكار، هو حتمٌ لابد من كيانه ولذا جاء ملازماً للبنية الإيقاعية المتكونة من مقاطع مغلقة توحي بالايقاع المتقطع المترسل للتأكيد.فهناك مغايرة بين طرفي البنيتين الإيقاعيتين أحدثت تضاداً دلالياً وصوتياً خلقت تبايناً إيقاعياً بين طرفين متضادين. جاء الأول فيها مرئياً والثاني حسياً معبراً عن فلسفة الحياة التي تنتهي بنفس الصورة التي بدأت بها والثاني حسياً متمثل في الزمن الأبدي الذي لا ينقضي ويتحول من حال لآخر.

ومما ولد إيقاعاً صوتياً غير متعادل الفونيمات ما نجده في قوله تعالى:

﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣)﴾

فهذه المرواحة بين الإيقاعين المختلفين بين طرفي التضاد شكلت محوراً إنسانياً متوزاناً بين عنصري الحسن والظلم ومحوراً انسانياً بين صورة لبعثية الأشياء فمن الظلم يتولد الموت والهدم والفناء ومن الإحسان تتولد الحياة والبناء.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ(١٣)﴾ نلاحظ تقابل بين الازواج المغايرة خلق إنسجاماً إيقاعياً وصوتياً بين عنصرين موزعين على بنيتين متباينتين ناسب هذه العناصر الصوتية:

ذكروا ≠ لا يذكرون

فهناك تقابل مزدوج بين طرفي هذا التركيب الثنائي جاء متحداً صوتياً وإيقاعياً ومتبايناً دلالياً ومن هذا التعاضل الصوتي والإيقاعي والمغايرة الدلالية ينبع التناسب الصوتي.

فحرف النفي لا هو الذي ولد شحنة سلبية متعانقة مع التكثيف الدلالي بتطابق أصوات الطرفين وإتحادهما لإفراز سلسلة من الإيقاعات والاصوات المتجانسة ساعد على نسج هذا التقابل الإختلاف المورفولوجي للفعلين في حركة موضعية بين (ذكروا ≠ لا يذكرون) فالطباق الذي تم في هذه الآية كان من جنس طباق طرف بضده من حيث لفظه ومعناه فالسياق الدلالي هو الذي فرض هذا النمط من التضاد. لتعلقها بمضمون له صلة بعقيدة التوحيد.

وبهذا جاء الطباق متطلباً عدم التسليم بالجانب الشكلي والانتقال للجانب الأكثر عمقاً وهو الجانب السياقي .

سادساً: الفاصلة القرآنية:

تعد الفاصلة القرآنية ركناً وطيداً من أركان الآية لفظاً ومعنى، ذلك أن أطرادها على المساحة اللفظية للقرآن الكريم من أوله إلى آخره، جعلها من صميم الدراسة الصوتية للتنظيم المتوال لعناصرها المتغيره كيفيا في خط واحد مشكلاً منها صورة مجردة لإيقاع تعمل مجموعة قوانينه جميعاً في وقت واحد تعاضدها الجوانب الدلالية لفهم الخطاب بصرف النظر عن إختلاف أنماطها وتعدد درجاتها.

فالنسيج الذي يتألف من التوقعات والإشباعات أو خيبة الظن او المفاجآت التي يولدها سياق المقاطع هو الإيقاع، والنظام في العمل الفني هو الذي يثير التوقعات أولاً ثم يشبعها ثانياً. إن التوقع وإشباع التوقع ليست وحدها تكفي العمل الفني لأن استمرارها أو إنفرادها ينشئان الملل ومن الواضح أنه لا توجد مفاجأة أو خيبة ظن لو لم يوجد التوقع ، وهذا تفسير لنا لماذا سرعان ما يصبح الإيقاع المسرف في البساطة شيئاً مملاً تمجه النفس خالياً من الإيقاع والتأثير ما لم تتدخل فيه حالات من التحذير" [١]

وللفاصلة تسميات عدة أطلقها عليها السلف واختلفوا فيها اختلافاً بعيداً في اعتبارها سجعاً . كفن من فنون البديع، أم هي شيء آخر غيره. فقد اشترط العرب في السجع شروطاً وقسموه إلى أقسام متشبعة وبينوا حكم استعماله. وموقف العلماء من استخدامه بين المؤيد لوجوده في كتاب الله وسنته وكلام البلغاء وبين معارض احتج بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم في دية الجنين. والمتأمل في الحديث يجد الرسول صلى الله عليه وسلم قد كره سجع الكهان ولم يكره السجع ، ولو كرهه لما استخدمه في كلامه. ولعل في استعمال السجع في القرآن خلاف الجمهور (الذي أيدناه) على المنع لأن للقرآن هندسته وإيقاعه الخاص الذي بُني عليهما، واللذان يجعلانه يبتعد عن أن يقارن بأي نوع من انواع الإنشاء الدنيوي فما كان اطراد الفاصلة ووقوفها على حروف معينة إلا لأن إيقاعها أخص من غيرها.

وعلى هذا اثبت الزركشي هذه المكانة المهمة للفاصلة حيث قال: "تقع الفاصلة في الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام

---

[١] أ. أ . يتيشاردز. مبادئ النقد الادبي. نقلاً عن الحسناوي، محمد، (١٩٨٦). الفاصلة في القرآن الكريم،ط٢، بيروت، المكتب الإسلامي، ص١٩١. لمن أراد التوسع في الموضوع ينظر العلوي، يحيى. الطراز،ج٣،ص١٩-١٨. السيوطي، الإتقان، ج٢، ص٩٦. ابن الأثير، ضياء الدين، أبو الفتح نصر الله بن محمد الجزري، (٥٥٨-٦٣٠هـ)، (١٩٣٥م). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، (ط١)، (تحقيق محمود توفيق)، مطبعة حجازي، القاهرة، مصر، ص٧٤. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، (٣٩٥هـ)، كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، (ط١)، تحقيق محمد البجاوي، محمد أبو الفضل ابراهيم، عيسى الباب الحلبي وشركاؤه، القاهرة، ص٢٦٠-٢٦٤.

وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ولم يسموها سجاعاً" [١]. وبهذا تكون الفاصلة آخر كلمة كقافية الشعر وقرينة السجع [٢]، ففواصل القرآن لم تقتصر على حروف معينة بل كانت لها صبغتها الخاصة بين فنون الاعمال الإبداعية في الالتزام والتحرر من الالتزام ليس فقط في حروف الروي بل في أبنية الفاصلة المختلفة من الوزن والموقع والطول للفقرة والقرينة والتكرار فالجمع بين الدوافع المختلفة والتوفيق بينهما على نحو دقيق هو الذي أكسب العمل حالة التوازن هذه بين الإشباع وإحداث المفاجأة.

ونحن هنا في سورة الصافات سنجتهد في استخراج أنواع الفواصل التي حوتها السورة الكريمة معتمدين في ذلك على الفواصل التي شكلت ملمحاً بارزاً لموضوع الآية مع المعنى الذي وظفت له من غير أن ننسى دورها الإيقاعي معتمدين على مبدأ التدرج في الانتقال بين أبنيتها المختلفة للوصول إلى حالة التوازن هذه.

١ - ثراء الفاصلة القرآنية في السورة:

أ- خضوعها لقانون النظام:

لقد أسفر تتبعنا لنظام الفاصلة في السورة الكريمة عن خضوعها لعامل التوقع واشباع هذا التوقع والذي تجلى في اطراد الفاصلة على المساحة اللفظية للسورة والتزامها الوقف في الثلاث مقاطع البسيطة التي التزمت بها السورة الكريمة بصورة :

أ- ألف بعد الروي في ثلاث آيات هي :

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤)﴾ ....

ب- وتأسيس [٣] قبل الروي في ثماني آيات:

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠) فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (١١)﴾

---

[١] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، (٧٤٥-٧٩٤هـ). (١٩٥٧)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمود أبو الفضل ابراهيم، عيسى الباب الحلبي، ص٥٤.

[٢] السيوطي ، الاتقان، ج٢،ص٩٦.

[٣] التأسيس: هو ألف يكون بينها وبين حرف الروي حرف متحرك يسمى الدخيل وحركته الاشباع.

ج- واو أو ياء قبل الروي في مئة وإحدى وسبعين آية:

فالفواصل موضوعة على ان تكون ساكنة الإعجاز موقوفاً عليها لأن الغرض أن يزاوج بينها، ولا يتم ذلك في كل صورة إلا بالوقف والبناء على السكون [١] فالفاصلة بوقفها مثلث صيغة أمر من غير فعل تقول من غير لسان قف هنا تدبر أيها القارئ وأفهم أيها السامع. فهي تشكل لحظة صمت قبل البدء بالآية الثانية يستريح فيها اللسان ويفكر فيها العقل باعتبارها مولداً صوتياً ومعنوياً [٢] وهذا يدخل فيها نوعاً من الثبات والإستقرار خاصة بالتزام الألف في أنواع المقاطع الثلاثة التي أحتوت، الامر الذي يعطي الجو تناسقاً موسيقياً متجانساً يتجدد في كل مرة يُنتقل فيها بين مقاطع السورة من غير أن يضعف وذلك بما يجاوره من حروف متنوعة، تكسبه إيحاءات متجددة.

فقد رأى الزركشي أن الحكمة من كثرة إلحاق المد واللين والنون " وجود التمكين من التطريب بذلك. كما قال سيبويه: إنهم إذا ترنموا يلحقون الالف والياء والنون لانهم أرادوا مد الصوت ويتركون ذلك إذا لم يترنموا". [٣]

فامتداد الالف في قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا(٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣)﴾ وفر للنص نظماً موسيقياً فريداً ينسجم مع الإمتداد الصوتي الذي أوحى بالإمتداد المكاني والزماني للوحدات اللغوية بمخرجها من أقصى الحلق وذبذبتها التي تصل إلى أكثر من ٨٠٠ذ/ث[٤]. وهذا إيقاع ندي رسمته الألفات المتتابعة في نهاية الآيات مع تناظر في المدين المتتابعين في نهاية كل فاصلة طربت له الأذن ونشط له العقل. فا صفا، را زجرا، يا ذكرا أحدثت بذلك مقطوعة سريعة الحركة، قصيرة الموجه، قوية المبنى تنسجم مع جو مكهرب، سريع النبض، شديد الارتجاف، مدوي الصوت.

وحين تلتزم فاصلة أو أكثر حرفاً معيناً يتوقع تكرر هذه الفاصلة من جديد، وحين يتحقق توقعه يحدث لديه الإشباع. إلا أن التوقع وإشباع التوقع ليس وحدها تكفي العمل الفني؛ لأن استمرارها أو انفرادها ينشئان الملل. والنص القرآني حريص على هذا التنوع الذي يقودنا للعامل الثاني الذي خضعت له الفاصلة في السورة.

---

[١] لاشين، عبدالفتاح، الفاصلة القرآنية، دار المريخ، الرياض، ص ١٦.

[٢] الزبيدي، توفيق، (١٩٨٤). اثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلال بعض نماذجة، الدار العربية للكتاب، ص٦٦ وينظر الزركشي، البرهان في علوم القرآن ج١، ص٨٨.

[٣] الزركشي، البرهان في علوم القرآن ج١، ص٩٦. وينظر أيضاً السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج٢، ص١٣٤. سيبويه، عمر بن عكمان بن قنبر، (١٩٨٣). الكتاب، ط٣، تحقيق عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ج٢، ص ٢٩٨-٢٩٩.

[٤] اليافي، (١٩٨٤). قواعد تشكل النغم في الموسيقى، مجلة التراث العربي، دمشق، ع(١٥-١٦)، ص ١٥٠.

ب - قانون التغيير:

فالتغير هو إحداث الصدمة للتوقع عن طريق المفاجأة السارة، مما مثل خرقاً للنظام الصوتي عن طريق إحداث الصدمة بظهور شيء جديد أثار الإهتمام على نحو مؤكد تمثل في تنوع الفاصلة الأمر الذي كسر حاجز الرتابة. وجدد النشاط للقارئ، وخلق التساؤل والدهشة لديه متمشياً مع هذا التلوين في الفاصلة.

وقد أستند التغيير في الفاصلة إلى الدعامات التالية:

١ - التنقل بين حروف الروي المختلفة:

لفواصل سورة الصافات طريقتها في الالتزام والتحرر من الالتزام في أبنيتها المختلفة، فحروف الروي نراها على اطرادها في السورة الكريمة تتنقل بين الحروف المنفردة فالمتقاربة إلى أن تنتهي بالمتماثلة عن طريق علاقة تربط بين الاجزاء التي تؤلف الكل.

فثراء الفاصلة يأتي من توافر عددٍ من العناصر الصوتية وتكاثفها ضمن نسق معين تتواتر فيه الحروف والحركات بكل مميزاتها[١]، وهذه الاصوات التي تكون الثراء في الفاصلة منها ما يرد قبل الروي وفيها ما يكون بعده، إلا أن الأساس الروي الذي يلحقه المجرى والوصل والخروج ويسبقه الردف والتأسيس والدخيل، وعليه قسم الدارسون الفاصلة إلى مقيدة يكون الروي فيها آخر عناصره لا شيء بعده، ومطلقة تكون أغلب عناصرها بعد الروي "القرار" بحيث تخرجه من السكون إلى الحركة.

فإن طالعنا الترتيب في فواصل السورة وجدنا فواصلها المتنوعة في حروفها قد تنوعت في أماكنها فهي فواصل متباعدة (التي لم تتماثل حروف رويها ولم تتقارب) في المطلع يتبعها ألف فالفاء والراء فواصل منفردة والراء والدال بعدها أيضاً فواصل منفردة والقاف والياء أيضاً فواصل منفردة إلى أن تتقارب الفواصل (في الآية السابقة) بين حرفي الدال والباء مع الآية الثامنة في قوله تعالى: ﴿وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ(٧)لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ(٨)﴾ .

ثم تتماثل الفاصلة في الآية التاسعة والعاشرة في قوله تعالى: ﴿دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ(٩)إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ(١٠)﴾ لتعود بعدها لتتباعد في الآية الحادية عشرة والثانية عشرة بين فاصلة الياء والواو مع النون ثم لتتقارب في فاصلة الياء والميم. وتتماثل مع الياء والواو والنون حتى آخر السورة وإن لم تخرج عن الوقف. وهذا مما ينبه السامع فغالباً ما يكون لخيبة التوقعات أهمية أكبر من تحققها.

---

[١] انظر، فخر الدين، جودت. شكل القصيدة العربية، ط٢، دار الحرف العربي، بيروت، ص١٥٦.

ففاصلة الفاء مهدت للصدمة الاولى، حتى إذا جاءت فاصلتا زجرا وذكرا استثمرت هذه المفاجأة خير استثمار، صدمنا بعدها بفاصلة المشارق في قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ(٥) إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ(٦)﴾ التي ركزت الانتباه بانفرادها أولاً وتميزها ثانياً فقد جاءت بصيغة الجمع لنكتةٍ بلاغية تتناسب مع عقيدة التوحيد لله تعالى المؤثر الذي لا يتأثر واجب الوجود خالق المشارق والكواكب والسموات والأرض وما بينهما فهي جموع والله فرد . لا يثني ولا يجمع ولذا جاءت فاصلتاها مجموعة لتقول أنتم جموع والله واحد.

وقد حملت فاصلة الكواكب لوحة فنية تترآى للعين دلت ضمنياً على المغارب في الآية التي تلت المشارق فتلألأ الكواكب لا يكون إلا وقت الغروب الذي دل عليه زينتها.وفي ذلك يقول البقاعي: "ولما كانت المشارق تقضي الفيض والإظهار أتبع ذلك نتيجة بما من شأنه الشروق والغروب ولو بمجرد الخفاء والظهور فقال مؤكداً مع لفت الكلام على التكلم في مظهر العظمة تنبيهاً على أن فعلهم فعل من ينكر ما للنجوم من زينة وما تدل عليه من عظمته سبحانه وتعالى"[١].

٢ - **المراوحة بين الفواصل في الكم الموسيقي**: من خلال طول القرينة حيث تنطلق الفواصل قصيرة ثم تليها فواصل متوسطة ونادراً ما تميل في مراوحتها بين الفواصل إلى الطويلة.

ويعود ذلك إلى ركن مكين فالدلالة المعنوية هي المحرك الجوهري لهذا التوزيع "فالسور المكية تتميز بوجه عام ببنائها على الفواصل القصيرة أو المتوسطة لتتابعها وبروز موسيقاها. أما السور المدنية فغالباُ ما تطول فيها قرائن الفواصل طولاً ملحوظاً . وفي ذلك سر من أسرار الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ، وهو مناسبة الخطاب اللغوي في السور المكية لطبيعة المكيين . "فقد كانوا قوماً جبابرة تسود بينهم المنكرات والعادات السيئة والاخلاق الفاسدة ، وذلك كله يقتضي خطابهم بلغة سريعة آخذه، غير مسترسلة، وقول جاد، حاسم، محذور تقصر معه الجمل ويبرز التجانس الصوتي، وتعلوا الموسيقة... إن قصر الفاصلة المكية مما يناسب عقول المكيين وأفهامهم وذلك قريب مما نفعله حيث نبدأ مع الصغار بتحفيظهم السور القصار". [٢]

---

[١] البقاعي، برهان الدين. (٨٠٩-٨٨٥هـ)، (١٩٧٠). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج ١٦، حيدر أباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ص١٩٣.

[٢] محمد السيد سليمان العبد، (١٩٨٩). من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ،المجلة العربية للعلوم الإنسانية،ع (٣٥)، ص٨٨.

وقد أدى نسق التغيير في طول الفقر إلى تغيير في طول القرائن فاعداد ألفاظ الفقر وإن كانت على هذه العدة في حصرها وطولها. إلا انها منقسمة بحسب مقادير قرائنها إلى أقسام:

أ. **ما تساوت قرائنه**: في عدد الكلمات لا يزيد بعضها على بعض من غير ضرر في زيادة عدد الحروف.

ب. **ما اختلفت قرائنه طولاً وقصراً**: إن علمنا بأن المراد بطول القرينة هنا . مقدار طولها بالنسبة إلى القرينة الثانية والثالثة خلافاً للفقر.

أ- ما تساوت قرائنه:

فمن المواطن التي تساوت فيها عدد الكلمات في القرائن في السورة مطلعها ﴿**وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ(٤)**﴾ بالإضافة إلى تساوي بدايات القرائن في هذا النص نلحظ التساوي في الطول وفي عدد الكلمات كما نلحظ التشابه في بنيه التركيب فضلاً عن وحدة الروي، " فزجرا" أثارة التوقع "وذكرا" اشبعته مما بيّن دور الفاصلة في كونها وحدة تركيبية دلالية فهذا التساوي بين الفواصل الثلاثة أوحى بالجو الذي تصوره الموسيقى في إيقاع ذي نغمة واحدة يزيد مع المدود فيها مما يدل على حركة الملائكة في أعمالها التي تقوم بها على وتيرة واحدة من صف في صفوف منتظمة، وزجر عن الوسوسة والإغواء واستراق السمع، وتلاوة من تسبيح وتقديس وتحميد، فهذا التساوي يثبت ثبات الموصوفات لموصوف واحد، ذلك أنه لوكان الموصوف متعدداً لاستحال التساوي في القيام بالأعمال المتعددة في آن واحد. وهذا مما يقدر عليه من يؤثر ويتأثر وهو قسم المجردات من الملائكة والارواح فهي قابلة للأثر من عالم الكبرياء الإلهية وتباشر التأثير في عالم الاجسام [١] وتصرفها . فالزاجرات إشارة على تأثيرها ، والتاليان إشارة إلى تأثرها بما يلقى إليها من أمر الله فالملائكة هي من تقوم بالأعمال الثلاثة موقف الحق يوم القيامة في الحساب والحاق العذاب بالمكذبين بالزجر وتبليغ الرسل بالذكر وقد تساوت الآية الثانية عشر والثالثة عشر من قوله تعالى :

﴿**بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣)** ﴾

فقد تساوت الآيتان في عدد كلماتها وفي ترتيب صيغها التركيبية في بدايتها بالحرف ثم الفعل الماضي ثم الحرف ثم الفعل المضارع. ذلك أنهم على حال واحدة متساويين في السخرية والتذكر بهذه الصفة البلاغية في المشاكلة اللفظية بين الفاصلة الأولى والثانية التي أشعرتنا

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص٨٥.

بالنسق الإيقاعي وإنسجام الجرس خاصة بين يسخرون ولا يذكرون لبيان تساوي حالهم في أعراضهم عن المسموع.

ومن امثلة التساوي ايضاً قوله تعالى:﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ(٢٤)مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ(٢٥) ﴾

فكل من الآية الرابعة والعشرين والخامسة والعشرين قد تساوتا في عدد كلماتها ثلاث كلمات في كل آية مقام السؤال والجواب عن اعمالهم التي كانوا يزعمون في الدنيا نصرة بعضهم لبعض لتوافقهم في الموقف.

وأما ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦)﴾

فقد تساوت عدد الكلمات فيها لتساوي الدعاء على الإجابة، فبعدما عاناه سيدنا نوح من دعاء قومه أحقاباً ودهوراً لقي فيها من الكروب والشدائد ما لقيه منهم انكشف عنه ما أعياه من أمرهم بعد طول إنتظار.

وقد نبه أحد المفسرين إلى هذا التساوي حيث قال صاحب نظم الدرر:

" ولما أغنت هذه الجملة عن شرح القصة وتطويلها، وكان قد تسبب عن دعائه إجابته، قال بالتأكيد بالاسمية.... إلى هول عذابهم وعظيم مصابهم بلغ إلى أنه من شهرته لا تكاد يصدق، فهو محتاج إلى اجتهاد كبير وشدة اعتناء ، فكانت الإجابة إجابة من يفعل ذلك وإن كانت الأفعال بالنسبة إليه سبحانه على حد سواء، لا تحتاج إلى غير مطلق الإرادة"[١].

فهذه الدلالة المعنوية في التساوي كانت محركة لهذا التوزيع في عدد الكلمات (الكمي) الذي يعكس موسيقى الدعاء المتموجه الرخية الطويلة الخاشعة التي زادت على هذا التموج السعة والعمق بما فيه من شجى هول الكذل إنها موسيقى الطوفان.

ومن احسن المواطن استعمالاً لنمط الفاصلة المتساوية قوله تعالى:

﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٦)﴾

ب- اما الفواصل التي اختلفت قرائنها طولاً وقصراً فقد جاءت في السورة الكريمة على النحو التالي:

١- أن تكون الأولى أقصر من الثانية:

﴿ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩) إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠)﴾

فالفقرة الثانية جائت أطول من الاولى حيث بلغ عدد كلماتها سبع كلمات في حين الاولى أربع كلمات، فزيادة الكم لم تقف على الجانب الموسيقى الإيقاعي بل صاحبة زيادة دلالية أحدثت

---

[١] البقاعي، برهان الدين، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج١٦،ص٢٤٦.

بها الفاصلة الداخلية في ﴿عذاب واصب (٩) وشهاب ثاقب(١٠)﴾ تنغيماً ولا نغيبها عن الإيقاع لما تحدثه من تقصير للمسافات الصوتية خاصة أن الكلمة الاخيرة في الآية تتناسب مع الفواصل الداخلية فتحدث بذلك ثراء وتنويعاً إيقاعياً واضحاً نلاحظه من قراءة عذاب واصب، شهاب ثاقب. لقد كانت لهذه الزيادة في الآية الثانية مغزى فالآيتان تتحدثان عن ما يصيبب الشياطين من العذاب لاستراقها السمع. وحتى تتضح صورة هذا العذاب، لاستيفاء الصورة حقها جاءت الفاصلة الثانية بزيادة تحمل التفاصيل الشافية عما يصيب الشياطين من حرق لا يمكنه من الدنو فالعذاب والشهاب كلاهما من نار الواصب والثاقب كلاهما دائم فمن ثقب اضمحل وصار غير قادر على المحاولة لأن الثقب فيه واصب لا ينفك عنه وقد جوز أبو حيان "أن يكون هذا العذاب في الدنيا وهو رجمهم دائماً وعدم بلوغهم ما يقصدون من استراق السمع"[١]

وبذا كان طول الفاصلة الثاني موظفاً لأغراض دلالية .

ومن الايات التي قصرت فيها الفاصلة الأولى عن الثانية ، قوله تعالى:

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩)﴾

لقد جاءت الكمية الموسيقية للفاصلة الثانية ، ضعف كمية الفاصلة الأولى ، فكمية إلا موتتنا الاولى كانت المتسببة في هذا الإيقاع المتزايد، بحكم مقام المحاورة الذي يقتضي الإستفهام الذي يحتاج بدوره إلى أن تطول الفاصلة الثانية لأنها جاءت في مقام التفصيل للأولى التي ختمت بحديث عن الموت وقد شكل محورها الذي قابل محور الآية الثانية بالحديث عن العذاب الذي إقتضى تحديده أن يكون بعد الموت الذي وبالتحديد بعد الموتة الاولى ، فكان طول الفاصلة الثانية معبراً عن غبطة أهل الجنة وحديثهم بنعمة الله عليهم بالنعيم الدائم والعذاب بالمنقطع، الأمر الذي زاد الدلالة المركزية للآية طاقة موسيقية مكثفة.

٢ - **أن تكون الفاصلة الثانية أقصر من الاولى:**

في قوله تعالى: ﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (١٧٦)﴾

نلاحظ من خلال هذا الكم الموسيقي إختزالاً للآية الثانية بقليل عن الآية الأولى، حيث انخفض عدد الكلمات فيها إلى كلمتين في حين كانت الآية الاولى ثلاث كلمات . فقد كان بامكان القرآن الكريم أن يسوي بين الفاصلتين في عددهما إلا انه جاء بالفاصلة الثانية بنقصان قليل عن الأولى لزيادة طلب الحال والفور الذي يقتضي الإسراع الذي يناسبه الاختزال، فمن الناحية الصوتية عبر حرفا الكلمة (س ،ت) بجرسهما عن تكلف الطلب بما يستدعيه من الإسراع في التنفيذ، فالإيقاع يظهر كلما وجدت القوانين الفيزيولوجية راحتها.

---

[١] الألوسي، أبو الفضل، شهاب،(١٩٧٨)، تفسير روح المعاني في القرآن الكريم والسبع المثاني، ج٨، دار الفكر، بيروت، ص ٧١.

وبهذا نجد أن عناصر الثراء في الفاصلة قد تنوعت وامتدت:

١- بين حروف الروي وطول القرائن فكانت الفواصل تتراوح بين القصر والتوسط والطول أحياناً ، لمقاصد دلالية للآيات.

٢- في اعتماد الفواصل على الفواصل القصيرة، "أوعر أنواع السجع مسلكاً وأصعبها مدركا وأخفها على القلب وأطيبها على السمع لان الألفاظ إذا كانت قليلة فهي أحسن وأرق ، لانها إذا كانت أطرافها متقاربة لذت على الآذان لقرب فواصلها ولين معاطفها"[١]

٣- بإحتواء الفاصلة في سورة الصافات على الفاصلة الداخلية كمتممة لنسق الإيقاع ومدعمة له بحيث يصير الإيقاع مركباً.

٤- في مجيء عناصر الثراء في الروي قبله وبعده مما أحدث نوعاً من التنويع بين القوافي المطلقة و المقيدة الامر الذي ساهم في شحن الطاقة الإيقاعية وللسورة التي أبرزت النغم في السياق حيث ختمت بحروف المد وهي المختصة بالمد والتطويل.

٥- بيت التدرج للفاصلة القرآنية في التنقل بين التزام بنظام، وتحرر بتغيير حسب الموضوعات وما تقضيه الطاقة الموسيقية.

٢ - أنماط الفاصلة القرآنية :

لا يقتصر الإيقاع في الفاصلة القرآنية على ثراء هذه الفواصل ، بل إن من خصائص البيان الايقاعي ، توظيف انظمة إيقاعية تلتزم بالشروط البلاغية ، وشروط النص القرآني ولذا جاءت أنماط الفواصل متعددة وفق سنن البلاغة ، وقوانين المتن القرآني التي تزيد لصفة التنغيم إبرازاً ووضوحاً.

أ- المتوازي:

وهو أن تتفق الكلمتان في الوزن وحروف السجع[٢]، الأمر الذي يساهم في نسج الانسجام الصوتي والنغم الإيقاعي عن طريق الترديد الصوتي لوزن الكلمة وحروف رويها فتكون الفاصلة بمثابة منبهاً موقذاً للنغم في أذن السامع.

كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) "

" ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨)﴾

﴿ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (٩٢)﴾

﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥)﴾

---

[١] العلوي، يحيى، الطراز،ج٣، ص٢٣.

[٢] الزركشي،البرهان في علوم القرآن،ج١،ص٩٦.وينظر أيضاً السيوطي،الإتقان في علوم الإتقان،ج٢، ص٧٥.

﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاء رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) ﴾
﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣)﴾

نلاحظ من خلال هذه الأمثلة على المتوازي الملامح والسمات المشتركة لكلمتين الفاصلة الداخلة في نسق الإيقاع ليشمل الترديد الوزن والروي اتفاق النبر والرنة في المدة الزمنية.

×

المحسنين (ا-ل/ م-ُح/س-ِن-ِ ي ن) (مقطع متوسط، مقطع متوسط، مقطع قصير، مقطع طويل)

×

المؤمنين (ا-ل/ م-ُؤ/م-ِن-ِ ي ن) (مقطع متوسط، مقطع متوسط، مقطع قصير،مقطع طويل)

×

حميم (ح-َم-ِ/ي م) (مقطع قصير، مقطع طويل)

×

الجحيم (ج-َح-ِ/ي م) (مقطع قصير، مقطع طويل)

×

تأكلون (ت-أ/ك-ُل-ون) (مقطع متوسط، مقطع قصير، مقطع طويل)

×

تنطقون (ت-ن/ط-ُق-ون) (مقطع متوسط، مقطع قصير، مقطع طويل)

× ×

تحكمون (ت-ح/ ك-ُ م/ م-و ن) (مقطع متوسط، مقطع قصير، مقطع طويل)

× ×

تذكرون (ت-ذ/ ك-ُ ر/ ر-و ن) (مقطع متوسط، مقطع قصير، مقطع طويل)

×

يسخرون(ي-س/خ-َر-ون) (مقطع متوسط، مقطع قصير، مقطع طويل)

×

يذكرون(ي-ذ/ك-َر-ون) (مقطع متوسط، مقطع قصير، مقطع طويل)

ومن خلال هذا التشريح المقطعي نسمع الترديد ذاته للصوت، بالصفات نفسها وفي مواقع متماثلة لفواصل قصيرة المسافات محكمة التوزيع لزم حرف الروي فيها أكثر من حرف بمقطع منبور قوي نغمة الفاصلة التي انعكست على الكلام فصار أوضح في السمع وأيسر في التقبل والحفظ وهذا يضيف إلى التزام الوزن الروي، التزام حروف أخرى تبلغ حد التكرار للكلمة نفسها. وقد هيمنت المقاطع الانفجارية على هذه الفواصل لتطابق الدلالة . ففاصلة الثانية تحدثت عن جهنم فجاءت الأصوات الانفجارية لتصور حالة غليان الجحيم وفوران الحميم والفاصلة الثالثة، والرابعة، لتناسب مقام استنطاق الغضبان بالتهكم والسخرية التي يناسب مقام الثبات والتعليل لهذا الجزاء الحسن الذي يقتضي علو الصوت به في الفاصلة الاولى.

ب - المتوازن:

ان يتفقا في الوزن دون التقفية [١]وهذا مما يوحي أيضاً تأكيد الإيقاع فالاحتفاظ بالوزن والتخلي عن الروي يكون له من الحسن مثل سابقه، وإذا حدثت المراوحة بينهما. فاعتياد الأذن على نهاية صوتية واحدة لكل قرينة قد يفقدها عنصر المفاجأة التي توقظ النفس وتنبه الذهن [٢]"

ومن أمثلته: **﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥) إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦) ﴾**

﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ (٧) لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨)﴾

﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٧) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٨)﴾

فهذه الفاصلة جاءت قليلة الانتشار في السورة الكريمة إلا انها بالتزامها في التنويع بالروي احدثت ترديداً دون رتابة ، فهناك التزام بالوزن ضيف اليه صيغت الكلمة أو نوعها وهذا ما بينه التقطيع المقطعي:

المشارق (ا-ل/م-َ/شا/ر-ِق) (مقطع متوسط، مقطع قصير، مقطع متوسط، مقطع متوسط)

الكواكب(ا-ل/ك-َ/و ا/ك-ب) (مقطع متوسط، مقطع قصير، مقطع متوسط، مقطع متوسط)

مارد (ما/ ر-د)(مقطع متوسط، مقطع متوسط)

جانب (جا/ ن-ب)(مقطع متوسط، مقطع متوسط)

---

[١] السيوطي، الاتقان في علوم القرآن ج٢، ص١٣٣.

[٢] نحلة ، محمود أحمد، لغة القرآن الكريم في جزء عم، ٣٦٩-٣٧٠.

المستبين(ا-ل،م-س،ت-َب-ين)(مقطع متوسط، مقطع متوسط، مقطع متوسط،مقطع طويل)

المستقيم(ا-ل،م-س،ت-ق-يم)(مقطع متوسط، مقطع متوسط، مقطع متوسط،مقطع طويل)

فقد تساوت الفقرتان في الوزن دون التقفية حيث قابلة أفراد الأولى ، أفراد الثانية ولذا سمي هذا النوع متماثلاً.

ج- المطرف:

أن تختلف الفاصلتان في الوزن وتتفقا في حروف السجع"[١]

فايقاع القرآن الكريم في المطرف لا يكتفي بالتزام الروي، بل يزيد على ذلك التزامه بتناسب المقاطع في الكلمات المعنية فالتشابه يصير في حروف الروي ، بالإضافة إلى التشابه المقطعي فالفواصل التي لا تتفق في الوزن ، نجدها اتفقت في أكثر المقاطع مما يقوي الإيقاع ويثريه.

١ - **﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١) احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢)﴾**

٢ - **﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥)﴾**

٣ - **﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ (٥٤)﴾**

٤ - **﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ (٧٢) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣)﴾**

٥ - **﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ(٩٩)﴾**

٦ - **﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١١) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢)﴾**

٧ - **﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٢٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩)﴾**

٨ - **﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١)﴾**

٩ - **﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٣٦) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ (١٣٧)﴾**

١٠ - **﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١)﴾**

١١ - **﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (١٦٣) وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤)﴾**

---

[١] السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج٢، ص١٣٣.

ولنبدأ من آخر فاصلة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (١٦٣) وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤)﴾

١- الجحيم: (ج-َح-ِي م) (قصير، طويل)
٢- معلوم: (م-َعْ/ل-و م) (قصير، طويل)

حيث تم تعويض المقطع القصير بمقطع متوسط في الآية الثانية (معلوم) م-َعْ فهذه الزيادة في المقطع المقفل قابلت مقطعاً قصيراً(ج-َ). في الآية الأولى تمثلت في صيغتي فعيل جحيم، ومفعول معلوم.قصد بها تصوير زمن الحال فلو استبدلت الصيغة في مفعول بفعيل لفقدت الفاصلة بلاغتها في الدلالة على الثبوت و الوصف فجاء التعويض بالمقطع المقفل لغرض الآية.

ومن الأمثلة أيضاً على الفواصل المطرفة متماثلة المقاطع زيادة مقطع قصير وزيادة مقطع طويل، فمن المثال على الاول:

﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣١)﴾

ياسين (يا-س – ِي ن) (متوسط طويل)
المحسنين(م-ُح/س-ِ/ ن-ِي ن)(متوسط قصير طويل)

فقد فصل المقطع القصير الزائد بين مقطعي الآية في (س-ِ) لزيادة السلام على اليأس وذويه من آل أبيه.

والتي أشار إليها سيد قطب حين قال"وتختم اللمحة القصيرة عن إلياس تلك الخاتمة المكررة المقصودة في السورة لتكريم رسل الله بالسلام عليهم من قبله. ولبيان جزاء المحسنين و قيمة ايمان المؤمنين. وسيرة الياس ترد هنا لأول مرة في مثل تلك اللمحة القصيرة ونقف لنلم بالناحية الفنية في الآية "سلام على الياسين" فقد روعيت الفاصلة وايقاعها الموسيقي في ارجاع اسم الياس بصيغة الياسين على طريقة القرآن في ملاحظة تناسق الإيقاع في التعبير"[١]

ومما زيد به المقطع المتوسط قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ (٧٢) فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣)﴾

منذرين (م-ن/ذ-َ/ر-ي ن) (متوسط، قصير، طويل)
المنذرين (ا-ل/ م-ن/ ذ-َ/ر-ي ن) (متوسط، متوسط، قصير، طويل)

فالمقطع المتوسط المزاد بزيادة ال التعريف في الكلمة الثانية من الكلمتين المتجانستين حقق تنوعاً نغمياً بخلاف بينهما في مقطع واحد تمثل بزيادة المقطع المتوسط في زيادة ال ولعل

---

[١] قطب، سيد، (١٣٩١-١٩٧١م). في ظلال القرآن،ط٧، ج٢٣، دار التراث العربي، بيروت، لبنان، ص٦٨.

في هذه الزيادة المتوجه في قوله (المنذرين) تعريف العهد، وهم المنذرون الذين أنزل إليهم المنذرين أي أنهم الضالون.

د - الترسل:

وهو عدم التقيد بوزن ولا روي في الفواصل [١]، الأمر الذي يؤدي إلى خروج عن الرتابة وتحقيقاً للمعنى من خلال هذا التنويع بين الصفات الأصلية والفرعية لحروف الروي والتطابق أو التناسب للمقاطع الصوتية في أحيان أُخرى.

﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ(٥)﴾

﴿مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤)﴾

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ(١٢)﴾

﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩)﴾

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ (٤٤)﴾

﴿فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدتَّ لَتُرْدِينِ (٥٦)﴾

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ (٦١)﴾

إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥)﴾

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦)﴾

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٧) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٨)﴾

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٨)﴾

﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ(١٠١)فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) ﴾

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) ﴾

﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨)﴾

﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١٠)﴾

﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٥) وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ (١٤٦)﴾

---

[١] محمود أحمد نحلة، لغة القرآن الكريم في جزء عم، ص ٣٧٣.

فمن الإستعمالات التي تقاربت الفاصلتان في حروف الروي ولم تتطابق قوله تعالى:

﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ(٥)

لواحد ل-َو ا/ح-د

المشارق م-َ/شا/ ر-ق

الكواكب ك-َو ا/ك-ب

فالفواصل هنا لم تكن على روي واحد فيحدث الالمطرف ولا على الوزن واحد فيحدث المتوازن إنما جاء الروي متواتراً من حروف انفجارية من الدال والقاف والفاء تحقيقاً للترسل الذي حقق قدراً كبيراً من الإنضباط الموسيقي تمثل في إتقان المقاطع وتطابقها تطابقاً تاماً إختلاف الوزن مما يؤثر على الإيقاع بطريقة خفيفة.

ولعل هذا التوافق المقطعي توافق دلالي للفظة المغارب ضمناً م-َ/غا/ر-ب لتناسب البنية اللغوية إيقاعياً وصوتياً ودلالياً حققت تناسباً متكافئاً للدلالة مع الإيقاع بين طرفي البنيتين الإيقاعيتين.

المشارق = علامة عدمية – o المغارب ضمناً

مماثلة على المستوى العمودي بين: المشارق ≠ الكواكب

تضاد على المستوى الأفقي بين عناصر هذه التشكيلة الإيقاعية

م _ / شا / ر _ قْ ≠ م _ َ / غا/ ر_ب

م _ َ/ شا / ر_قْ = ك _ َ / وا / ك _ ب

م _ َ / غا / ر _ بْ/ = ك _ َ / وا / ك _ ب

وقد تحقق التقارب الصوتي بينا الفواصل، في اشتراك حروف الروي في بعض الصفات الأصلية كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ (٦١)﴾

فحرف الروي في الآيتين تتنقل بين الميم والنون وكليهما حرف لين مجهور الأمر الذي أخذت ترسلاً واضحاً لانشاز فيه، كان الجهر عنصر الإشتراك بينهما بالإضافة إلى تطايق إلا في العاملون فقد ريد فيها تقطيع (عا) لدلالة التأكيد:

ع-َظ-ي م عا/ م-ِل-ون

قصير طويل متوسط قصير طويل

والذي جاء وكأنه لازمه للصيغة المقابلة لصيغة فعيل الفاصلة القرآنية في السورة الكريمة.

ومن أمثلة ذلك أيضاً ما جاء في قوله تعالى:

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩)﴾

فالميم في الأليم والنون في تعملون اشتركتا في الصفة واختلفتا في المخرج تحقيقاً للتنويع في الروي والوزن حيث تساوت المقاطع بينهما إلا في مقطع واحد.

الأليم (أ- / ل- يم) (قصير طويل)

تعملون: (ت-ع/م-َل-ون) (متوسط، قصير، طويل)

لأن الوصف باليم ما يدل على الثبات في الموصوف كأنه خلقه وطبيعة فيه ما دل على شدة عذابهم الثابت فيهم الملتصق بالخط الاكبر من ذلك الجزاء بأعمالهم في الدنيا من أثار الشرك.

فالتنقل بين الفواصل المختلفة والمراوحة بينها في الوزن والروي أثرى الإيقاع البياني في السورة وأحدث التنويع والتلوين بنسب محكمة مرتبطة بتحقيق غاية صوتية أسلوبية عليا تشهد بالإعجاز.

سابعاً: خلاصة المستوى الصوتي:

١. تنوع الصوامت والصوائت في سورة الصافات خلق نغمات متنوعة وأحدث إيقاعات متجددة أثرت النص إيقاعياً ودلالياً.
٢. جاءت مخارج الأصوات داخل النظام الصوتي الذي قامت صفات ومخارج حروف السورة الكريمة فيه على مبدأ المزاوجة متباينة مع المقاصد الدلالية للآيات.
٣. استندت السورة إلى المراوحة بين حرف الميم والنون كحرفي روي لازمين في معظم السورة الكريمة لما فيها من وضوح في السمع وسهولة في النطق.
٤. اختيار القرآن وانتقاءه لحروف مقاطعها حروفاً مطابقة صوتياً ودلالياً.
٥. أبرز نسق الاصوات وانتظامها وسيلة التكرار الصوتي لبعض الحروف من خلال نظامها الصوتي الخارجي ودوره في نسج تشكيلاتها الموسيقية والدلالية.
٦. جاء المقطع الصوتي ضمن البنية الصوتية لسورة الصافات عنصراً صوتياُ فعالاً في الكشف عن المعاني العميقة للآيات، متخذاً أشكالاً متنوعة لأنواعه المتعددة ساعد على كشف دلالاتها التمييزية.
٧. جاء تنوع المقاطع في سورة الصافات استجابة لمتطلبات السياق الخاص للآيات.
٨. ازدياد المعنى تبعاً لزيادة المبنى الصوتي، فزيادة صوت التشديد والضغط عليه غالباً ما كان يرفع الموجة الصوتية ويشدد سواد الصوت في الحزمة الصوتية على جهاز الراسم الطيفي.
٩. ساهم التجنيس في سورة الصافات بتوسيع النغمة الإيقاعية والموسيقية من خلال موقع الأصوات من الكلمات المجاورة لها.
١٠. جاء التجنيس الاستهلالي كنوع من أنواع التجنيس ثرياً بالنغمات الموسيقية العذبة.
١١. جاء إيقاع الصيغ وسيلة موسيقية صوتية داخل النظام الصوتي لتعزيز القدرة الإيقاعية.
١٢. استثمرت وسيلة إيقاع المعاني المفردة من خلال إبراز دور البنى المتقاربة في إنتاج بعض التشكيلات الصوتية إيقاعياً ودلالياً.
١٣. تنوعت أنماط الفواصل القرآنية، الأمر الذي أبرز كثافة الطاقة الصوتية والإيقاعية المشكلة لسورة الصافات.
١٤. جاءت الفاصلة مستندة على مبدأ النظام الذي يتخلله التغيير لتوليد أقصى طاقة إيقاعية وصوتية محتملة أحدثت تشابكاً تركيبياً ودلالياً.

١٥. شكلت كل بنية صوتية بوظيفتها على مستوى النص تضافراً مع الأصوات المنظومة لتشكيل المعنى.

ومن خلال هذا المستوى الصوتي المشكل لباقي المستويات نلمس هذا التعاضد على صهيد النص القرآني لنمط سير البنية الصوتية للكلمات المشحونة بإشارات دلالية لغوية متعددة أظهرها البعد الصوتي في علاقات قامت على السببية بين دوال الكلمات ومدلولها.

الفصل الثاني

المستوى المعجمي

أولا:التمهيد

تعنى هذه المادة بدراسة الكلمات لسورة الصافات، ضمن وصف لمادتها اللغوية، وعرض لقيمها البنائية الواردة عليها، كدلالات تميزية تفيد في خدمة الجمل والعبارات كون "أن المادة الأصلية للكلمة تدل على المعنى العام الذي هو مشترك بين حروفها في جميع تصاريفها، والصيغة تحدد ذلك المعنى العام وتخصصه" [١] ، فالصيغ ما هي إلا قوالب فكرية تسكب فيها معاني الكلمة.

ولذا فإن دراستنا هذه قد اختارات الكلمة كوحدة دلالية، ضمن الدراسة المعجمية لشمولها للمعنى والقالب معاً، ولتمهيدها لدراسة الجملة والعبارة لاحقاً، "فهي في ذلك كالقطعة تستعمل في تركيب جهاز متشعب فتُهيأ قبل أن توضع في مكانها من الجهاز، أي تعد بطريقة تكسبها قابلية التركيب، مع غيرها فليست هي بعد ذلك مجرد مادة خام خشبية مثلاً او حديدية بل أصبحت عنصراً له سماته يحمل في نفسه ما يدل على دوره في جهاز المعني، كذلك الكلمة فهي تستوعب زيادة على معناها المعجمي قيماً دلالية إضافية في انتماء إلى قسم من أقسام الكلام ".[٢]

ورغبة في استخراج المقاصد الدلالية لهذه الكلمات بقوالبها المتنوعة لغايات تميزية، فإن منهجنا قد قام على تحديد الكلمات الأكثر شيوعاً في ضوء بروزها أسلوبياً فعلاً كانت أم اسماً، بنية الاسماء المفردة والمركبة باختلاف قالبها، وبنية الافعال في صورها المفردة والمجردة.

لقد كشف المنهج الإحصائي الذي قمنا به عن وجود ٣٧٦ اسماً، ١٧٢ فعلاً تقريباً، وهي نسبة إحصائية ترجع إلى موضوع السورة نفسها في إثبات عقيدة التوحيد ضمن العالمين حيث يحتاج الامر إلى الأسماء لما لها من دور في وظيفة الإخبار في بنائها الثابت، عكس بناء الأفعال الذي يدل على الزمن والحدث بفعل دلالة الحركة، ونحن في مقام المقارعة والمناظرة في سبيل الدفاع عن الحجة في مواجهة الخصم لابد لنا من حقائق ثابته قارة، لإقامة البينه عليه بالدليل القاطع نلجأ للاسم بصيغه المتعددة لما له من دور في خدمة المعاني المختلفة.

---

[١] مصطفى النحاس،(١٩٨٠-١٤٠٠). التحول الداخل في الصيغة الصرفية وقيمته البيانية أو التعبيرية، (م١٨)، (ج١) اللسان العربي، المغرب.

[٢] عبد القادر المهدي، (١٩٨٢). رأي في بنية الكلمة العربية، (ع ١٣٥، ١٣٦) مجلة الموقف الادبي، دمشق، ص ٦٧.

ثانياً: الاسماء:

تشكل بنية الاسماء في سورة الصافات مادة ثرية، وردت في سياقات مختلفة بأشكال مختلفة حسب المعنى الذي اقتضاه السياق، بقوالب أدى تغير وحداتها إلى تغير معانيها من غير المحافظة على القالب الواحد لغايات تميزية " ونعني بذلك تلك الدراسة التي تعرض لدراسة الكلمات وصورها لا لذاتها وإنما لغرض معنوي يفيد في خدمة الجمل والعبارات" [١].

١ - النكرة:

تعتبر النكرة من الوحدات الصرفية التي ظهرت على شكل صيغ اندرجت ضمن وصف السمات الأسلوبية ودلالتها العامة، معتمدة على المونيم كوحدة دالة لأغراض بلاغية في السورة الكريمة، خرجت بها من معناه الأصلي إلى معاني أخرى كالتفخيم، والتخصيص، والمبالغة والتحقير، مناسبة للسياقات المختلفة التي جاءت فيها السورة، وقد حملت بدلالات فردية للتعبير عن الموضوعات المطلقة ضمن السياق التعبيري. فالنكرة " تفيد معناها مطلقاً من كل قيد ، أما ما يذكره علماء البلاغة من معان أستفيدت من النكرة، فإنها لم تفدها بطبيعتها، وإنما استفادتها من المقام الذي وردت فيه، فكأنما المقام هو الذي يصف النكرة ويحددها "[٢] وقد كان أبرزها ما دلّ على:

أ- التفخيم:

من سمات الأسلوب في السورة الكريمة، إذ ترد النكرة متضمنة دلالة التعظيم، وقد عبرت عنه بصورة كان أولها المصدر النكرة في قوله تعالى: ﴿**سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ(٧٩)**﴾ ولأن المقام مقام إنشاء ثناء الله تعالى على نوح، فإن التعظيم لازم لهذا الانشاء بما فيه من تقريب ورضى فجاءت النكرة ابتداءً لتضمنها دلالة التفخيم لأنها صارت كالموصوف بتنوينها، ولأن المدح يفيد الثبوت الدائم المستمر جاء بالاسم، فالاسم أقوى وأثبت، ولأن هذا الثبوت قد ثبت عند الله وخلقه واستقر كأن الرفع دون النصب، فقد جاء في شرح (ابن يعيش): أن الفرق بين النصب والرفع إنك إذا رفعتها فكأنك ابتدأت شيئاً قد ثبت عندك واستقر فيها ذلك المعنى....، وإذا نصبت كنت ترجاه في حال حديثك وتعمل في إثباته "[٣].

---

[١] كمال محمد بشر، (١٩٦٩). مفهوم علم الصرف، مجلة مجمع اللغة العربية، ج ٢٥، ص ١١٠.

[٢] بدوي، احمد أحمد، من بلاغة القرآن ، ط٢، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٠، ص ١٢٨.

[٣] ابن يعيش، شرح المفصل، م١، ج١، المطبعة المنيرية، القاهرة، مصر، ص ١٢٢.

ولأجل أنه وصف نكرة جاء التنوين، ولو كان غير منون لكان علماً فأطلق على العموم، ليشمل كل السلام. وكما هو معلوم بأن الوصف يحتاج إلى شرح أطول وتفصيل أكثر انعكس على بنيته الداخلية باضافة التنوين.

سلام : س – َ /لا/م – ُ

س – َ /لا/م- ن

وذلك لأن، "كل تصرف في الأصل لبناء كلمات جديدة تترتب عليه عملية معقدة هي بمثابة بناء جديد، ولئن حافظ الاصل الحرفي على كيانه فإن جهازه الحركي يلحقه التغيير غالباً لتحقيق التوازن جديد بين مختلف عناصر الكلمة "[١].

وقد جاءت النكرة في بناء صرفي أتاح لها نسج دلالة التعظيم حيث نلمح الفعل بالمفعول المطلق في قوله تعالى :﴿ **قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧)**﴾ لما في التنكير المصدر من تعظيم للبناء المُعدّ لإحراق سيدنا ابراهيم فضلاً عن دلالة النوعية كما سيمر لاحقاً في تصنيف الحقول المعجمية.

وقد تعتمد السورة على صيغة صرفية في قالب النكرة، لتوضيح عظمة القدرة الإلهية، فوصف الذبيح بالعظيم، لبيان شرف قدره، فقد يفهم من الذبح معنى التقليل بإطلاق الأمورعلى عاداتها، ولكن اعتماد النكرة بالتنوين أبرز عظمته بعظم أثره. "وهو أنه فدى ابن رسول، وأبقى به من سيكون رسولاً، فعظم بعظم أثره، ولأنه سخّره الله لأبراهيم في ذلك الوقت وذلك المكان"[٢]، فأفادت النكرة معنى الإيضاح بعد الإبهام في مضمون التفخيم.

هذا فضلاً على ما أضافته النكرة من مماثلة صوتية بين صيغتين مختلفتين إذ جاءت متضمنة المقطع نفسه في الكلمتين في:

(ب – ِ / ذ- ب / ح – ن) (عـ - َ / ظـ - َ ي/ م- ن)

ولأن الوصف بعظيم لتفخيم قدر هذا الذبح، فالله أوحى لسيدنا إبراهيم أن يذبح الكبش فداءً عن ابنه، فإبراهيم هو الفادي، وابنه اسماعيل عليهما السلام هو المُفْدى، ولكليهما التعظيم .

فالنكرة إذن بمعنى التفخيم جاءت بقوالب صرفية لتوضيح دلالات بقصد رفع الاحتمال عن المعنى.

---

[١] عبد القادر المهيري،(١٩٨٢)، راي في بنية الكلمة العربية، مجلة الموقف الادبي، ع ١٣٥/ ١٣٦،دمشق، ص ٦٦.

[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٢٢، ص ١٥٦.

ب- التخصيص:

قام التخصيص على البروز الأسلوبي في الآيات عن طريق تتابع النكرات فقوله تعالى " ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١)فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢)﴾

حيث خصصت به الفواكه بالذكر، لانها أرزاق أهل الجنة، فقد تضمنت الآية نكرة " الفواكه " معنى النوعية، فالآية اعتمدت على وحدات صرفية دالة لتفيد معنى التعيين ببيان واحد من أفراد الجنس "والظاهر أن الاقتصار على الفواكه للترغيب والتشويق" [١].

فالقالب الصرفي للوحدة الصرفية للنكرة فواكه " أدى دوراً جمالياً موسيقياً مع النكرة المطلقة على العموم رزق، في إبراز الدلالة الأسلوبية للفظة بالمقاطع التي حوتها النكرتين:

(رزق، فواكه) ؛ (ر-ز/ ق- ن) ، (م-ع، ل – وم)

(ف-َا/ك-هــ) ، (م-ك/ا/م-ُن)

حيث تتجلت القيمة الموسيقية للنكرتين بانتهاء كل منها بمقاطع مقفلة، للدلالة على التحدث في موضوع واحد، ألا وهو الرزق وجاءت المخالفة في كمية المقاطع ونوعيتها في الكلمة الواحدة ومما يبرر هذه المخالفة الصوتية الصرفية أن الآية الخاصة بالحديث عن الفواكه جاءت تفصيلاً للآية الاولى في سياق النعيم المعد لأهل الجنة، الامر الذي تطلب التوسيع ببيانه ، وبيان أنواعه بلفظ جاء بقالب النكرة للتعبير عن معاني متعددة، ولو جاءت معرفة "الفواكه" فإنها عندها لن تُعني إلا شيئاً واحداً، إن علمنا بأن النعيم المعد لأهل الجنة هو مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقريب من ذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ(٣٣)﴾ فهنا حديث عن المشركين الرؤساء والاتباع من غير ذكر لأسمائهم تجاهلاً لهم لبيان عدم إجداء معذرة كلا الفريقين وتفصله من التبعية فاقتضى المعنى الإتيان بيومئذ نكرة لتفيد الاختصاص؛ ذلك أن اشتراكهم في العذاب خاص بذلك اليوم، يوم القيامة، أي يوم تساؤلهم، أما في الدنيا فلم يكن هذا المعنى حاصلاً بينهم، وقد كان هذا اليوم في ذلك الزمان نكره لهم.

وقد جاءت النكرة متضمنة لدلالة التخصص في أكبر قالب، وهو مما يعد سمة أسلوبية، فقد تقدم المسند على المسند إليه وفي قوله تعالى: ﴿لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ(٤٧)﴾ ذلك أن " في تقديم الظرف المسند على المسند إليه لإفادة التخصيص، أي هو منتف عن خمر الجنة فقط دون ما يعرف من خمر الدنيا، فهو قصر قلب، ووقوع غول وهو نكرة بعده لا النافية أفاد انتفاء هذا الجنس من أصله ووجب رفعه لوقوع الفصل بينه وبين حرف النفي بالخبر"[٢].

---

[١] البروسوي،إسماعيل حقي.(١١٣٧هـ). تنوير الأذهان في تفسير روح البيان، تحقيق الصابوني،ص ٣٣٨.

[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١١٤.

ج- المبالغة:

تميل سورة الصافات إلى النكرة المتضمنة دلالة المبالغة بصورة تعد سمة أسلوبية في تعبير النص، ذلك أن السياق هو المتحكم بالنمط المستعمل نحو قوله تعالى: ﴿ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ(٤٦)﴾ فتنكير كلمة لذة دلت على معنى المبالغة، لأن السياق للآية يشير إلى النعيم الذي أعد للمؤمنين، وقد خلا من كل أذى حتى الخمر المقدم، " فوصف الكأس بها كالوصف بالمصدر يفيد المبالغة في تمكين الوصف، فقوله تعالى: " لذة " هو أقصى مما يؤدي شدة التلذذ بكلمة واحدة، لأنه عدل به عن الوصف الأصلي لقصد المبالغة ، وعدل عن المصدر إلى الاسم لما في المصدر من معنى الاشتقاق" [١]. فهي تحمل في مضمونها التكثير.

وتبرز كلمة دحوراً كدلالة تمييزية قصد الخطاب القرآني بها إلى إبرازها في قوله تعالى: ﴿دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩)﴾ بقالب المصدر " فهو مصدر مؤكد أو حال من ضمير (يقذفون) على أنه مصدر باسم المفعول... وهو في معنى الجمع لشموله الكثير أي مدحورين [٢]" للتعبير بالمصدر النكرة لإزالة الابهام وتوضيح المعنى وذلك لكثرة خذلان الشياطين في استماعهم، فجاءت النكرة فعول لهذا المعنى ولو جاءت داحراً لما فهم المعنى المراد في انتفاء السماع.

د- التحقير:

التحقير من سمات الاسلوب القرآني، إذ ترد النكرة في سورة الصافات متضمنة دلالة التحقير بالتجاهل والاستهزاء في سياق الرد على المشركين، وعنادهم كقوله تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ(١٢٥)﴾

فالتنوين كما مر سابقاً ذكرنا بأنه بالنصب يفيد شيئاً تترجاه وتعمل في إثباته، وهو ملائم لدلالة عدم الثبات مع الصنم يصل في مقام المقابلة مع أحسن الخالقين بدلالة الثبوت باسم الفاعل ودلالة عدم التمكن والتأرجح مع غيره جل جلاله في مقام الألوهية وفي ذلك يقول الطاهر بن عاشور " أتدعون صنماً بشعا جمع عنصري الضعف وهما المخلوقية وقبح الصورة، وتتركون من له صفة الخالقية والصفات الحسنى [٣]. إلا ان الألوسي اعتبر التنكير للتبعيض...، أتدعون بعض البعول أي الأرباب والمراد بها الأصنام والمعبودات الباطلة " [٤].

---

[١] ابن عاشور، المصدر السابق، ص ١١٣.

[٢] الألوسي، تفسير روح المعاني، ج٨، ص ٧٠.

[٣] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١٦٧.

[٤] الألوسي، تفسير روح المعاني، ج٨، ص ١٤٠.

وفي اعتقادي بأن الاقرب لمعنى النص أن تكون النكرة لإفادة معنى التحقير ، إذ السياق كما ذكرنا قائم على المفاضلة بين شيئين اثنين شيء متعلق بالعالم العلوي عالم الالوهية وبالتحديد الذات الإلهية ، في مقام اثبات عقيدة التوحيد بأن الله واحد لا اله غيره، وشيء متعلق بالعالم السفلي عالم الشرك والطغيان الذي اتخذ صورة بعل في هذا المقام وبعل كما هو معروف اسم صنم وليس أصنام متعددة كما هو مذكور، وهذا ينفي أن يكون أرباب، ثم كيف يعقل أن يفيد التنكير التبعيض أي أنه جزء من "شيء" في سياق المفاضلة مع الذات الإلهية؟ !! .

وقد تمتد النكرة في التحقير إلى معنى التجاهل والاستهزاء وهو من اقل الدلالات شيوعاً في السورة، من أمثلته ما ورد في قوله تعالى:﴿ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ(١٥٠)﴾ ، ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ(١٥٦)﴾ فالقالب الصرفي للنكرة جاء ملائماً لمقام المجادلة الجارية بين الطرفين بالأدلة المقدمة في مقام المناظرة لإفحام الخصم، كإناثٍ وسلطانٍ، لأن الله لم يرد تعيين هذه الإناث، وهذا السلطان وإنما أراد إقامة الحجة عليهم لعلمه جل جلاله بعدم قدرتهم وبمزاعمهم الباطلة فكانت إناثهم هذه وسلطانهم هذا نكرة لا أساس لها. كما جاء النكرة " للتحقير المعنوي وهو التقليل[١] في قوله تعالى:﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ(١٧٤)﴾ فإهمال الوقت علامة على التقليل الذي يحمل في طياته التقريب وجاءت النكرة لتدل على التحقير.

وهكذا تبين أن النكرة أتى بها حين لم يرد تعيين أحد افراد الجنس، وقد وردت في كل من المسند والمسند إليه لتفيد أغراضاً بلاغته خرجت من دلالة التعميم إلى دلالئل أخرى للتوسع في المعنى في إثبات عقيدة التوحيد.

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١٩٦.

٢ - المعرفة:

في مبحث التعريف ننتقل من موضوع العموم والشمول إلى الخصوص والانحصار فالمعرفة ما وضع لشيء معين [١]، أي أنها تقصد التعيين في المسند والمسند إليه عكس نقيضتها النكرة.

ويقول عبد القاهر الجرجاني في تفريقته بيت التعبيرين: "إعلم أنك إذا قلت: " زيد منطلق كأن كلامك مع من لم يعلم أن انطلاقاً كان لا من زيد ولا من عمرو، فأنت تفيد ذلك ابتداءً، وإذا قلت: " زيد المنطلق" كان كلامك مع من عرف أن انطلاقاً كان إما من زيد وإما من عمرو فأنت تعلمه أنه كان من زيد دون غيره " [٢].

وبذلك سنتعامل مع التعريف كوسيلة أسلوبية في السورة للتعرف على دلالتها المتعددة داخل النص للكشف عن الدلالة الضمنية للآية التي يحددها السياق، ولذا فإننا سنتدرج مع القدماء في تسلسل المعارف من المضمرات حتى العَلَمْ، ولأن الضمير كما يذكر ابن هشام، "هو أعرف المعارف"[٣] وله خاصية في الربط والإيجاز وقيمة في تغيير المعاني فضلاً عن قيمته التعبيرية والأسلوبية التي يتمتع بها في ضوء التعبير القرآني ارتقينا البدء به بمختلف اشكاله.

أ. الضمير:

يستعمل الضمير في سورة الصافات كمميز دلالالي، خرج عن دلالته الأصلية للتعبير عن تلك الخصوصية في سياقاتها المتعددة منها:

١ - إضمار الاسم لتقدم ذكره:

يأتي التعريف بإضمار الإسم في التعبير القرآني لسورة الصافات في مقامات متعددة (للمسند والمسند إليه) من مقام المتكلم حتى المخاطب إلى الغائب. "وذلك لأنك لا تضمر الأسم إلا بعد تقدم ذكره، ومعرفة المخاطب على من يعود، ومن يعني أو تفسير يقوم مقام الذكر ولذلك استغنى عن الوصف" [٤] لاغراض متعددة:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ (١١)**﴾ فالضمير هنا ضمير الغيبة، وقد حذف معاده، لانه عائد إلى ما يعزز ذكره في المقام من خلال القرائن الموجودة في الآية الكريمة، "فضمير الغيبة في قوله: " فاستفهم" عائد

---

[١] السيوطي، الاتقان، ج١، ص ٩٠.

[٢] الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الاعجاز، ص ١٧٧.

[٣] ابن هشام، محمد عبد الله جمال الدين، (٧٦١)هـ، (١٩٩٣). شرح قطر الندى وبل الصدى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت ص ١٠٤.

[٤] ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشزري، م١،ج٣، ص ٥٦.

إلى غير مذكور للعلم به من دلالة المقام، وهم الذين أحالوا إعادة الخلق بعد الممات، وكذلك ضمائر الغيبة الآتية بعده، وضمير الخطاب منه موجه إلى النبي ﷺ، أي فسلهم وهو سؤال محاجة وتغليظ"[١].

فمعرفة المخاطبين لله تعالى الأشد خلقاً بورود أفعل التفضيل، ومعرفتهم للنبي – صلى الله عليه وسلم – في طلب الحجة ممن أنكروا، ومعرفتهم كذلك لمن رفضوا التوحيد كان يغني عن ذكر ألفاظهم واكتفى بالقرآن لدلالة المقام.

وما يعد سمة أسلوبية اجتماع ثلاثة أنواع من الضمائر في آن واحد المتكلم (نا) عائد إلى الله سبحانه وتعالى والمخاطب (أنت) عائد على سيدنا محمد ﷺ والغائب (هم) عائد إلى المشركين، مشكلةً أقطاب الإرسال: المُرسِل، والمُرسَل، والمُرسَل إليهم، المحاور التي يقوم عليها فنّ المناظرة، وقد جاءت الآية حاوية لها، مبرزةً بذلك المقامات الاجتامعية لكل فئة، فضمير المتكلم (أنا، أنت) يعبران من خلال الهمزة عن معاني البروز والحضور، والنون بعدها دلّت على الذاتية، وقد خُص ضمير المتلكم بالألف اللينة في آخره ليوحي بمعاني الامتداد إلى الأعلى، وخص المخاطب بالتاء الرقيقة في آخره ليكون في موقع لغوي صوتي اجتماعي أقل شأنا من موقع المتكلم. فجيء بالأنا لله تعالى وجيء أنت للمخاطب الرسول – ﷺ- ليكون المتكلم بذلك حاضراً بوضوح وتعالٍ في مواجهة المخاطب الحاضر الأخفض مقاماً منه، والأعلى من المغيبين عنه، ولذا جاءت الهاء في بداية ضمائر الغائب (هم) لتثير انتباه السامع لما يقصده المتكلم ممن لا حضور لهم بخاصية الاهتزاز في صوتها، وهذا مما قد يدل على الغمز المبطن بالموقع الاجتماعي لهم خاصة بقرينة الطين اللازب. وكأن هذا تصنيف لموقعهم بين مخلوقات الله في عالمه العلوي والسفلي، ولذا جاء ضمير الغائب هم في الفعل أبصر في حين جاء الفعل مجرد عندما أسند للرسول ﷺ في الآيتين ١٧٥-١٧٩ من السورة الكريمة.

ومثيله قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمْ الْبَنُونَ(١٤٩)﴾

نلاحظ في هذه الآية أن التعبير القرآني اكتفى بضمير الغيبة هم والضمير المخاطب ك في عودتهما، "على غير مذكور يعلم من المقام، مثل نظيره السابق في قوله تعالى: ﴿اسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ(١١)﴾ والمراد " التحكم عليهم بصورة الاستفتاء إذ يقولون ولد الله، على أنهم قسموا قسمة ضيزى حيث جعلوا لله البنات وهم يرغبون في الأبناء الذكور، ويكرهون الإناث فجعلوا لله ما يكرهون...، وضمير "لربك" مخاطب به النبي – ﷺ–، وهو حكاية للاستفتاء بالمعنى لأنه يقول لهم: ولكم البنون، وهذا التصرف يقع في

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ٩٤.

حكاية القول، ونحو ما فيه معنى القول مثل الاستفتاء[١]"،ولهذا اكتفى بالضمير لفهم المعنى من السياق وقد أسند لله بالكاف وللمشركين بالغائب هم، والكاف حرف احتكاكي ناسب مقام اتصال وإسناد هذا الموضوع لله تعالى.

وقريب من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ(٧٥)﴾

حذف هنا معاد الضمير بعد أن ذكر إرسال المنذرين وسوء عاقبة المنذرين، و أتبعها بذكر نوح ودعائه لله سبحانه وتعالى لِتَضَمُّن الآية للمعنى " فاللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف، والمخصوص بالمدح محذوف تقديره: فو الله لنعم المجيبون نحن، فالجمع دليل العظم والكبرياء"[٢].

ذلك أن ضمير المتكلم المشارك هنا نحن المحذوف الذال على الكثرة والذاتية بنونيه وبحاءه الدالة على الإحاطة توافق مع خاصية الجمع للمتكلم لتعظيمه، حيث كان بإمكان التعبير القرآني العدول عن ضمير الجمع لضمير آخر كأن يقال فلنعم المجيب أنا، إلا أنه لخاصية الجمع والكثرة والإحاطة في هذا الضمير أتى به ، فالمقام مقام طلب نُصرة على جمع وليس فرد.

ومن استعمالات الضمير وحذف معاده ما جاء مع فعل الظن في قوله تعالى: ﴿ما ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ(٨٧)﴾ ، فقد حذف المتعلق هنا لقصد التوسع في تقدير المحذوف بكل احتمال مناسب تكثيراً للمعاني، "فيجوز أن تعتبر من ذات ربّ العالمين أوصافه ويجوز أن تعتبر منها الكنه والحقيقة، فاعتبار الوصف على وجهين، أحدهما : المعنى المشتق منه الرب، فيكون التقدير فما ظنكم أن له شركاء وهو المنفرد باستحقاق الشكر المتمثل في العبادة لأنه الذي أمدكم بأنعامه، وثانيهما: المالكية فيكون التقدير فيما ظنكم ماذا يفعل بكم من عقاب على كفرانه وهو مالككم ومالك العالمين، أما جواز اعتبار حقيقة رب العالمين وكنهه، فالتقدير فيه: فما ظنكم بكنه الربوبية فإنكم جاهلون الصفات التي تقتضيها وفي مقدمتها الوحدانية".

كما أن حذف معاد الضمير في السورة الكريمة جاء بصورة أسلوبية في قصص الأنبياء بعد ذكر أسمائهم في بداية القصة مكتفياً بالضمير بعدها للدلالة على ما تقدم ذكره، ففي قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ(١٠٢)﴾ ، حذف معاد الضمير لترك اسم النبي الذبيح من غير تسمية وإجراء الضمائر عليه ليكون الهدف إبراهيم وليس اسماعيل، ولذلك ذكر الفعل بلغ مع ضمير الغيبة العائد على إسماعيل، ولو كان هو الهدف لكان الفعل بالمثنى فلما بلغا والله أعلم.

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١٨٠-١٨١.

[٢] الزمخشري، الكشاف، م٣، ص ٤٨.

٢ - ضمير الشأن:

ضمير الشأن يطلق على ضمير الأمر، والقصة، والحكاية، في دلالته على التفخيم والتنبيه فهو يقع في صدر الجملة، وتكون الجملة بعده مفسِّره له، وواقعة خبراً عنه، فهو يكثر في المواضع التي يراد بها تعظيم أمر وتفخيم شأنه عن طريق الإبهام ثم الإيضاح.

ولذا اعلم أن ضمير الشأن والقصة على اختلاف أحواله إنما يرد على جهة المبالغة، في تعظيم تلك القصة وتفخيم شأنها، وتحصيل البلاغة فيه من جهة إضماره أولاً، وتفسيره ثانياً، لأن الشيء إذا كان مبهماً فالنفوس متطلعة إلى فهمه ولها تشوق إليه فلأجل هذا حصلت فيه البلاغة ولأجل ما فيه من الاختصاص بالابهام لا يكاد يرد إلا في المواضع البليغة المختصة بالفخامة"[١].

إن السياق اكتفى بعدم ذكر مرجع الضمير تعظيماً لسرعة حصول المفاجأة ليسأل عنه السامع فلو كانت الجملة (فإنما زجرة واحدة) أو (فإنما زجرة هي واحدة) ، أو (فإنما زجرة زجرة واحدة)، أو(فإنما هي زجرة واحدة). لكانت الأولى إخبار بالمعرفة، ولكانت الثانية لتوكيد القصر، ولكانت الثالثة توكيداً لمن شك في (زجرة) أوظن انصراف ذهن السامع إلى غيرها، فأزال بذلك تكرارها هذه الاحتمالات، أما الرابعة الجملة الاصلية فهي لتفخيم الأمر وتعظيمه فالضمير (هي) غير الضمير (هي) في الجملة الثانية، فهي في الحملة الثانية ضمير فصل يعود على الاسم السابق ويطابقه مطابقة تامة كما سيمر لاحقاً، بخلاف ضمير الشأن الذي يأتي بلفظ الأفراد والغيبة لتفخيم الأمر وتعظيمه فهي في ضمير الشأن لم تدل على اسم بعينه "زجر" بل على الجملة.

فالآية اعتمدت ضمير الشأن، حيث أضمر مرجعه في قوله تعالى: ﴿**وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ**(٧)﴾ فاستخدامه قصد وراءه ما قصد من استخدامه في الخطاب القرآني من تعظيم أمر المحذوف، يقول ابن يعيش في "شرح المفصل" موضحاً مواضع استخدامه " اعلم أنهم إذا أرداوا ذكر جملة من الجمل الاسمية، أو الفعلية فقد يقدمون قبلها ضميراً، يكون كناية عن تلك الجملة وتكون الجملة خبراً عن ذلك الضمير وتفسيراً له، ويوحدون الضمير لأنهم، يريدون الأمر والحديث، لأن كل جملة شأن وحديث، ولا يفعلون ذلك إلا في مواضع التفخيم والتعظيم فيسميه الكوفيون الضمير المجهول لأن لم يتقدمه ما يعود إليه...[٢]".

---

[١] العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، م٢، ص ١٤٢، ١٤٣ راجع شرح المفصل ودلائل الاعجاز ، م١، ج٣، ص ١١٤، ففيه تفصيلات مفيدة.

[٢] ابن يعيش، شرح المفصل، م١، ج٣، ص ١١٤.

فسياق الآية يوحي بمقام عظم الأيمان تنويهاً بشأنه ليزداد المؤمنين إيماناً، ويقلع المشركين عن كفرهم، ولعظم المقام لم يذكر مرجع الضمير، تعظيماً لصاحبه وتشويقاً للسامع ليسأل عنه من ناحية أن يثير النفس، ويدفعها إلى معرفة المراد منه فإذا جاء تفسيره استقر هذا التفسير في النفس وتأكد فيها " [١].

واللافت للنظر أن ضمير الشأن في السورة راجع في الحقيقة للمسئول عنه بسؤال في مواقف المقارعة والمجادلة، في مقام الحكاية وهو ما نسب دلالة التفخيم المقترن به.

٣ - ضمير الفصل:

أما بالنسبة لضمير الفصل، فهو ما أصله المبتدأ والخبر، أو ما توسط بين المبتدأ والخبر بغية التعظيم بالعائد عليه والعناية به لمزيد من التأكيد للاهتمام به وذلك باظهار عائد الضمير.

ومن أبرز هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ(٦٠) ﴾

فوجود الضمير عيّن أن يكون الفوز هو الخبر، ولولا الضمير لاحتمل أن يكون التعظيم هو الخبر، والفوز بدلاً من الإشارة ، فيكون المعنى إن هذا الفوز هو العظيم ولذلك فقد " أبدع من تصوير حسن حالهم بحصر الفوز فيه حتى كأن كل فوز بالنسبة إليه ليس فوز بالحصر للمبالغة بعدم الاعتداد بغيره ثم ألحقوا ذلك الحصر بوصفه العظيم" [٢].

وقريب منه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ(٧٧)

فضمير الفصل هم بين أن الوارد بعده خبر لا صفة، فهو للقصر أفاد التوكيد، وجعل فائدة المسند ثابته للمسند إليه دون غيره، فلو قلنا: وجعلنا ذريته باقية، فهو لا يفيد أن البقاء لا يحصل إلا في ذريته، أما قولنا ذريته هم الباقين، فهذا يفيد أن البقائية لم تحصل إلا في ذريته، وهذا معنى الحصر : أي لم يبق أحد من الناس إلا من نجاه الله مع نوح في السفينة من ذريته، ثم تناسل منهم ، فلم يبق من أبناء آدم غير ذرية نوح فجميع الأمم من ذريته أولاد نوح الثلاثة"[٣] سام، حام، يافث.

وقد جيء بالضمير في قوله:﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلاءُ الْمُبِينُ(١٠٦)﴾ لإبراز معنى المبالغة من خلال ضمير الفصل.

---

[١] بدوي، أحمد. بلاغة القرآن الكريم، ص ١٥٠-١٥١.

[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١٢٠.

[٣] ابن عاشور، المصدر السابق، ج٢٢، ص ١٣١.

(وهم) في قوله: ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ في الآية ١١٦ من السورة الكريمة ضمير فصل أفاد القصر، " أي هم الغالبين لغيرهم لم يغلبوهم، أي لم يغلبوا ولو مرة واحدة فإن المنتصر قد ينتصر بعد أن يغلب في مواقع" [١].

فالغالب ،ذن على هذه الآيات أن ضمير الفصل قد جاء فيها احتياطاً للمعنى، وتثبيتاً له وتمكيناً له في النفوس خوفاً من أن يقع في الوهم أو أن ينصرف الذهن إلى معنى آخر.

٣- اسم الإشارة:

وهما سمتان أسلوبيتان يتطلبهما مقام المقارعة والمناظرة:

- اسم الإشارة:

الأصل فيه أن يشار به إلى الأشياء المشاهدة المحسوسة واستعماله في غير المحسوس وغير المشاهد مجاز لنزوله منزلة المشاهد المحسوس. وهو ما لجأت اليه السورة في كثير من سياقاتها.

فالدلالات التميزية لاسم الإشارة جاءت متنوعة مبرزة أغراضاً إشارية متعددة تبين القيمة الجمالية والفنية من خلال البروز الأسلوبي الذي هو " إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام وحمل القارئ على الانتباه إليها، بحيث إذا غفل عنها شوه النص، وإذا حللها وجد لها دلالات تمييزية خاصة مما يسمح بتقرير أن الكلام يُعبر والأسلوب يبرز" [٢].

وقد ورد اسم الاشارة بمختلف اتجاهاته بصورة شكلت بروزاً أسلوبياً لصيغة شائعة بتواتر عالي موزع في التعبير القرآني للسورة في إشارات الكافرين للرسول – ﷺ– ولما كذبوه به، وإشارة الله تعالى للجزاء المعد للمؤمنين ولما ينبغي القيام به للحصول على هذا الجزاء، فضلاً عن جزاء الدنيا المعد لعبادة المحسنين من أنبيائه ومن سار على شاكلتهم في الدنيا.

ومن أغراض الإشارات التي تضمنت للتحقير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ(١٥)﴾ وهذا هنا بلفظ القريب، والقريب يراد به استحضار ضعف المشار اليه و حقارته مما يوحي بتحقير الكفار لموضوع إعادة الحياة بعد الموت ، فهم لاستصغارهم هذا الموضوع جعلوه بإشارتهم إليه كلام لا يفهم (سحر) قصد به سحر السامع.

والإشارة إلى اليوم المشاهد في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ(٢٠)هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ(٢١)﴾ إخبار عن إسم الإشارة في تقدير جواب عن سؤال من هذا؟ فقيل: هذا يوم الدين، هذا يوم الفصل فدلت الإشارة للقريب على بيان حال المشار إليه في

---

[١] ابن عاشور ، نفس المصدر، ج٢٢، ص ١٦٤.

[٢] المسدي، عبد السلام، (١٩٨٢). الأسلوب والأسلوبية، ط ٢، الدار العربية للكتاب، تونس، ص٨٣.

القرب، تعريضاً بالوعيد لغباوة المخاطب الذي لا يميز الشيء إلا بالحس فجاء اسم الإشارة ليشير له هذا هو انظره بعينيك.

وقد استعملت سورة الصافات الإشارة للقريب بقصد التعظيم كما في قوله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ(٦١)﴾ فالإشارة في قوله تعالى لمثل هذا أريد بها استحضار عظمة المشار إليه أمام القلوب والعيون بالقريب، لأن هذا العمل يقرب هذا الجزاء العالي.

وقد يرد اسم الإشارة للبعيد بقصد التعظيم أيضاً في اللازمة:﴿ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(١٠٥)﴾ حيث يفيد هذا التركيب التشبيه وفي هذا يقول الطاهر بن عاشور: " أي أنا نجزي المحسنين كذلك التصديق، أي مثل عظمة ذلك التصديق نجزي جزاء عظيماً للمحسنين، أي الكاملين في الإحسان ، أي وأنت منهم ولما يتضمنه لفظ الجزاء من معنى المكافأة ومماثلة المجزى عليه عظم شأن الجزاء بتشبيهه بمشبه مشار إليه بإشارة البعيد المفيد بعداً اعتبارياً وهو الرفعة وعظم القدر" [١].

وقد نرد باسم الاشارة للبعيد بصيغة إخرى لدلالة التعظيم كما في قوله تعالى:﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ(٤١)﴾

فأولئك للبعيد أريد بها بعد منزلة المشار إليه، وارتفاع مكانته، قصد التعظيم على أنهم استحقوا ما بعد اسم الإشارة، لأجل ما أثبت لهم من صفة الإخلاص. فالألوسي يرى في اسم الاشارة أولئك " دلالة التعظيم أي العباد المذكورين، وفيه اشارة إلى أنهم ممتازون بما اتصفوا به من الإخلاص في عبادته تعالى عمن عداهم امتيازاً بالغاً، وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد المشار إليه للإشعار بعلو طبقتهم وبعد منزلتهم في الفضل " [٢].

وهذا ما أتفق به مع الألوسي، وأعارض الطاهر بن عاشور في ورودها لدلالة التنبيه، ذلك ان البعيد لا تراه بعينيك ولا يجوز معه التنبيه.

ولعل الإشارة (بـــ أذلك) في قوله تعالى: ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ(٦٢)﴾ ما يوحي بالتعظيم أيضاً بالاشارة إلى ما تقدم من حال المؤمنين في النعيم والخلود، وجيء باسم الاشارة مفرداً بتأويل المذكور بعلامة بعد المشار إليه لتعظيمه بالبعد ، أي بعد المرتبة وسموها لأن الشيء النفيس الشريف يتخيل عالياً والعالي يلازمه البعد عن المكان المعتاد وهو السفل"[٣].

وإن انتبهنا إلى الجانب الصوتي المشكل لحروف الصيغة وجدنا أن الكاف هنا قد أضيفت لاعطاء السامع فسحة أطول في الزمن بما يتوافق مع المسافات البعيدة والذي يبدو أن

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١٥٤.

[٢] الألوسي، تفسير روح المعاني، ج٨، ص ٨٥.

[٣] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١٢١.

بعض الحروف كانت تضاف لآخر الكلمات لإعطاء فسحة أطول في الزمن تتناسب مع المكان أو الغرض المقصود كما قال ابن جني: " سوقاً للحرف على سمة المعنى المقصود والغرض المراد، حيث نجد أن أسماء الإشارة تشترك في أغلبها بحرف (هـ - ذ) اللذان من شأنهما إثارة انتباه السامع إلى الموضوع المشار اليه بخاصية الاهتزاز في صوتيهما، وأن الحروف الأخرى كالكاف مثلاً تأتي في نهاية اسم الاشارة، لبيان الإطار المكاني للمشار إليه بعيداً أو قريباً لان الأصل فيها الخطاب والبعد، خصوصاً في الصيغ التي تتصدرها الهاء، والذال.

٤ - الاسم الموصول:

تعتمد السورة استخدام الاسم الموصول استخداماً ملفتاً للانتباه، بصلة تعددت مقاصدها الأسلوبية في سياقات متعددة بدلالات متباينة شكل فيها الغرض من الموصول العمدة في ذلك " فإن كان الغرض منه أمراً معهوداً للمخاطب جاءت صلته معهودة مفصلة، وإن أريد بها التعظيم أو التهويل جاءت مبهمة بمنزلة المفصلة " [١].

وبهذا يكون الاسم الموصول معرفة لكنها غير محددة، فالموصول وحده اسم ناقص، أي ناقص الدلالة، فإذا جئت بالصلة قيل موصول حينئذ [٢]. وينبغي أن تكون الجملة التي تقع صلة معلومة عند المخاطب، لأن الغرض بها تعريف المذكور بما يعلمه المخاطب من حالة ليصبح الإخبار عنه بعد ذلك...، فلذلك لا تقول (جاءني الذي قام) إلا لمن عرف قيامه وجهل مجيئه، لأن جاء خبر، وقام صلة وكذلك لا تقول (أقبل الذي أبوه منطلق) إلا لمن عرف انطلاقه وجهل إقباله"[٣].

ومن الصلات التي سيق فيها الاسم الموصول قوله تعالى: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ(٩٥)وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ(٩٦)﴾ فالاسم الموصول هنا هو (ما المبهمة) التي تقع على كل شيء مبهم، وهذا يناسب المد في آخرها في الألف اللينة بما فيه من امتداد واتساع، عكس (من المقيدة) بالسكون والتي تدل بنونها على الذاتية ولذلك كانت ما لغير العاقل، ومن للعاقل حيث صار قصر اللفظ معياراً فيهما لقصر المعنى.

ولأن الأمر في الآية الكريمة يتعلق بما هو غير محدد، ولا معلوم عند السامع لتعلقه بمخلوقات كثيره تعددت بأنواعها سواء كانت من خشب أو حجارة أنتم بريتم عودها لتصير على ما هي عليه، أو عمل عملتموه لأن العمل أعم اقتضى التعبير الإتيان بالموصول وصلته

---

[١] عباس، حسن. النحو الوافي مع ربطه بالاساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة، ط٥، ج١، دار المعارف بمصر، القاهرة ، ص ٣٧٦.

[٢] ابن يعيش، شرح المفصل،م١، ج٣، ص ١٥٠.

[٣] ابن يعيش، المصدر السابق، م١، ج٣، ص ١٥٠،١٥١.

استهجان التصريح بأسمائها " لما تشمل عليه الصلة من تسلط فعلهم على معبوداتهم، أي أن شأن المعبود أن يكون فاعلاً لا منفعلاً، فمن المنكر أن تعبدوا أصناماً أنتم نحتموها، وكان الشأن أن تكون أقل منكم" [١].

ومن السمات الأسلوبية البارزة التي سبق فيها الموصول مساق الاظهار ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّابِرِينَ(١٠٢)﴾ ، حيث كان بامكان التعبير القرآني أن يرد في مقام الذبح اذبحني، لكنه عدل إلى الموصول "ايماءً إلى السبب الذي جعل جوابه امتثالاً لذبحه...، للجمع بين الإذن وتعليله، أي أذنت لك أن تذبحني لأن الله أمرك بذلك، ففيه تصديق أبيه وامتثال أمر الله فيه" [٢] وبهذا اتسع المعنى لأكثر من واحد ملائماً لاتساع الما، فأفاد الاسم الموصول تأكيد صفة الحلم فيه بقالب فضفاض جمع أشكالها بصيغة واحدة، فالقرآن يأتي بالاسم الموصول " عندما تكون صلته هي التي عليها مدار الحكم" [٣].

ومن المواضع التي يستعمل فيها الاسم الموصول مواضع التشويق " ليثير النفس الشوق إلى معرفة الخبر، وتكون الصلة نفسها ممهدة لهذا الخبر، ودالة عليه كما جاء في قوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢)﴾

فالاسم الموصول الذين يختص بالعقلاء، قد ورد في المشركين ذلك أن النفس تكون على شوق ملتهب لمعرفة الأشخاص الذين تحدثت عنهم المقدمة التي سبقت الآية، فجيء بالاسم الموصول المناسب لتعريفهم، ولتحديد مصيرهم بتفصيل أطول لبيان أجناسهم وأحوالهم، فهذا العدول الأسلوبي الذي قصده القرآن أليق بمقام التشويق والتحقير لهم، حيث جيء بها لاختلاق الغرض من الصلتين في الآية الواحدة، قال (الذين ظلموا وأزواجهم)، ثم قال (وما كانوا يعبدون) فجاء في أحد الموضعين بـــ (الذين) والآخر (ما) وذلك لأن أحد الموضعين أعرف من الآخر فالذين ظلموا أعرف من ما كانوا يعبدون لأن الأول معلوم عند المخاطب متفق عليه وهم كما ذكرنا المشركين، بخلاف ما كانوا يعبدون فهو عام مجهول في نوعه، فجاء للأخص المعلوم الذين، وللآخر بما لتبين الصلة والموصول شمول الحكم للعابد والمعبود إذ دلت على اختلاف محتوى المقام لهذا الحكم.

كما نلمح في سورة الصافات الاسم الموصول وقد ورد للعاقل قصد الاهتمام والإظهار بصيغة من في قوله تعالى: ﴿ إِلا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ(١٦٣)﴾ فالتعبير القرآني يقصد إلى بعض

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١٤٥.

[٢] ابن عاشور، المصدر السابق، ج٢٢، ص ١٥٢.

[٣] بدوي، أحمد. من بلاغة القرآن، ١٣٦، ١٣٧.

الضلال والايحاءات الدلالية في استخدامه للاسم الموصول، في آياته وذلك لأغراق أسلوبية تمثلت هنا في ابراز أهل النار عن طريق التعريض بذكر الصلة كأن يقال: لشخص أنت فاتن، فيرد ويقول أنا لست فاتناً، ولكن الفاتن هو الذي كنا نظن فيه خيراً، فمشينا ورائه، فأضلنا وغوانا عن الطريق الصحيح معرضاً به...

وقريب من هذه الدلالة قوله تعالى: ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(٣٩)﴾

فالغرض الأسلوبي هو إبراز أن الكفار مجازون على أعمالهم تحقيراً لهم، ووضع الموصول موضع الكناية لذمهم والاستهزاء بهم في حيزها للإيدان بأن ما تفوهوا به ما هو إلا " الحظ الأكبر من ذلك الجزاء الذي استحقوه لأن الجزاء خط الشرك، ولكن كني عن الشرك بأعماله"[١]. لأنه أليق بتقرير الجزاء الذي استحقوه لأن الجزاء من جنس العمل . وكان بامكان الأسلوب القرآني أن يأتي بالآية وما تجزون إلا عملكم ولكن بهذا التخريج ينتفي جمالها.

وقد استخدم الموصول لوصف المعارف بالجمل في الذي، لتعذر وصف الجمل بالنكرة، وقد سبق علم السامع بالجملة، وقد عرفت له في هذا يوم الفصل فوصلت بالذي لوصف المعرفة بالجملة، فالمعنى ولو كانت الآية من غير هذا يوم الفصل مبتدئةً خبراً بأمر لم يبلغ السامع ولم يبلغه ولم يسمعه أصلاً وهذا منافي لغرض الآية الكريمة، ذلك ان الخبر قد علم لهم مسبقاً ومن بداية الدعوة، إلا أنهم كذبوه، فجيء بالموصول الذي لتعريف الجملة بأمر علم مسبقاً عند السامع ليكون ذلك حجة عليهم مقدمة بدليل في آية: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ(٢١)﴾ وواضح أن صلة الموصول دارت حول صيغة اللذين، من، وما لدلالتها المطلقة على العقلاء وغيرهم للوصول لدلالة العموم كغرض دلالي مهم في تصوير أقطاب الحكاية.

٥ - العلم:

هو ما يميز به عن غيره كونه علامة على مسماه[٢]، وقد جاء في وسورة الصافات فيما أطلق على الاشخاص أصلاً، ومعدولاً به إلى بديله (كنايات الأعلام ووصف الأعلام) .

فالكنية عن العلم قد تكون بقصد نوع من له اسم علم، أو لاخفاء الاسم خوفاً على صاحبه أو جهلاً به، أو لعدم الجدوى من ذكر اسمه، وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ(٥١)﴾ فعلم الجنس قائل وقرين وظفا لأغراض اسلوبية وأهداف دلالية اقتضاها السياق ، ذلك أن دلالته العامة وظفت هنا لأن هذا القول " من شانه أن يقوله كثير من خلطاء المشركين قبل أن يسلموا [٣]. ولذا افاد معنى الذم عن طريق كنايات الأعلام لعدم جدوى

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١٠٩.

[٢] ابن يعيش، شرح المفصل،م١، ج١، ص ٢٧.

[٣] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١١٦.

ذكره، فالمقام تطلب "الكنية" ، ذلك أن القرين يطلق على "المصاحب الملازم شبه الملازمة الغالبة بين شيئين"[١] إلا أن كونهما انفصلا بحيث أسلم هو وبقي الآخر على الكفر يجادله ليرجع إلى كفره، فقد أنفت نفسه منه، ومن مخاطبته باسمه فعدلت به إلى جنسه لمقصد دلالي بارز هو الذم.

وأما ما عدل به في السورة عن ذكره إلى صفته ما جاء في قوله: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ(١١٣)﴾ وذلك في استخلاص الاوصاف من الاعلام فقد اختار القرآن الصفة التي تستخلص من ذرية صاحبا العلم محسن أو ظالم: أي ذريتهما ليس جميعها كما لهما، بل هم مختلفون، فمن ذريته ابراهيم انبياء وصالحون ومؤمنون، ومنذ رية اسحق كذلك مثلهم، ومن ذرية ابراهيم من حادوا عن سنن ابيهم مثل مشركي العرب، ومن ذرية اسحاق كذلك من كفر من اليهود المسيح ومحمد صلى الله عليه وسلم."[٢] فكان العدول للصفة أنسب أبلاغ المعنى.

ومن أفضل ما عدل به التعبير القرآني عن ذكر العلم إلى صفته قوله تعالى: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ(١٢٥)﴾ حيث جيء بذكر صفة الله دون العلم تعريضاً بتسفيه عقول الذين عبدوا بعلاً بانهم تركوا عبادة الرب المتصف بأحسن الصفات واكملها وعبدوا صنماً ذاته خشب. وقد ذكر العلم بعلا منوناً أي أتدعون صنماً اسمه بعل، والعلم كما هو معروف ينكر لاشتراك اكثر من واحد في اسمه فكيف تكون المقارنة إذن في الألوهية بين من تعدد ، وبين من جمعت الصفات فيه. "فإذا قلت: لقيت (أحمداً) فقد أعلمته أنك مررت بالرجل الذي اسمه أحمد وبينك وبينه عهد فيه وتواضع، والتنوين الدال على ذلك" [٣].

وبذا خرج العلم بالتنوين للنكرة لدلالة اسلوبية في مقام التوبيخ فبعلاً قد يسمى به شيء آخر غير الصنم، بينما أحسن الخالقين لا تطلق إلا على الله وحده.

وما جاء في السورة الكريمة من ذكر صريح لأسماء الأعلام كأسماء الانبياء، والذات الالهية، ويوم القيامة، وشجرة الزقوم، والملائكة، فقد جاءت: أعلام مرتجلة أطلقت أول ما أطلقت علماً، وكانت في أغلبها جديدة على أسماع متلقيها لجدة ما جاءت به ضمن عقيدة التوحيد في قالبها الإسلامي. أولها: لم تقع له مادة مستعملة في الكلام العربي كشجرة الزقوم، لوط، اياس....، وثانيهما: كان له مادة موجودة في اللغة (نوح – ناح) ولكنها لم تستعمل في غير العلم. وقد اختير هؤلاء الستة: لأن نوحاً القدوة الأولى، وإبراهيم هو رسول الملة الحنفية التي

---

[١] ابن عاشور، المصدر السابق، ج٢٢، ص ١١٦.

[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١٦٢.

[٣] ابن يعيش، شرح المفصل،م١، ج١، ص ٢٧.

هي نواة الشجرة الطيبة شجرة الإسلام والقدوة، وموسى لشبه شريعته بالشريعة الأسلامية في التفصيل والجمع بين الدين والسلطان فهؤلاء الرسل الثلاثة أصول"[١] ، وهم من أولى العزم في تبليغ الرسالة وقد جاء ذكرهم تسلية للنبي -ﷺ- متفرعاً عنهم لوط على ملة ابراهيم، واياس ويونس على ملة موسى.

فسورة الصافات تستخدم العلم صريحاً، ومعدولاُ به حسب ما يقتضيه السياق وفق الأغراض الأسلوبية و المقاصد الدلالية للآيات.

٦- الجموع:

تلجأ سورة الصافات إلى وسائل معينة للتعبير عن مفهوم الجموع، متخذة من الكلمات بصيغها مفردة ومجموعة، مذكرة ومؤنثة، وسيلة للقيام بوظائفها داخل السياق.

فقد كشف الجرد الإحصائي الذي قمنا به عن وجود ثمانية وسبعون اسماً جمع مذكر سالم وثلاثة وأربعون أسماً جمع تكسير و سبع أسماء جمع مؤنث سالم.

وبهذه الإحصائية أشار الجرد الاحصائي في السورة الكريمة إلى كثرة أسماء جمع المذكر السالم الذي بلغ عددها تقريباً ثمانية وسبعون اسماً من أصل ثلاثمائة وستة وسبعون اسماً وهي نسبة ذات دلالة عالية تستحق الدراس، موزعة بين فئتين فئة مؤمنة وفئة كافرة أفرزها في الجدول التالي:

الفئة المؤمنة		الفئة الكافرة	
الجمع	عدد التواتر	الجمع	عدد التواتر
المرسلين	٦	الآخرين	٥
المؤمنين	٥	الأولون	٤
المخلصين	٥	المحضرون	٣
المحسنين	٥	المنذرين	٢
الغالبين	٢	ذائقون	٢
الصالحين	٢	البنون	٢
مكرمون	١	آكلون	١
الصافون	١	صالين	١
المسبحون	١	صادقين	١

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١٣٠.

الخالقين	١	مستسلمون	١
متقابلين	١	داخرون	١
الشاربين	١	ضاغين	١
المصدقين	١	غاوين	١
مطلعون	١	مشتركون	١
العاملون	١	المجرمين	١
منذرين	١	الغابرين	١
المجيبون	١	المدحضي	١
الباقين	١	فاتنين	١
المنصورون	١	مدبرين	١
		الاسفلين	١
		مدينون	١
		ميتين	١
		بمعذبين	١
		ظالمين	١
		الشياطين	١
		فمالئون	١

فقد أشار الجدول إلى غلبت جموع الفئة الضالة على المؤمنة، وهذا يتماشى مع موضوع السورة في إثبات عقيدة التوحيد، ونفي أسطورة الجاهلية التي صدرت عن جموعهم المذكرة الكافرة في ادعائهم التزاوج بين الله والجنة الأمر الذي اقتضى أن توظف هذه الجموع للرد على الفئة الضالة ببيان أحوالها وصفاتها التي صاروا عليها في إدعائهم الباطل. ولذا تطلب السياق استدعاء هذا الجمع بصورة مكثفة خدمة للغرض المراد بيان الأسطورة وبيان أصحابها، فضلا عما أداه التقليب بين جمع الفئتين من إثارة تساؤل في أذن السامع عن موقعه هو من هذه الجموع أين يكمن هل هو في صف الكافرين بأحوالهم الباطلة، أم في صف المؤمنين في صفاتهم الكاملة الأمر الذي يحرك العقل ويدفعه للتفكير للوصول للطريق المستقيم.

فمن الدلالات الأسلوبية لجمع المذكر السالم ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الأَوَّلِينَ(٧١)وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ(٧٢)﴾ فوصف الذين ضلوا قبلهم بأنهم " أكثر الاولين" لئلا يغتر ضعفاء العقول بكثرة المشركين، ولا يغتروا بها، ليعلموا أن كثرة العدد لا تبرز ضلال الغالبين، ولا خطأ المخطئين، وأن الهدى والضلال ليسا من آثار العدد كثرة وقلة

ولكنها حقيقتان ثابتتان مستقلتان فإذا عرضت لأحداهما كثرة أو قلة لا تكونان فتنة لقصار الأنظار وضعفاء التفكير" [١].

أما جمع المذكر السالم في قوله (المُنذَرين) بال العهدية له دلالة عميقة في الذم ذلك أن وصفهم بذلك بهذه الصيغة له من التعريض في المعنى ما لا يخفى فالمنذرون هم الضالون، فغير عنوانهم الأول إلى عناونهم المنذرين الجمع المعرفة للدلالة على العدد الكثير لبيان أنهم هم ذاتهم " الذين أنذرتهم فلم ينتذروا كما فعل هؤلاء الذين ألفوا أبائهم ضالين فاتبعوهم، وقد تحقق اشتراك هؤلاء وأولئك في الضلالة " [٢].

والآيات ارتكزت على صيغة جمع المذكر السالم لإبراز جموع الكافرين بصفاتهم السلبية لذمهم تشنيعاُ وتهكماً، وقد لخصت الجموع المتواترة الاكثر عدداً حالهم ومصيرهم بعبارة " كنتم كالآخرين في جريهم على آثار أباءهم الأولين، لمحضرون أيها المنذرين في ادعائكم أن لله البنون، وإنكم لذائقون من العذاب الاليم.

ونظير الآية السابقة ما جاء في صفات المؤمنين للإشادة بهم، وبمن تحلى بصفاتهم وللتنوية بانهم لم يكونوا من صف المُنذرين في سوء عاقبتهم لعدم تصديقهم للمُنذَرين. ولعل دلالة الجمع المستثنى في اللازمة في قوله تعالى: " **إِلا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ** " ساعدت على إبراز هذا المعنى في السورة الكريمة.

وربما ساعدت دلالة الجمع على إبراز صفة المبالغة في صفاتهم التي اشتهروا بها ففاقوا غيرهم في التحمل والتميز، فكانت دلالة الجمع بما توحي من كثرة مناسبة لهذا الغرض الدلالي بإرادة حدث الإخلاص أي أخلصوا، ففي قوله تعالى: " **من الصبرين**" من المبالغة في اتصافه بالصبر ما ليس في الوصف، بصابر، لأنه يفيد أنه سيجده في عداد الذين اشتهروا بالصبر وعرفوا به، ألا ترى أن موسى عليه السلام لما وعد الخضر قال: " ستجدني إن شاء الله صابراً" لانه حمل على التصبر إجابة المقترح الخضر [٣]. وبهذا خرجت الصيغة للصفة بدلالة الجمع في قالب اسم الفاعل لغرض ثبوت الصفة فيهم، ذلك أن استعمال الصفة مع الموصوف يقوي الوصفية ويقلل دخول التكسير فيها فيقربها بذلك إلى الفعلية، فلم يقل الصُّبار أو الصَبَرة ذلك لان التكسير يبعدها عن الحدث ويقربها من الإسمية. فدل ذلك على أن جمع المذكر السالم يدل على إرادة الحدث وليس الإسمية.

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١٢٨.

[٢] المصدر السابق، ج٢٢، ص ١٢٩.

[٣] نفس المصدر، ج٢٢، ص ١٥٢.

وينحدر تحت هذا الجمع جمع التكسير في طغيانه على السورة الكريمة، بمعدل بلغ سبعة وثلاثين جمعاً أوضحها الجدول التالي:

الجمع	عدد تواتره	الجمع	عدد تواتره
عبادنا	٨	أثارهم	١
العالمين	٣	جندنا	١
آلهتهم	٢	الغالبون	١
ابائتكم	٢	أحمعين	١
بيض	١	المشارق	١
رءوس	١	الكواكب	١
شياطين	١	الملأ	١
بطون	١	دحوراً	١
اباءهم	١	أزواجهم	١
عظاماً	١	جنت	١
سرر	١	نعيم	١
الملائكة	١		

فجمع التكسير من الحالات التي يتغير فيها شكل الوحدة المعجمية، ذلك أنه يدخلها في تركيب جديد تتفرع فيه أوزانه الدالة على القلة والكثرة، وجمع الجمع، ومنتهى الجموع، مما يفتح أمامنا آفاقاً دلالية لا نجدها في الجموع الأخرى من ناحية الكثرة بالذات، فَذَكَرَ المؤمنين بوصف العبودية المضافة للذات الإلهية تشريفاً وتعظيماً لها، هذا بالإضافة إلى دلالة الخضوع والانقياد، وهذا ما يُفْهَم من معنى العبودية المضافة لله تعالى فضلاً عما تحتوية من " تنويه بهم وتقريب" [١]. ألا ترى أنه لما أريد ذكر قوم من عباد الله من المشركين لم يؤت بلفظ العبد مضافاً إلا بقرينة مقام التوبيخ لأن صفة الإضلال قرينة على أنا لإضافة ليست للتقريب.. فقرينة التغليب هي مناط استثناء الغاوين في قوله: " عبادي"[٢].

وكما وجدنا انقسام جمع المذكر إلى طائفتين لمسنا هذا في جمع التكسير "الذي يصاغ بواسطة تغيير داخلي يطرأ على صورة المفرد ...، بموجب مميزات صوتية[٣] معروفةً فمثلاً قد

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١١٠، ١١١.

[٢] المصدر السابق، ج٢٢، ص ١١٠- ١١١.

[٣] طحان، ريمون. فنون التعقيد وعلوم الألسنية، ص ٢٣٣، ٢٣٥.

جمعت أبائكم وآلهتكم للدلالة على القلة لتحقيرهم، فكان جمع التكسير بصيغته الدالة على القلة أفعال، أفعل هي المناسبة لهذا الغرض، ذلك أن تنوع أوزانه الدالة على الكثرة والقلة منحته أختصاصاً دلالياً لا يتوفر في الجموع الأخرى.

ومن التوظيفات الدلالية الاخرى له كلمة أزواج التي تحمل معنين في كونهن حلائلهن أو الأزواج الموافقات لهم في إشراكهم، أو أن المقصود الأصناف أي الأشياع في الشرك وفروعه، فجاءت صيغة جمع التكسير لتدل على المعنى الصحيح في اعتقادي ذلك أن الزوج هو كل اثنين علم فرده والمقارن له. والصيغة هنا صيغة جمع مثنى أخرجت المعنى من الزوجية أي الحلائل وغيرهن إلى جمع أشياع الكفر.

وقد جيء بجمع العالمين تكسيراً ليشمل بالاسمية السلام من كل إنس أو جن مذكر أو مؤنث من غير أن يقتصر على فئة بعينها، فهي صفة جامعة للكمال والشمول بصيغة التكسير.

ومقابل هذه الجموع نجد جمع المؤنث السالم: وهو أقل الجموع وروداً في سورة الصافات كما يبرزه الجدول التالي:

الجمع	التواتر
بنات	٢
قاصرات	١
صافات	١
زاجرات	١
التاليات	١
سموات	١

وهذه الجموع هي، أسماء تقترن بعالم المؤمنين باستثناء لفظة البنات بحسب ورودها الدلالي في السياق. في جعلهم لله ما يكرهون، وذلك أنهم كانوا يعيرون أبي الإناث فجيء بجمع المؤنث السالم وقد ارتبط بالعالم العليوي ليصحح مفاهيم جاهلة عنهن، وليبين أنهن مع البنين خُلقوا عباداً وليسوا أبناءاً له فتعينت الصيغة المؤنثة لبيان الجنس وتعين جمعها لبيان الاطلاق ليشمل الجميع. وخلاصة ذلك أن سورة الصافات جاءت بالجموع المختلفة لأغراض دلالية أسلوبية، وُظِّفت في النص بحسب معانيها واستعمالاتها لتشمل مخلوقات الله تعالى كلها بصورة الجمع المقابل للإله الواحد، إن عَلِمنا بأن مجموع الاسماء في السورة بلغ ثلاثمائة وستة وسبعون توزعت على مئة واثنين وعشرين اسماً للجمع، ومئتين واربعة وخمسون اسماً للمفرد متناغماً مع موضوع السورة في إثبات عقيدة التوحيد فكأن هذه الجموع كانت تمثل للمشروع الإلهي

وتمثيله في العالم السفلي عالم الانسان الحقيقي كيف يسلك حسب الشريعة ليتطابق والمشيئة الالهية، فيكون امتداداً للتشريع العليوي على الارض ناقلاً مهمة الإرشاد من النبوة والرسل اليه، وبين أن يكون امتداداً للوجود الشيطاني ضد التشريع الإلهي في عالمه السفلي فاتحاً الطريق أمام إمكانية هدم التشريع الإلهي التي يدعو لخطاب القرآني إلى تاسيسها وإقامتها بحسن التوفيق بين الالهي والانساني في عالمه السفلي. وقد جاء هذا المعنى بصيغ قامت على مقاصد دلالية، وظفت في خدمة الهدف المراد تم فرزها في جداول لبيان وظائفها معتمدين على البروز الأسلوبي لها كعامل للاختيار نبدأها بصيغة

أ- **فَعْل**:

الصيغة	المثال	الشكل البنائي لها
فَعْل	قوم ٥	بناء فعل جمع لا واحد له
	يوم ٤	بناء فعل ظرف زمان
	بعض ٢	بناء فعل ظرف مكان
	كرب ٢	بناء فعل مصدر غير مصحوب بفعله
	صف ١	مصدر سماعي للفعل صف
	زجرا ١	مصدر سماعي للفعل زجر
	أرض ١	بناء على فعل مفرد
	خلق ١	مصدر سماعي
	قول ١	مصدر
	كأس ١	بناء فعل مؤنث
	غول ١	مصدر غير مصحوب بفعله
	نفس ١	مصدر سماعي
	بعل ١	بناء فعل اسم غير مصحوب بفعله
	أهل ٢	بناء فعل اسم غير مصحوب بفعله
	ليل ١	بناء فعل ظرف زمان
	بطن ١	بناء فعل غير مصحوب بفعله
	لذة ١	بناء فعل غير مصحوب بفعله
	الحمد ١	بناء فعل غير مصحوب بفعله
	كيدا ١	بناء فعل غير مصحوب بفعله

	ضرباً ١	بناء فعل غير مصحوب بفعله
	قلب ١	بناء فعل غير مصحوب بفعله
	شوب ١	بناء فعل غير مصحوب بفعله
	أصل ١	بناء فعل غير مصحوب بفعله
	خير ١	بناء فعل اسم تفضيل.
	فصل ١	بناء فعل مصدر سماعي غير مصحوب بفعله
	فوز ١	بناء فعل مصدر سماعي غير مصحوب بفعله
	حق ١	بناء فعل مصدر سماعي غير مصحوب بفعله
	نوح ١	بناء فعل مصدر اسم علم من فول

صيغة فعل متواترة بعدد بلغ ثمان وثلاثين مرة ووظيفتها انحكمت بالسياق الواردة فيه والذي جاء معظمه تهكماً بالكفار وانكاراً لهم، حتى مقام مدح الفئة المؤمنة كان مقاماً مساقاً للتهكم بنقيضهم.

ب- صيغة فِعْل:

الصيغة	المثال	الشكل البنائي لها
فِعْل	ذكر ١	بناء فعل مصدر
	طين ١	بناء فعل جمع لا واحد له
	حين ٢	بناء على فعل ظرف
	سحر ١	بناء فعل مصدر
	رزق ١	بناء فعل مصدر
	افك ١	بناء فعل مصدر
	حفظ ١	بناء فعل مصدر
	ذبح ١	بناء فعل مصدر

وهي صيغة تكون في الاسم والصفة والظرف حسب الوظيفة الموكلة اليهما ، فهي في الصفة مثلاً دالة على تمكن الوصفية في طين مثلاً لان أصلهم آدم خلق من طين .

ج – صيغة فُعْل:

الصيغة	المثال	الشكل البنائي لها
فُعْل	دنيا ١	بناء فعل مصدر
	نزلا ١	بناء فعل مصدر
	عين ١	بناء فعل صفة مشبهه
	موسى ١	بناء فعل اسم علم مفعل

د – صيغة فِعَال: وتكون في الصفة والاسم

الصيغة	المثال	الشكل البنائي لها
فِعَال	عباد ٨	بناء فعال مصدر
	إله ٥	بناء فعال مصدر
	عظاماً ٢	بناء فعال مصدر
	صراط ٢	بناء فعال مصدر
	كتاب ٢	بناء فعال مصدر
	شهاب ١	بناء فعال مصدر

حيث ترد هذه الصيغة مزيدة على الثلاثي ، وترد اسماً ، وصفة من غير أن تتعلق بفئة معينة، بل نجدها في بعض كلماتها تتعلق بدلائل صنع الله تعالى في العالم العلوي والسفلي.

هـ - صيغة فَعِيل:

الصيغة	المثال	الشكل البنائي لها
فَعِيْل	جحيم ٤	صفة لازمة
	عظيم ٣	صفة لازمة
	يمين ٢	صفة لازمة
	سقيم ٢	صفة لازمة للفاعل
	أليم ١	صفة لازمة
	نعيم ١	صفة لازمة
	مبين ١	صفة لازمة
	معين ١	صفة لازمة

	قريب ١	صفة لازمة
	جبين ١	صفة لازمة
	مليم ١	صفة لازمة للفاعل
	سليم ١	صفة لازمة للفاعل
	حليم ١	صفة لازمة للفاعل
	حميم ١	صفة لازمة للفاعل

نلاحظ على صيغة فعيل ورودها في فواصل الآيات، ولعل لموقعها هذا دور متميز صوتياً وبنائياً من خلال التجانس الذي تحدثه أصواتها في استخدامها، وقد جاءت مقترنة بموضوعات السورة لغرض المبالغة، ولا تطلق بمختلف إلا عند اتصاف صاحبها بها، وتدل على أن ثبوت الوصف سواء مع اسم الفاعل أو اسم المفعول، إلا انها مع اسم الفاعل تدل على الوصف الثابت في صاحبه أو كالثابت، كطبيعة أو كالطبيعية، وتدل على الوصف وقد صار كالسجية لصاحبه ثباتاً أو كالثابت في اسم المفعول فحليم أبلغ من محلوم ، لأن الحليم معناه أن الحلم أصبح في صاحبة كأنه خلقة ، بخلاف محلوم الدال على التجدد والحدوث.

و - صيغة فَعَال:

الصيغة	المثال	الشكل البنائي لها
فَعَال	سلام ٥	مصدر اسم غير مصحوب بفعله
	عذاب ٣	مصدر اسم غير مصحوب بفعله
	سماء ١	مصدر اسم غير مصحوب بفعله
	سواء ١	مصدر اسم غير مصحوب بفعله
	صباح ١	مصدر اسم غير مصحوب بفعله

وهنا وردت في سياق صنع الله تعالى، وما أعده من حسن عاقبة وسوء عاقبة لعباده المحسنين والكافرين.

وهكذا كان اختيار النص القرآني لصيغ معينة دون أخرى هو ابرز ما يميز الخطاب القرآني في انتقائه للمادة المعبرة عن الغرض المقصود، لأن في الاختيار ما يوحي بانتظام النسق التعبيري واحكامه، فأينما كان مجال للاختيار كان هناك مجالاُ للقيمة الأسلوبية ، فالعلامة اللغوية في التعبير القرآني معلله، لا تخضع للاعتباطة لارتكازها على نظام محكم من الدال والمدلول. ولهذا كان الاختيار هو من صميم الدراسة الأسلوبية وأحد أعمدة الدرس اللساني.

ثالثاً: بنية الأفعال:

وهي التي ستدرس في هذا المبحث من زاوية صيغ الأفعال "البسيطة أو المجردة" والمزيدة صيغاً وزمناً، وزاوية الصيغ المركبة التي تتركب من صيغة واحدة من طرفين لبيان دلالة واحدة للجزئين.

ونحن نحاول هنا ألا نطفو على سطح الكلمة، بل أن نغوص في الصيغة لنبين كيف عمل الزمن مع الصيغة عملهما، في السياق والتركيب، آخذين بعين الاعتبار الزمن السياقي الداخلي الذي يسري في كلا الصيغتين (مفردة ومركبة) وماله من أثر في توجيه المعنى الزمني للصيغة.

١ - الصيغ البسيطة:

لقد بلغ عدد الافعال في وسرة الصافات تقريباً مئة واثنان وسبعون فعلاً تقريباً، منها مئة وأربعة فعلاً ماضياً، وواحد وخمسون فعلاً مضارعاً، وسبعة عشر فعل أمر، ولعل في طغيان الماضي ما يدل على تحقق الفعل وثبوته، خصوصاً إنها خطاب من الله فيه إخبار وتقرير إ لتسلية الرسول -ﷺ- ، ولتقديم الحقائق في مقام المناظرة الذي استند على أصل الأفعال. أماما كان يحتاج إلى تجدد واستمرار فقد جيء بالفعل المضارع له، لدلالته في الغالب على هذا المنحى، أما فعل الأمر فقد كان أقل الأفعال لعدم الحاجة له في هذا المقام الذي لا يتطلب استخدماً مفرط لفعل الأمر خصوصاً في السور المكية فالمقام في أغلبية مقام محاججة.

ولنبدأ مع الصيغ المجردة الأكثر استخداماً ولعل أهمها:

أ - صيغة فَعَلَ:

الصيغة	التواتر	المثال	التواتر	المثال
فَعَلَ	٤	خلق	١	ولد
	٤	رأوا ، فرأه ، أرى ، ترى	١	نزل
	١٣	قالوا	١	ساء
	١	ظلموا	١	ظن
	٦	كان	١	كفروا
	٢	كانوا	١	سبق
	٢	جاء	٤	جعلنا
	٤	تركنا	١	نظر
	١	فتولوا	٢	راغ
	١	بلغ	١	شاء
	١	أندينه	١	فدينه
	١	نصرنهم	١	هديناهم
	١	أبق	١	نبذناه

فصيغة فعل المتواترة ثمان وخمسون مرة تقريباً، جاءت على ضربين متعد، وغير متعد وهو أكثر الأفعال تصرفاً إذا تقابله ثلاث صيغ في المضارع، وكما نلاحظ من الأمثلة بأنه من الافعال الدالة على الحركة والعمل، فمن خلال الجدول نرى بأن الأفعال دالة على الأعمال المرئية المشاهدة وأغلبها متعدية (رأى، قال، راغ، ولد ، جعل،...) ، ففعل " مفتوح العين يقع على معان كثيرة لا تكاد تنحصر توسعاً فيه لخفة البناء واللفظ، واللفظ إذا خف كثر استعماله واتسع التصرف فيه، فهو يقع على ما كان عملاً مرئياً والمراد بالمرئي ما كان متعدياً فيه علاج من الذي يوقعه بالذي يوقع به فيشاهد ما يرى وذلك نحو ضرب وقتل..." [١]

وقد وردت صيغة فَعِل في الفعل (خطف، عجب، علمت، ألفوا، لبث) في السورة الكريمة متعدية ، وغير متعدية والمضارع منها كان على وزن يَفْعَل (ويسخرون) معبرة عن معنى الفعل والحركة فالفاعل مع هذه الصيغة يقوم به لنفسه ولفائدته، أو يقوم به ويتلقاه فتعود عليه نتائجه ولذا كان موقفة فيها سلبي، يتلقى الفعل دون إرادة حيث يقوم بعمل داخلي يتعلق بشخصه او لفائدته.

ب - صيغة فَعّل:

أما صيغة فعّل فقد جاءت أربعة عشر مرة، تقريباً مفيدة المبالغة كما يبينها الجدول التالي:

الصيغة	التواتر	المثال
فعّل	١	زيّن
	١	حقّ
	١	صدّق
	١	ضلّ
	١	دمرّ
	٣	نجىّ
	٢	بشر
	١	تلّ
	١	كذّب
	١	متّع

حيث نلاحظ إفادتها لتكثير القيام بالفعل.

---

[١] ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، م٢، ج٧، ص ١٥٦ ، ١٥٧.

ج - صيغة تَفَاعل:

ووردت مرة واحدة في قوله تعالى ﴿ **مَا لَكُمْ لا تَنَاصَرُونَ(٢٥)** ﴾ للدلالة على المشاركة بين أطراف الشرك لإبراز مقام اشتراكهم في العذاب فجيء بصيغة تفاعل لبيان تفاعلهم المشترك فيما بينهم في الفعل بصورة التدرج.

وقد جيئت هذه الصيغة لمقصد دلالي هدف إلى شحن القالب بشحنة فنية مبرزة المعنى المراد من عدم التناصر، ذلك أن هذا القالب " يجيء ليريك الفاعل أنه في حال ليس فيها" [١].

د - صيغة أَفْعَل:

وقد وردت إحدى عشر مرة يبينها الجدول التالي:

الصيغة	التواتر	المثال
أفعل	٣	أقبل
	٢	أرسل
	١	اتبع
	١	أغوى
	١	أغرق
	١	ألقى
	١	أذبح
	١	أنبت
	١	أسلما

ومن معانيها الصيرورة وتأتي للتعريض بالشيء، وجعله بسبب منه، وهو ما جاءت عليه في السورة الكريمة، إذ جعلت الفعل له صائراً.

هـ- صيغة اسْتَفْعَل :

وردت في فعل واحد كرر مرتين في السورة وهو الفعل استفهم متعدياُ بمعنى الطلب والدعاء لما تحمله من معنى المبالغة وهو ما ناسب سياقها في تكلف الفعل الملائم لمجاوزة حدهم في الكفر والعصيان ، هذا بالإضافة إلى ورود اسم التفضيل كمكون لغوي إلى جنبها دعما لدلالة المبالغة من خلال التمييز بين الفئتين في الآية الحادي عشر.

---

[١] ابن يعيش، شرح المفصل، م٢، ج٧، ص١٥٨.

و - صيغة تفعل:

وقد وردت صيغة تَفَعّل مرة واحدة في الفعل " يسمعون " في الآية الثامنة للدلالة على المبالغة أيضاً : لأن صيغة تفعل لاترد إلا بنعوت الفضيلة إذ من معانيها المركزية " التكلف" ، وهو الدلالة على الرغبة في حصول الفعل له واجتهاده في سبيل ذلك ، ولا يكون ذلك إلا في الصفات الحميدة " [١]. ولذا عمد النظم القرآني إليها لمناسبتها انتفاء السماع عن الشياطين.

وهنا نلاحظ بأن كلا الصيغتين للمبالغة إلا أن تكلف الفعل في كل من السياقين مختلف، ولذا جيء باستفعل في تكلف الاستفهام ، المختلف تماماً عن تكلف السماع الامر الذي اقتضى أن يكون المقطع الأول في استفعل مغلق (ا س/ ت – ف/ ع – َ / ل – َ) دالاً على تكلف الفعل والمبالغة فيه ويكون مفتوحاً في تفعل (ت –َ/ف-ع/ع-َ/ل-َ) دالاً على معنى المبالغة وتكلف الفعل ملائماً لمقام الفضيلة التي تقتضي السعة لا الانغلاق ، مما يؤكد دقة استخدام القرآن لصيغه لمقاصده الدلالية. هنا فضلاً عما تفيده صيغة تفعل من ترتيب في حصولها حيث أن السماع لا يكون إلا بعد تكلف في الصعود هو ليس عمل وقت واحد ، بل بعد مهلة بخلاف استفعل التي تعني المباشرة.

وقد جاءت صيغة افتعل مشاركتا لصيغتي استَفعَل، وتفعّل، في ندرتها وفي دلالتها كما في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ(١٤٢)﴾ فافتعل فيها من المبالغة في تكلف الفعل باجتهاد في تحصيل الاصابة بازالة أسبابها وهذا المعنى ملائم لحوت سيدنا يونس عليه السلام في تصوير تعنته للامساك بسيدنا يونس من دون أفراد السفية وهذا يوحي بذنب سيدنا يونس إذ ان المتكلف لطلب شيء قد يناله وقد يعجز عنه، وكون أن السياق دل على حصول المراد من التكلف فهو دال على أمر الله الذي نفذ فيه بابتلاع الحوت له.

٢ - الصيغ الفعلية المركبة (ذات الجزئين):

إن استخدام السورة للصيغ المركبة من حرف + الفعل جاء فيها بصور متعددة، كانت قديماُ تُعالَجْ منفصلة عن بعضها البعض حيث كانت تشرح الأدوات في باب، ويشرح الفعل لوحده في باب خاص به في إطار علم النحو ويعطي كل من الجزئين معناً خاصاً به على حدى، من غير تقرير للصيغة الواحدة .

غير أن النظر في كتب ومقالات المحدثين يجد أن الأمر قد تغير، حيث أصبحت هذه القضية تعالج من منظور شمولي متكامل لغرض أسلوبي واحد، تدرجت به الصيغة الفعلية إلى صيغة فعلية مركبة ذات جزئين ذو دلالة واحدة. مستدلين على ذلك بشواهد من القرآن الكريم،

---

[١] الراجحي، عبده، التطبيق الصرفي، ص ٣٩.

وكلام اللغوين ومن الشعر، وقد اندرجت تحت مبدأ جواز التعبير بها،كـــ(قد + فعل)، و(كان + يفعل) ،(كان + قد فعل)، [١](وسوف + فعل مضارع).

- **الصورة الأولى: الفعل المسبوق بقد:**

وردت هذه الصيغة الصرفية المركبة في سورة الصافات في سبع مواضع مقترنةً بالفعل الماضي المثبت، ذلك أن قد تختص بالفعل، وتدخل على الماضي بشرط أن يكون متصرفاً، وعلى المضارع بشرط تجرده...، ولها دلالات زمنية مختلفة مع الفعل الماضي [٢]. وقد دلت هنا باقترانها بالماضي على الماضي القريب المؤكد، ذلك أن حدوث الفعل الماضي بها يفيد تحقيقاً ، والتحقيق تأكيد بحد ذاته كما في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١)﴾

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ (٧٢)﴾

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٥)﴾

﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥)﴾

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١١٤)﴾

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٨)﴾

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١)﴾

والملاحظ على هذه الآيات، ورودها في سياق سرد قصص الأنبياء، أو الاخبار عن الأولين لتدل بذلك على تحقق حدوثها في الزمن البعيد لمعنى التأكيد الذي فرضه السياق، والذي زاد على هذا التأكيد تأكيداً آخراً بلا المتصلة بها، حيث تمتاز هذه اللغة الشريفة بأنه من الممكن زيادة هذا التأكيد إذا اقتضى الحال، وذلك باضافة لام التأكيد قبل "قد" [٣].

مما يستدعي الانتباه هنا أن هذه الصيغة المركبة من (قد + فعل) اختارها التعبير القرآني مع الفعل الماضي، متضمناً دلالة التأكيد ، فقد ذكرنا سابقاً أن الفعل الماضي يدل على الثبوت للفعل، فهو متحقق به أصلاً، لاستعمال الماضي بدلاً من المضارع "إنما يكون كما يقول علماء البلاغة – لنكته بلاغة هي تنزيل حوادث المستقبل منزلة حوادث الماضي للإشارة إلى أن حدوثها واقع لا محالة ، مثلها في تحقق وقوعها في المستقبل مثل حوادث الماضي التي وقعت

---

[١] انظر، حسن عون، (١٩٧١). عن الاساليب التعبيرية ، كان + الماضي بدون قد، مجلة "مجمع اللغة العربية" ج٢٨، القاهرة نوفمبر. حامد عبد القادر، (١٩٥٨). معاني الماضي في القرآن الكريم، مجلة مجمع اللغة العربية، ج١٠، ص ٦٦. بشر، كمال محمد. مفهوم الصرف، المجلة التونسية، (ع ٦٦- ٦٧)، ١٩٨١، ص ١١٠.

[٢] المرادس، الحسن بت قاسم، الجني اللداني في معروف المعاني، ص ٢٥٤، ٢٥٩.

[٣] حامد عبد القادر،(١٩٥٨). معاني الماضي في القرآن الكريم، مجلة مجمع اللغة العربية،ج١،القاهرة،ص ٦٩.

وأصبحت حقائق واقعية " [١]. ولما اقتضى المعنى هنا زائداً مرافقاً لوقوع الحدث خرج به السياق إلى الصيغة المركبة، بقالب ل+ قد + فعل في ست آيات من أصل سبع وردت في السورة الكريمة، كما في قوله تعالى:

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتْ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ(١٥٨)﴾

لقد جاءت الآية بقالبها اللغوي، معبرة عن "المبالغة في التكذيب ببيان أن الذين يدعون لهم هؤلاء تلك النسبة ويعملون إنهم أعلم منهم بحقيقة الحال يكذبوهم في ذلك ويحكمون بأنهم معذبون لأصله حكماً مؤكداً" [٢]. أي والله لقد علمت الجنة بحضورهم فقد "حرف معناه التقريب، وذلك أنك تقول (قام زيد) فتخبره بقيامه فيما مضى من الزمن، إلا أن ذلك الزمن قد يكون بعيداً، وقد يكون قريباً من الزمان الذي أنت فيه، فإذا قرنته بـــ(قد) فقد قربته، مما أنت فيه [٣]" فقد تفيد التحقيق بطبيعة الحال في اقترانها بالماضي، والتحقيق معناه التوكيد، ومعناه أيضاً تحقق حصول الحدث في الماضي، كون أن العلم يفيد اليقين فقد عُلم من قبل الجنة أمرهم وحالهم في اتصافهم بالحضور سواء كانوا الكفرة أو الشياطين جنسهم. إذ " لا يقال (قد فعل)، إلا لمن ينتظر الفعل ويسأل عنه"[٤] أي حصل عن قريب ما كنت تتوقعه.

" وذلك أننا نرى أن تأكيد حدوث الفعل في الماضي يتم في العربية باستعمال الأداة (قد) قبله"[٥] وقد سبقت بلام التأكيد قصد الزيادة في هذا التأكيد حيث تمتاز هذه اللغة الشريفة بأنه من الممكن زيادة هذا التأكيد إذا اقتضى الحال، وذلك بإضافة لا من التأكيد قبل قد"[٦] وكون الحدث قد كان متوقعاً قبل حدوثه فقد أفادت التوقع إضافة إلى التحقيق والتقريب المؤكدان، فقد هنا جمعت ثلاثة معاني اقتضاه السياق بالصيغة المركبة **(ل + قد + فعل)**.

وقد تميل سورة الصافات إلى التأكيد بالصيغة نفسها قصد التأكيد بالقطع وهذا متحقق بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١)﴾ أي وبالله لقد سبق وعدنا لهم بالنصرة والغلبة، فكان القسم بلا الملتصقة بقد لغاية تحقيق مضمونه بسرعة الدلالة وإيجاز اللفظ، وهو ما يتوافق مع قصد التأكيد في معنى واحد دال على المقصود بسرعة واستعمال "قد" في هذا المعنى من مميزات اللغة العربية، وأن هذه الأداة منقولة في رأي كثير من علماء العربية

---

[١] حامد عبدالقادر، معاني الماضي والمضارع في القرآن، ص ٧١.

[٢] الألوسي، تفسير روح المعاني، ج٨، ص ١٥٢.

[٣] ابن يعيش، شرح المفصل، ج٨، ص ١٤٧.

[٤] ابن يعيش، شرح المفصل، ١٤٧/٨.

[٥] حامد عبد القادر، معاني الماضي في القرآن الكريم، ص ٦٩.

[٦] حامد عبد القادر، المصدر السابق، ص ٦٩.

عن الفعل قد بمعنى قطع، ومن ثم أفادت القطع أو التأكيد" [١] فالقطع والتأكيد يتطلب الإيجاز والدلالة السريعة، هذا فضلاً عما حققته من تحقيق حصول الحدث في الماضي، فالفعل (فَعَلَ) قد يحتمل غير الماضي، فعندما سبقته (قد) تعين كونه للماضي لأن معناه سيكون على هذا أنها سبقت فعلاً وانتهى الأمر"، وليس أنه قد تسبق في المستقبل ، وهذا ما كان ليتحقق لولا التركيب (قد + فعل).

فهنا نجد هذه الآيات المقترنة (ل + قد + فعل) قد سبقت مساق التأكيد، بحكم السياق التي وردت فيه ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ(٧١)وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ (٧٢)﴾ كان المقام مقام وصف حال للمشركين وتعليل لجزائهم باتباع آثار أباءهم في الضلال والتوهان فجيء بالآيتين السابقتين إكمالاً وتكميلاً للتعليل بالعبرة والتسلية للرسول ﷺ بهذه الصيغة المكثفة من دلالة التأكيد لكثافة المعنى المطروح من وراء قصد التعليل.

وإذا كان التكرار لبعض مكونات اللغوية ملمحاً أسلوبياً، فإن في الاقتصار على ذكر الصيغة مرة واحدة، ما يدل بسمة أسلوبية على أن هذه الصيغة قد أثقلت بطاقة دلالية مكثفة، كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥)﴾

فقد انفردت الصيغة بالحرق (قد + فعل) من دون أي إضافة لهما، فالخطاب في هذه الآية مختلف عن الآيات الأخرى بحيث أنه خطاب مباشر من الله لسيدنا إبراهيم عليه السلام، بينما الآيات السابقة خطاب من الله لسيدنا محمد ﷺ عن الأمم الأخرى مع الأنبياء. فالمقام هنا عن تصديق رؤيا سيدنا إبراهيم من الله إليه مباشرة فلا يحتاج المعنى لمزيد تأكيد في الإخبار عن الحدث، وإنما المعنى "قد فعلت مثل سورة ما رأيت في النوم أنك تفعله، وهذا ثناء من الله على ابراهيم بمبادرته لامتثال الأمر ولم يتأخر ولا سأل من الله نسخ ذلك"[٢] فهو في مقام انتظار الخبر على ما فعله في هذا الزمان بأنه قد حققه في الخارج بصورة العمل، وهذا التحقيق لا يستدعي زيادة التأكيد.

الصورة الثانية: الفعل مسبوق بكان:

إن الناظر في السورة الكريمة يجد هذه الصيغة قد تحققت في السورة الكريمة في سياق الجحود والإنكار من قبل الكافرين بصورة الفعل المضارع المسبوق بفعل الكينونة للدلالة على الماضي المستمر، ويسمى هذا التركيب بـــ " الماضي الاستمراري أو التعودي أو النقلي ويدل

---

[١] حامد عبد القادر، معاني الماضي في القرآن الكريم، ص ١٩.

[٢] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٢، ص ١٥٤.

على حدوث الفعل في الزمن الماضي على سبيل الاستمرار أو التعود لمدة معينة " [١]. كما في قوله تعالى:

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١)﴾

﴿قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨)﴾

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥)﴾

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩)﴾

﴿وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ (١٦٧)﴾

حيث يتضح لنا من هذه الآيات أن"الماضي الاستمراري في العربية بتركب من جزأين: **الأول**: ماضي فعل الكينونة، **والثاني**: المضارع الدال على الفعل الأساسي المراد التعبير عنه ويجب أن يتحد المسند إليه في الفعلين من حيث العدد والنوع والشخص" [٢]. حتى تتم المخالفة بين طرفي الصيغة المركبة، خدمةً للمعنى المراد.

فالصيغة المركبة في الآية ست وثلاثون تدل على سمة فنية أرادها النظم القرآني وقصد إليها، حيث أفادت (كان) الاستمرار بدخول الشرط عليها مما اقتضى الدوام في اعتياد الامر في الماضي، ووقوعه بصورة متكررة " فذكر فعل الكون ليدل على أن ما تضمنه الخبر وصف متمكن منهم فهو غير منقطع ولا هم حائدون عنه...، ويقارن استكبارهم أن يقول بعضهم لبعض لا نترك آلهتنا لشاعر مجنون، حيث ما يميز هذا التركيب هو أنه يبين المرحلة الزمنية، وقوة هذا التحذير بجعل حرف الإنكار مسلطاً على الجملة المؤكدة بحرف التوكيد للدلالة على أنهم إذا أتوا ما أنكروه كانوا قد تحقق آلهتهم تنزيلاً لبعض المخاطبين منزلة من يشك في أن الايمان بتوحيد الإله يفضي إلى ترك آلهتهم" [٣]. فالتعبير القرآني أضاف صيغة أخرى ليبين مدى تجاوز الحد في الظلم والعصيان، إذ كانوا عندما يطلب منه النطق بعبارة التوحيد والتصديق بها يتكبرون عليها وعن التلفظ بها في أكثر من مرة واحدة. فضلاً على أن تكبرهم كان مستمراً في ذلك الوقت، فكانوا يتكبرون عن الحق دون تفكر رغم تكرار الطلب منهم، ولهذه الإيماءة البديعة بهذه الصيغة ما لا يخفي من لطيف الإشارة.

---

[١] حامد عبد القادر، معاني الماضي في القرآن الكريم، ص ٦٥.

[٢] حامد عبد القادر، نفس المصدر السابق، ص ٦٨.

[٣] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١٠٧.

وأغلب الظن أن ورود الصيغة بفعلين مخالفين ليدلان على التجدد والاستمرار(أي الديمومة) للحدث الماضي في الحاضر، فإضاعه الاعتبار بمصير من سبقوهم من الاقوام الكافرة في الماضي، تكرر وتجدد في الحاضر بصورهم، حيث دلت الصيغة على المرحلة الماضية التي أشار إليهما التركيب، وبين السياق نوع المرحلة الماضية المشار إليها وهي هنا زمن قريب غير بعيد عن البعثة المحمدية.

الصورة الثالثة: الفعل مسبوق بسوف:

وهذه الصيغة (سوف + فعل) تأتي مع الفعل المضارع، كون أن سوف الداخلة على المضارع تخلص الفعل للاستقبال لأن الحال والاستقبال من المعاني المشتركة التي يدل عليها المضارع. فعندما تدخل عليه سوف ترفع الاحتمال عن المعنى بالاخبار عنه. وقد تحقق ذلك في موطنين في سورة الصافات في قوله تعالى: ﴿**وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩)**﴾

فقيل: " المعنى أبصِر ما يكون عليهم يوم القيامة من العذاب فسوف يبصرون، ما يكون لك من مزيد الثواب، وسوف للوعيد لا للتسويف والتبعيد الذي هو حقيقتها، وقُرب ما حل بهم مستلزم لقُرب ما يكون له عليه الصلاة والسلام، فهو قرينة على عدم إرادة التبعيد منه وقرب ما حل بهم مستلزم لقرب ما يكون عليه الصلاة والسلام فهو قرينة على عدم إرداة التبعيد منه"[١].

فسوف ليست خاصة بالزمن المستقبل البعيد، فمداها الزمني يتسع لمقادير زمنية لا تتقيد بدلالة واحدة شكلت نكته بلاغية في هذه الصيغة بمخالفة أسلبية اقتضاها السياق بخروجها من دلالة البعيد لدلالة القريب للتوسع في الدلالة.

---

[١] الألوسي، تفسير روح المعاني، ج٨، ص ١٥٦.

رابعاً:الحقول المعجمية:

يرتكز غرضنا الأول من هذه الدراسة، على اكتشاف البنية العميقة لنظام اللغة، ضمن جانبها المتكون نتيجة تفاعل مستويات الظاهرة اللغوية؛ وهو جانب المعنى.

وتندرج دراسة الحقول المعجمية ضمن علم الدلالة وهو العلم الذي يعنى بدراسة الدلالات الألسنية وعلى الأخص الجانب المعنوي من هذه الدلالات أي المدلول [١].

ولذلك فقد "حظيت قضية المدلولات بابحاث عديدة من قبل علماء الدلالة، وقد أنصبت بمجملها على الطريقة التي يمكن على ضوئها تصنيف المدلولات بشكل عملي يوازي تصنيف الدلالات في علم الاصوات... وتعتبر طريقة تصنيف المدلولات حسب الحقول الدلالية الطريقة الاكثر حداثة في علم المعاني، فهي لا تسعى إلى تحديد البنية الداخلية لمدلول المونيمات وحسب، وإنما إلى الكشف عن بنية أخرى تسمح لنا بالتأكيد أن هناك قرابة دلالية بين مدلولات عدد معين من المونيمات" [٢].

لذا ستكون الوحدات التي سننطلق منها، "ونوجه النظر إليها على هذا المستوى من البحث هي الكلمات، من حيث وجودها واستقلالها" [٣] آخذين ومراعين بعين الاعتبار أن دلالة الكلمة لا تقتصر على "مدلولها فقط إنما تحتوي على كل المعاني التي قد تتخذها ضمن السياق اللغوي وذلك لأن الكلمات في الواقع، لا تتضمن دلالة مطلقة بل تتحقق دلالتها في السياق التي ترد فيه، وترتبط دلالة الجملة بدلالة مفرداتها" [٤].

---

[١] موريس أبو ناصر، (١٩٨٢). مدخل إلى علم الدلالة الألسني، مجلة الفكر العربي، (١٨، ١٩)، مركز الانماء القومي، بيروت، ص٣٤. وللتوسع في الموضوع أنظر، عمر، أحمد مختار. (١٩٨٨). علم الدلالة، عالم الكتب، ط ٢، القاهرة. أزور ولد تزيفتان تودوروف وأدام نان و ستروسن وفريجه وبيث. المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، ترجمة وتعليق قيني عبد القادر، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء.عزوز،أحمد. (٢٠٠٢). أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية. إتحاد الكتاب العربي، دمشق،. بارت رولان. مبادئ في علم الدلالة ترجمة وتعليق محمد البكري، (١٩٨٥). كلية الآداب مراكش الدار البيضاء، المغرب. زكي حسام الدين كريم. (٢٠٠٠). التحليل الدلالي إجراءاته ومناهجه. ج١، ج٢، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة،. كراعين، أحمد نعيم، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق. الإنماء القومي، بيروت.

[٢] موريس أبو ناصر، المصدر السابق، ص ٣٥.

[٣] موريس أبو ناصر، نفس المصدر، ص ٣١.

[٤] ميشال زكريا، (١٩٨٢). المكون الدلالي في القواعد التوليدية والتحويلية، مجلة الفكر العربي (١٨، ١٩)، مركز الإنماء القومي ، بيروت، ص١٥.

ولذا ستكون نقطة الأنطلاق في الحقول المعجمية مبنية على الاختيار، كدعوة يدخل فيها الناقد في علاقة تراء داخلي معبرةً عن غنى النص الأمر مما يدفعه إلى التبصر كمحاولة ليكون منتجاً في ميدانٍ" حقوله".

إن تقسيم العالم اللغوي للسورة الكريمة هنا، يبدأ بفرز مفرداتها إحصائياً، عن طريق تفكيك البنية الدلالية للنص إلى اقسام تتمثل في قسم الأسماء، والأفعال باعتبارها أنظمة دلالية جزئية، بهدف إماطة اللثام عن السجل الكامل لموضوعات السورة الكريمة بالكشف عن البنية التي تتشابك فيها هذه المفردات، حيث تتحد هذه العناصر المتكررة بشكل ذي دلالة ومن ثم توضع في مجموعات أو حقول تربطها ببعضها علاقات عبر حركة تنظيمية شاملة، فالنص في النهاية "ليس إلا تجلياً تفاعلياً للعمليات الذهنية المتفاعلة، مهما كانت درجة التفاعل سواء أدى إلى تشعب نماذج أولية Fork Archety pes، أم أدى إلى تشعب دينامية Fork dynamic؛ ولكن هذه الثنائية ليست إلا إجرائية، فالنوعان يتحققان وينجزان على مستوى فضاء المعنى meaning space". [١]

ومن معاني هذه المفردات في النص تتشكل وحدة هي الموضوع، فالموضوع الذي تتردد مفردات عائلته اللغوية بشكل يفوق مفردات العوائل اللغوية الأخرى هو الموضوع الرئيس[٢].وعبر هذا الموضوع نعنى بتحليل الظاهرة له مرتكزين في التحليل على النص داخل المجموعة اللغوية التي تتردد مفرداتها بكثرة، والتي لا بد وأن يكون لموضوعها أهمية متميزة بالمقابلة مع الموضوعات الاخرى [٣]، والذي يقودنا إلى استخراج نتائج قد تكون مهمة في التفريق بين هذه المفردات ووظائفها، فهي " بحث عن المعنى في كل الاتجاهات" [٤].

وهذا المعنى إما أن يكون نويات ذرية وهو ثابت أو نويات نصية، والذي يتغير تبعاً لموقعه في النص، حيث يقوم التحليل باستخراج المعاني النصية لكل مفردة في مواقعها المختلفة حسب المخطط الكلي الذي ينظمه الموضوع الرئيسي، بناء على ظهور المفردات التي تشكل لبنات تنهدم على رأس من يريد تجزئتها، الامر الذي يوصل إلى دراسة الموضوعات الفرعية المنبثقة عن الموضوع الرئيسي.

إن القراءة الاولية لمفرادات الحقول المعجمية يجعلنا نلاحظ مبدأ التنظيم والتطابق الخفي الذي تتدرج تحته معاني مفردات هذه الحقول، والتي يمكننا قسمتها إلى العوالم العلوية، والعوالم

---

[١] مفتاح، محمد، دينامية النص، ص ١٢٣.

[٢] حسن،عبد الكريم، (١٩٨٣). الموضوعية البنوية في شعر السياب، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ٤٠٣، ص٣٥.

[٣] حسن، عبد الكريم، المصدر السابق، ص ٣٣.

[٤] حسن، عبد الكريم ، نفس المصدر، ص ٣٧.

السفلية مشكلةً موضوعاً رئيسياً تتدرج تحته موضوعات فرعية فالموضوع الرئيسي "هو الذي يفرز بقية الموضوعات ويولدها بشكل آلي" [١] وعلى هذا فقد جاء البناء العام لسورة الصافات متضمناً غرضاً مشتركاً تشكل من وحدة العمل الأدبي ذلك" إن دلالات العناصر المفردة للعمل تشكل وحدة هي الغرض (الذي تتحدث عنه). وأنه من الممكن أن نتحدث سواء عن الغرض العام للعمل، أو عن أغراض أجزاءه، وما من عمل قد كتب في لغة لها معنى إلا ويتوفر على غرض...، ويتميز العمل الأدبي بوحدة عندما يكون قد بني انطلاقاً من غرض وحيد، يتكشف خلال العمل كله [٢]، فالكلمة قبل أن تعاد إلى كلمة أخرى فإنها تعاد إلى كائن حي أو شيء أو فكرة " [٣].

أ- قسم الأسماء:

تحتوي سورة الصافات على ٣٧٦ إسماً موزعاً على أنظمة دلالية جزئية متفاوتة النسب كما توضح الجداول التالية:

الذات الإلهية	الالفاظ الخاصة بعباد الله	الإنسان وهيئته
الله	عباد الله	خلق
رب	المخلصين	ترابا
إلهية	المحسنين	عظاماً
أحسن الخالقين	محسن	طين
المرسلين	مصدقين	قلب
نبياً	عبادنا	جيدين
منذرين	المؤمنين	بطون
جندنا	الصبرين	بعض
المرسلين	الغالبين	**القرابة البشرية**
عبد	المسبحين	آل
عبادنا	المنصورون	قوم
نوح	الغالبون	أهل
لوط	**المخلوقات الكونية**	شيعة

---

[١] حسن عبد الكريم ، نفس المصدر، ص ٣٤.

[٢] تودروف، توزفيطان، (١٩٨٢). نظرية المنهج الشكلي، ترجمة إبراهيم الخطيب،ط١،الشركة المغربية للناشرين المتحدين، مؤسسة الأبحاث العربية، ص ١٧٥.

[٣] آينو، آن، (١٤٠١- ١٩٨٠م). مراهنات دراسة الدلالة اللغوية، ط١، ترجمة أوديت تبيت ود. خليل أحمد، وتقدين أز جوليان كريماس، وأسعد علي، دار السؤال للطباعة والنشر، ص ٥٦.

موسى ، هارون	السموات	ذرية
ابراهيم	السماء	**الأقارب المباشرين**
الياس	الارض	اباؤنا
يونس	المشارق	أبائهم
الملائكة أعمالها	الكواكب	أبيه
الصافات صفا	شهاب	بني
الزاجرات زجرا	الحوت	أبت
التاليات ذكرا	المائكة	البنات
الملأ الأعلى الصامون	الجنة	البنون
المسبحون	شجرة يقطين	الزمن والاوقات
أدوات الكتابة للدلالة السمعية	النجوم	يوم الدين
آية	ذبح	يوم الفصل
كتاب	**الامن والدعة**	يومئذ
كلمتنا	نعمة	اليوم
حق	عزة	صباح
الرؤيا	نعيم	مصبحين
الإتجاهات	معلوم	باليل
أولين	معين	حين
آخرين	رزق	**الحيز المكاني الحجمي**
يمين	سلام	صراط
الأولى	**الكم والعدد**	سواء
الدنيا	مائة	مرجع
تطور مراحل عمر الانسان	ألف	صال
غلام	واحد	مقام
عجوز	واحدة	جانب
إناثاً	زجرة	نسيان
الشيطان وأحلافه	خطفة	عظيم
شيطان	موتتة	**الهلاك**
مارد	خير	كرب
غاوين	فوز	البلواء

طاغين	**سوء العاقبة**	اسفلين
فاتنين	داخرون	مثيب
قرين	دحوراً	أفنعدانا
لشاعر	ذائقون	عذاب
سحر	مشتركون	ثاقب
بعلا	لمحضرين	سقيم
سلطان	مدحضين	بالعراء
أزواج	مستلمون	**اشتراكهم في أحوالهم لضلالهم**
جهنم	بمعذبين	مجرمين
العذاب	يا ويلنا	بميتين
الاليم		معذبين
جهنم		للظالمين
حميم		ضالين
شجرة الزقوم		المنذرين
شوباً		ظالم
رؤوس الشياطين		الغابرين
		كاذبون
		مدبرين
		مشتركون

عالم الذات الإلهية : توزعت مفرادته المشكلة له كما يلي:

المفردة	الآيات الحاوية للمفردة	عدد التواتر
الله	٢٣ ، ٣٥، ٥٦، ٧٤، ٨٦، ٩٦، ١٠٢، ١٢٦، ١٢٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٩، ١٨٢	١٣
رب	٥، ٣١، ٥٧، ٨٤، ٨٧، ١٠٠، ٩٩، ١٢٦، ١٨٠، ١٨٢	١١
إله	٤، ٣٥، ٣٦، ٨٦، ٩١	٥
أحسن الخالقين	١٢٥	١

نلاحظ من خلال هذا الإحصاء ان اسم الله قد اقترن بأعلى نسبة تواتر في هذا الحقل المعجمي الدلالي بوروده في السورة الكريمة ثلاث عشرة مرة، من غير مصاحبة لغوية باضافة أو جمع، بعكس عائلته اللغوية الأخرى التي جاء فيها لفظ الإله المتواتر خمس مرات، ولفظ رب المتواتر إحدى عشرة مرة ، بإضافة وجمع شكل ملمحاً أسلوبياً احتاج إلى تعليل؟!.

إن ورود اسم الله بهذه النسبة يتعلق بالقضية العقائدية التي تدور حولها السورة وهي قضية لا إله إلا الله، فإسم الله هو الإسم المتفرد بالاله الواحد المختص بالعبودية المطلقة من الخلق أجمعين علويين أم سفليين؛ فلا حمد إلا لله، ولا عبادة، ولا تسبيح، ولا ربوبية، ولا مشيئة، ولا خلق إلا بأمره، ولا قسم إلا له، ولا ورود إلى جهنم إلا للإشراك به، **﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ(٣٥)﴾**

فسورة الصافات تعالج صورة معينة من صور الشرك، تقف أمامها طويلاً للكشف عن زيفها وبطلانها، وهي موضوع القرابة بين الله سبحانه وتعالى والجن، وأنه من التزاوج بينهما ولدت الملائكة التي هي بنات الله كما تزعم أسطورة جاهلية العرب. فكان من الطبيعي أن تتعرض هذه الاسطورة لحملة قوية تكشف عن زيفها وتفاهة عقول ناسجها، وتنزيه الله عنها فجاء اسم الله بهذه النسبة المكثفة لأنه محور عقيدة التوحيد ، للتأكيد على أنه واحد فمجيء لفظ الجلالة الله بالاختصاص من غير أن يضاف إلى أحد، ومن غير أن يجمع كان لدلالة التفرد التي لم تقتصر على ذاته عز وجل، بل امتدت إلى إسمه المخصوص به (الله)، فهو لا يضاف إلى شيء يختص به دون غيره، ولا يجمع، ولا يجزأ بعكس الألفاظ الاخرى للعائلة. فحقل الذات الإلهية استدعى الألفاظ الأخرى لابراز تفرد الله عن طريق عرض المفردات المختصة بالإلهية عند البشر التي تتعدد وتذكر لغير الله.

ويقول صاحب الزينة دلالة الإسم في باب ما جاء في الله قال بعض العلماء: "إسمه "الله"، لأنه تفرد بهذا الاسم فلم يسم بهذا الاسم شيء من الخلق، ولم يوجد هذا الاسم لشيء من الأشياء، ووجدنا غيره من أسمائه الحسنى نعوتاُ، وصفاتاً لهذا الاسم الواحد...، فهذا الاسم

مستولٍ على الأسماء كلِّها، أعني الله عز وجل وإليه تنسب الأسماء كُلَّهَا، والبّر والفاجر انقادا له بهذا الاسم كرهاً وطوعاً...، ولم يقسموا بهذا الاسم الواحد، وهو الله، فالذين أشركوا في عبادته وعبدوا غيره اشتقوا له أسماءً من اسمه فسموا أوثانهم آلهة، فأما لأنفسهم فلم يستجيزوا ذلك....، فهذا اسم له على الإنفراد، ممنوع من الخلق أجمعين....، وليس هذا الاسم بمشتق من نعت كالقادر من القدرة والراحم من الرحمة، والعالم من العلم، إنما هو إسم لا تشاركه صفة، وقلنا إنما سموا أوثانهم الآلهة وواحد الآلهة إله، فقالوا: هذا إله بني فلان، بما كانوا يتخذونه من الخشب أوالحجارة وغيرها. وهو اسم نكرة أدخل فيه الألف و اللام قبل الإله ولم يقولوا بالتعريف لغير الله، ولم يقولوا لغير الله إلا بالإضافة، فقالوا إله بني فلان " [١].

وبهذا نجد ان التواتر لكلمة الله أُفهم معناها من خلال تركيبها وجعلها متباينة عن تلك الكلمات المتقاربة أو المتشابهه لها، فالعناصر الدلالية المشتركة بين كلمة الله والكلمات الأخرى كانت لمعنى نفي التعدد، وانحصار الألوهية في الله الواحد، فلفظة الله نقل الآلهه من العموم إلى الخصوص.

وإن تابعنا النظر في الحقل ذاته لباقي المفردات، وجدنا مفردة رب قد وردت بعد الله في الترتيب التنازلي لمفردات الحقل موزعةً على النحو التالي إما:

١- مضافة إلى الإسم الظاهر نحو قوله تعالى:

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ(٥)﴾

﴿فما ظنكم برب العالمين(٨٧)﴾

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ(١٨٠)﴾

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٨٢)﴾

﴿اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءابائِكُمْ الأوَّلِينَ(١٢٦)﴾

٢- وإما مضافةً للضمير: ضمير المتكلم المفرد والجمع، وضمير المخاطب المفرد و الجمع، وضمير الغائب المفرد. ولم نجدها معرفة بالألف واللام كما في الكتاب المقدس ولعل في تنويع الإضافة ما يسير إلى شمولية الربوبية بالسيطرة والتحكم بمخلوقاته الكونية " جل جلاله"، فهذه المخلوقات يأتي بعد ذكر اسمه "رب"، وفي هذا إشارة إلى ارتباط اسم الرب بالعطاء والتفخيم في حركة تأتي من أعلى إلى أسفل استجابة لضعيف التجيء بقوي، من مخلوق من صنع الخالق أضيف إليه ولا يضاف لأحد لثبات عظمته، واتساع سلطانه. إن علمنا بأن الرب

---

[١] الرازي، أبو حاتم بن حمدان، (٣٢٢هـ)،(١٩٥٨). والزينة في الكلمات العربية والإسلامية، تحقيق حسين بن فيض الله الهمذاني، عارضه بأصوله وعلق عليه حسين بن فيض الله الهمذاني اليعبري الحرازي، كلية دار العلوم بجامعة القاهرة، ص ١٧٧.

في اللغة هو المالك السيد[١]، وقد عرف بالإضافة من دون أن يعرف بالألف واللام، لإفادة تخصيص ملك ذلك الشيء الذي يضاف لحصر الملكية فالأشياء تتعدد والرب مفرد، وما كان ذلك إلا لإختزالها تحت مصطلح المخلوقات المصنوعة التي لا بد أن يكون لها صانع، فعظمة المصنوع تدل على عظمة الصانع إنها دعوة للصعود إلى ما يتجاوزها بتعدادها أمامهم لسحب البصر الذي يراقب المخلوقات الكونية إلى الانصراف للصانع ينبوع العظمة والقوة، وهذا ما أتاحته مفردة ربّ بإضافتها لا بتعريفها مع مخلوقات الله. فعقيدة التوحيد بمنحاها بين الأدنى والأعلى جاءت لتتغلب على الشرك بمنحاها الاستوائي بين الانسان في مقابل الطبيعة الذي جعل الآلهة أرباباً متفرقون اسقطهم عليها، ليكون الله في المحصلة وحسب ترتيب المفردات بمعدل تواترها في السورة .

كما بينه الحقل الدلالي هو: الله رب الآلهة أحسن الخالقين.

فالحقل الدلالي الخاص بالذات الالهية، بين تدرج السورة الكريمة تصاعدياً في إثبات وحدانية الله بين ثلاثة ألفاظ رمزت إلى ثلاثة حقب زمنية: (اليهودية (الإله)، المسيحية (الرب)، الإسلامية (الله) ، فإن كانت اليهودية لإحقاق الحق واثبات التوحيد للإله الواحد، فقد نصت على أن الإله خالق العالم، هو إله أوحد أختار شعبهم وأعطاه شريعته ليحكم الارض، إلا أنها قامت على فكرة الوثنية لأن إلههم ليس إلهاً لكل البشر، هو إله لبني إسرائيل شعب الله المختار والشعوب الأخرى مسخرة لخدمتهم. فكانت عقيدةً تؤمن بتعدد الآلهة. جاءت بعدها المسيحية لتعلمهم ما نسوه من محبة الرب وطاعته، وأن أقرب الناس من الرب من أحب الرب وأحب خلق الرب، والرب الذي لا اله غيره عندهم قائم على فكرة التثليث المعروفة باتحاد الأبن والروح القدس في كيان واحد ، فجاءت لفظه الله المتواترة بأعلى نسبة بدلالتها الإسلامية لهدم الوثنية عند الامم السابقة وعند عرب الجاهلية لاثبات الوحدانية والتفرد بمفردة الله الذي لا شريك ولا إله إلا هو، فيحثما تعددت الألهة ذكر الله منفرداً، مما يتلائم مع غرض السورة.

وفي المجيء بأفعال التفضيل مع الخالق مع يدل على أن الغرض قد تعلق بوصف زائد على مجرد التفضيل ووصف يبين نوع الحدث ودرجته ذلك أن الخلق ينسب للبشر، ولو كان تفضيلاً لاقتضى الامر الاشتراك في الصفة بين الله، والمفضل معهم من الخالقين، ولذا خرج الغرض بوصف زائد على مجرد التفضيل لاثبات الأحسنية وليس مجرد إثبات الخلق له جلا جلاله.

---

[١] الأصفهاني الراغب، أبو القاسم بن محمد. (٥٠٢هـ)، (١٩٩١). المفرادات في غريب القرآن تحقيق محمد خليل عياتي، ط١، دار المعرفة، لبنان، ص ٩٥. وانظر الرازي، كتاب الزينة، ج٢، ص ٢٨.

عالم صنع القدرة الالهية:

يقتضي هذا العالم دراسة مجموعة من الحقول الدلالية، ذلك أن اكتشاف الموضوع الرئيسي يعني تحليل المفرادات التابعة له بكل ظهوراتها...، أي دراسة الموضوعات الفرعية التابعة له من خلال دراسة الموضوع الرئيسي فإلحاح الموضوع الرئيسي على أفكار بعينها هو الذي يحدد الموضوعات الفرعية". [١]

فعالم الصنع الإلهي شكل مجموعة من الحقول الدلالية تلح على القدرة الإلهية في الصنع، والتشكل مثل الحقول المعجمية المستقطبة للمخلوقات الكونية، وللإنسان أصله وهيئته، والقرابة البشرية، والملائكة وأعمالها، وعمر الإنسان، وغيرها مما سيتم التطرق إليه.

ونقطة البدء في هذه الحقول، إحصائياً، كما كانت في الجدول السابق حيث نلاحظ أن الموضوع الفرعي بدوره ينقلنا إلى موضوعات فرعية أخرى نسميها "فروع الموضوعات الفرعية "وبها نصل إلى شبكة تُعبّر عن بنية الموضوعات...، اشبه ما تكون بالشجرة، التي تمثل الموضوع الرئيسي جذعها، ويمثل الموضوعات الفرعية غصونها "[٢].

المخلوقات الكونية	الإنسان وهيئته	القرابة البشرية
العالمين ٣	تراباً ٢	قومهم ٤
السموات ١	عظاماً ٢	أهله ٢
السماء ١	طين ١	ذريته٢
الأرض ١	قلب ١	شيعته ١
المشارق ١	جبين ١	آل ١
الكواكب ١	بطون ١	**الأقارب المباشرين**
شهاب ١	لنفسه ١	أباؤنا ٥
الحوت ١	طرف ١	البنات ٢
الملائكة ١	**عمر الانسان**	البنين ٢
الجنة ١	غلام ١	بني ١
النجوم ١	عجوز ١	**الملائكة أعمالها**
شجرة يقطين ١	إناثاً ١	الصافات صفا ١

---

[١] حسن، عبد الكريم، الموضوعية البنيوية، ص ٣٨.

[٢] المصدر السابق، ص ٣٩.

ذبح ١		الزاجرات زجرا ١
خلق١		التاليات ذكرا١
الزمن والاوقات		الملأ الأعلى ١
اليوم ٢		المسبحون ١
حين ٢		الصافون ١
يوم الدين ١		
يوم الفصل١		
مصبحين ١		
صباح ١		

ففي عالم المخلوقات الكونية، نلاحظ أن مفرادات العالم العلوي هي التي ترددت بنسبة أعلى على بقية المفرادات ضمن الحقل الثاني المرتبط بالصنع الألهي، فقد تواترت مفردة السموات مفردة ومجموعة مرتبطة باسم الأرض، في حين تتردد اسم الجِنة مرتان، والعالمين ثلاث مرات مقترنتان بالذات الإلهية. فالسماء والجنة اسمان من العالم العلوي. والعالمين اسم شامل أبرز، تقابل ضدياً بين الإنس = والجن على مبدأ الصراع القائم بعد أن حدد كل منهما بلفظة السماء والأرض. كما حملت تقابلات تناقضية كالحوت ≠ الشجرة "يقطين" (البري والبحري)، (النباتي والحيواني) وبين السماء ≠ والارض، "فالسماء كل ما علاك واضلك، (يعني اللفظ الذي يظل الأرض ويعلوها)...، وهو مشتق من السمو بمعنى الارتفاع والعلو...[١]"، والدنيا هي نعت لها وليست إسماً. ويقول صاحب الزينة في ذلك " أن الدنيا ليست باسم، وإنما هي نعت. والنعت لابد أن يكون لاسم قد تقدمه وربما أقيم النعت مقام الإسم. وإنما يقع ذلك إن كان الاسم مشهوراً...، فأما ما يذهب إليه العامة أن الدنيا هي السماء والأرض، و ما بينهما فهو خطأ. إنما ذلك اسم للعالم، والعالم اسم يجمع هذه الأشياء كلها" [٢].

ولذلك كانت السماء عالم، فهي مستقر الجِنّة ومكان الذات الإلهية، وبوابة الإرسال والتنزيل للعالم الأدنى فالمصاحبة اللغوية للسماء تمثلت في مجيء كلمات دالة على علوها، ورفعتها لتجعل منها معادلاً دلالياً للتعبير عن معنى الإرتفاع والبعد وصعوبة الحصول على الشيء،تمشياً مع قوله تعالى: **﴿لا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلإِ الأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ(٨)﴾**

---

[١] ابن منظور ، لسان العرب، مادة س.

[٢] الرازي، الزينة، ج٢، ص ١٤٣.

إن نظرتنا المتأنية في الحقل المعجمي تجعلنا نصل إلى حقيقة أن هناك كلمات محورية داخل الحقل قد تتحكم في التقابلات القائمة بين المفرادات فمعنى الكلمة "مكانها في نظام العلاقات التي تربطها بكلمات أخرى في المادة اللغوية"[١]، وبالتالي فإن مبدأ التجريد يهدف إلى " تعيين وجهة النظر التي يختبر في ظلها انعكاس معنى ما لكي يقرب من انعكاسات أخرى للمعنى محضراً المركبة التجريدية نفسا من أجل تحليل، لينقُل المركبة التجريدية، بفضل هذا الوصل"[٢]

وتبدو عناصر عالم المخلوقات الكونية قائمة على علاقات متعددة منها التقابلات التكاملية بين الملائكة ≠ الجنة، المشارق ≠ الكواكب، الكواكب ≠ شهاب، النجوم، وعلاقة الترادف بين خلق = العالمين "فلكل مقدار دلالي شبكة علاقات تشده" [٣].

فالنجوم والكواكب ارتبطت في السورة الكريمة، بالنظر والإلهام وقد وردت في سياق الزينة والحفظ فهي ألفاظ يرتفع معها البصر إلى السماء ليرى شهاباً مشتعلاً، وأضواء تنار رصعت بها السماء، ولما كان كون الشيء الواحد لاشياء متعددة، أدل على القدرة وأظهر في العظمة " [٤]

والناظر في المادة اللغوية لاسم الملائكة والجن تجد بأن " الملائكة من المألكة والملأكة، وهي الرسالة "لأنها تؤلك في الفم ..."[٥]، لأن الله أرسل الملائكة إلى الأنبياء بالرسالة، ويكون معنى الملائكة الرسل...، ولايقدر النبي أن يرى ملكاً حتى يتمثل له في صورة بشر، فأما في الدنيا فلا يقدر على رؤيته إلا النبي الطاهر المطهر، وهو أيضاً في صورة بشر[٦]، مما سيستزاد بشرحة في باب الملائكة وأعمالها".

في حين أن مادة الجن مأخوذه من الإجتنان وهو الستر والاستخفاء، وما أستجن عن بصرك... ويقال إن الجن دون الملائكة بدرجة، لأن الملائكة خلقوا من الماء والنور، والجن من الماء والنور، والنور والنار هما شكلان، فمن أجل ذلك يتراءان يعني الملائكة والجن...، فمن ثم ترى الملائكة الجن والإنس، الإنس لا يرى الملائكة والجن، إلا من أعطاه الله القدرة على ذلك". فهي وإن أجتمعت في حقل دلالي واحد يندرج تحت مخلوقات العالم العلوي إلا أن لكل منها

---

[١] آينو ، آن، مراهنات دراسات الدلالة اللغوية، ص ٥٦.

[٢] عمر، أحمد مختار، علم الدلالة، ص ٩٨.

[٣] آينو، آن، مراهنات ودراسات الدلالة اللغوية، ص ٥٦.

[٤] آينو، آن، المصدر السابق، ص ٥١.

[٥] البرسوري، نظم الدور في تناسب الآياتوالسور، تحقيق الصابوني، ج١٦، ص١٩٥.

[٦] الراغب الاصفهاني، مفرادات غريب القرآن ، ص ١٠٥، كتاب الزينة، ج٢، ص ١٦٠-١٧٨.

خلقته الخاصة وعمله الخاص. فهي تقابلها تكامليلاً لتعنى إنها كلمة أستدعتها الرابطة بينهما، فتكرار المتناظرات فضيلةُ تكرار عناصر معنى مِنْ طبقة واحدة" [١].

ولعل في تردد اسمي التراب والعظام بنسبة أعلى وفي حقل الإنسان، ما يشير إلى أصل خلقه في جدلية البحث عند المشتركين في تلك الفترة، للإشارة إلى ما يصيب الانسان من ضعف وزوال لاستبعاد حقيقة البعث، فالقرآن الكريم نقل على لسان المشتركين استخدامهم لأسماء ذات دلالات سلبية تبين ما يصيب جسم الانسان بعد موته ويظهر ذلك من خلال المصاحبة اللغوية لهذه الأسماء بالأفعال الدالة على موت الجسد بانصرافه إلى العدم بعلاقة تجمع بين الكل والجزء جسد الانسان وأعضاءه فالعظم هو القصب الذي عليه اللحم والتراب و"الأرض نفسها " هو اصل الخلقة التي قام عليها العظم ولذا كانا دون غيرهما في الآية والله أعلم.

فالمفردات الواردة في هذا الحقل عبارة عن جوارح داخلية في الجسد، من القلب، والجبين والبطون والنفس باستثناء مفردة الجبين التي تطلق على عضو خارجي في الوجه، وبالتحديد الجبهة. فالجبينان جانبا الجبهة [٢] أعلى الوجه ما بين ناحية الرأس، وحاجبيي العينين "بارتباطه بسياق العزة والعبودية" وقد جاء في سياق أمر بانقياد وخضوع لله تعالى، الامر الذي تطلب استدعاء أعلى الوجه ليُتِلّ أمام الأمر الإلهي، معلناً الطاعة، حيث لا تقتصر دلالة الكلمة على مدلولها فقط، أنما تحتوي على كل المعاني التي قد تتخذها ضمن السياق اللغوي، ذلك لأن الكلمات في الواقع، لا تتضمن دلالة مطلقة، بل تتحقق دلالتها في السياق التي ترد فيه. وترتبط دلالة الجملة بدلالة مفرداتها[٣]، ولذلك ربط القلب بسيدنا ابراهيم عليه السلام، فالمعروف بأن الخليل هو لقب النبي إبراهيم، والخليل هو من تخلل الحب فيه، حتى وصل إلى خلاياه، فكان الإختيار على قدر المحبة. فلفظ القلب مشتق من القلب بمعنى تحويل الشيء عن وجهه، فأمر فالذبح دل على ثبات القلب على ما هو عليه بمحبة الله السائدة المتقدمة على كل محبة بثبات مركز الانفعالات المشاعر. وأما البطون جوف الانسان ووعاه لما فوق العشرة فقد ارتبط بمصاحبة لغوية دلت على الجوع قهراً على ذلك، وإجباراً بسبب كفرهم، فعندما تفسد الجوارح معها الاعمال والأجور " لأن كثيراً من التعابير العربية، وتبعاً لذلك الآيات القرآنية، يحكمها مبدأ الترابط، ومعناه أن بعض الكلمات ترتبط بأخرى أو تدعوها، وهكذا، فإنه غالباً، ما تأتي الصلاة مقرونة بالزكاة، والفحشاء بالمنكر ولكن أن تذكر الصلاة إلى جانب الخمر شيء لا يقبله العرف

---

[١] آينو، آن، مراهنات دراسات الدلالات اللغوية، ص ٨٠.

[٢] الراغب الاصفهاني، مفرادات غريب القرآن، ص ٩٤.

[٣] ميشال زكريا، (١٩٨٢). المكون الدلالي في القواعد التوليدية والتحويلية، مجلة الفكر العربي المعاصر، (١٨-١٩). مركز الانتماء القومي، بيروت، ص ١٥.

اللغوي، فالصلاة يدعو حقلها الدلالي مجموعة من الالفاظ ويرفض أخرى، ومن ثمة فإن ممارستها أثناء السكر تعني عملاً غير مقبول أي محرماً [١]، وكذا الجوارح السليمة.

أما ألفاظ القرابة البشرية فقد دلت على علاقة الترادف بين بعض وحداتها فالآل كل حاله ظاهرة من عهد حلف وقرابة. وتئل تلمع فلا يمكن انكاره".[٢] مما يدل على اختصاص الإنسان بقرابه أو موالاه يرجع إليها مصاحباً لأسماء الأعلام لتخصيصه، وهذا يعكس بأن الجماعات التي يرجع إليها ليست كبيرة أما إذا ما قورنت بغيرها ولذا اقترن اسم النبي ياسين بها. في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ(١٣٠)﴾ بينما القوم هنا هي الجماعات الكبيرة التي تنتمي إلى نسب واحد، وإليها يبعث الرسل فمنهم من يواليه وهم قله ومنهم من يعاديه وهم كثرة ، ولذا صاحبت الأنبياء الياس وموسى وهارون في دعواتهم لبني اسرائيل بتواتر بلغ أربع مرات.

أما أهل المتواترة ثلاث مرات فتعنى: " أهل الرجل من يجمعه واياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراهما من صناعة أو بيت أو بلد، فأهل الرجل في الأصل من يجمعه واياهم مسكن واحد ثم تجوز به فقيل أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإياهم نسب[٣]. فهي تشير إلى الجماعات القرابية قليلة العدد، ولذا قد اقترنتا بالنبيين نوح عليه السلام وياسين عليه السلام ، بالسلام والنجاة، أما الشيعة فهو "اسم لمن يناصر الرجل واتباعه، ويتعصب له" [٤] ولذا اقترنت بسيدنا ابراهيم لمناصرته لسيدنا نوح بعد سيدنا هود وسيدنا صالح عليهم السلام.

أما لفظة الأب التي تشير إلى الأفراد ذوي القرابة المباشرة للانسان فقد ترددت بمعدل أربع مرات أيضاً مفردة ومجموعة، فالأب الوالد، ويسمى كل من كان سبباً في إيجاد شيء وإصلاحه أو ظهور أباً ولذا يسمى النبي – ﷺ- أبا المؤمنين... ويسمى العم مع الاب ابوين ، وكذلك الأم مع الأب وكذلك الجد..." وأوردوا في النداء فيه تاء فقالوا يا أبت...." [٥]

فاب إلى الشيء رجع، وبهذا يرجع الابن إلى أبيه بالانتساب إليه . في حين أن الابن الوارد في قوله با بني هو الفرع المباشر للرجل الذي ينسب إليه فإذا كان الإبن يأتي حسب (المادة اللغوية له) من الانبثاق والظهور من الأب الواردان بصيغتي الجمع والإفراد. الجمع والافراد فكيف ياتي مما لا يُجْمَع ولا يجزأ، وهو الله جل جلاله ؟!! فالآباء والبنون والبنات مفردات تتضاد تضاداً حاداً غير متدرج، والتضاد لا يكون إلا بين المخلوقات، أما الخالق فمنزه عنه لأنه واحد

---

[١] مفتاح، محمد، دينامية النص، ص ٢٠٥.

[٢] الأصفهاني، الراغب، مفردات غريب القرآن، ص ٢٩.

[٣] المصدر السابق، ص ٣٩.

[٤] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢، ص١٣٦.

[٥] الأصفهاني، الراغب، مفردات غريب القرآن، ص ١٦.

لا شريك له لم يلد ولم يولد " فتكرار المتناظرات حصيلة عناصر معنى من طبقة واحدة"[١]، كانت العلاقة الجامعة لهم ترادفية بمزية سلبية في جريان كل منهما على آثار ءاباءهم في الضلال، فالعلاقة بين الآباء والابناء لجريانهم على آثارهم في الضلال.

إن ارتفاع عدد الوحدات الدلالية الدالة على القرابة والنسب ما يدل على الدور الذي يلعبه النسب، في حياة الامم االتي شاركت هي بدورها في تأكيد هذا الانتساب بولاء أفرادها إليه، في الاتباع والقدوة ، قبل أن يكسوه الاسلام بولاء العقيدة.

وأما ما يتعلق بمراحل عمر الانسان فقد وردت لفظه أنثى الواحدة من بني الانسان مقابل الذكر مرة واحدة كمعادل دلالي للتعبير عن الضعف، وعن بيان جنس المخلوق، في حين كان الغلام من مراحل عمر الذكر الدال على الشاب من الذكور في مقتبل العمر، والذي دلت مصاحبته اللغوية على صغر السن والقوة وتجاوز الحد للانسان، بما أمر به من خير أو شر التي أيضاً ناسبت صفة الحلم فيه، وقد أشارت مفردة عجوز إلى مرحلة الكبر و الشيخوخة الخاصة بالمراة " التي انقطع عنها الولد"[٢] فهي من العجز والضعف وعدم القدرة ضمن علاقات يربطها الترادف والتضاد.

عجوز ≠ إناثاً غلام ≠ إناث عجوز = إناث= غلام غلام ≠ عجوز

أما في الحقل المستقطب لألفاظ الملائكة وأفعالها فإنها ترتبط بعلاقات الترادف في المفرادات الخاصة بها بتكرار الاسماء المتناظرة الحاوية على معنى من طبقة واحدة.

فالصف والزجر والذكر أفعال جاءت مجتمعة في حقل دلالي لتتجاوز الحسي للمعنوي في محاولة لفت الانتباه إلى مخلوقات أرسلهم الله إلى أنبيائه بالرسالة، ووكل كل ملك منهم بأمر الامور واستحفظه واسترعاه [٣].

" **فالصف**: أن تجعل الشيء على خط مستو، كالناس والأشجار ونحو ذلك[٤] **والزجر**: طَرْدٌ بصوت، يقال: زَجَرْتُهُ فانْزَجَرَ...، ثم يستعمل في الطّرْد تارة وفي الصوت أخرى... الزاجرات زجراً، أي الملائكة التي تزجر السحاب...، **والذكر**: تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أن الحفظ يقال: إعتباراً بإحرازه، والذكر يقال اعتباراً باستحضاره، وتارة يقال لحضور الشيء القلب أو القول، ولذلك قيل : الذكر ذكران: ذكر بالقلب. وذكر اللسان وكل واحد فيمها ضربان: **ذكر عن نسيان**، وذكر

---

[١] ابن منظور، لسان العرب، ع ج .

[٢] الرازي، كتاب الزينة، ج٢، ص ١٦٦.

[٣] المصدر السابق، ص ١٦٦.

[٤] الأصفهاني، الراغب، مفردات غريب القرآن، ص ١٨٤.

لا عن نسيان بل عن إدامه الحفظ، وكل قول يقال له ذكر، فمن الذكر باللسان وقد شمل الذكر في السورة الاثنان. لذا سمي الرسول ﷺ، ذكراً، كما سمي عيسى عليه السلام كلمة.

فهذه الأعمال جاءت للتعريف باللفظة بالاساس الصافات وهي الملائكة، فبينت أنها صافة، وزاجرة وذاكرة، فالصف بناء على التعريف لا يكون إلا في جمع، فلا يصف الواحد والجماعة عندما تصف تعني أنها تتلقى الأوامر، والأوامر لا بد أن تخرج من رئيس واحد، فإن كان أكثر من رئيس دخل الفلتان والفوضى، وهذا مما هو ببعيد لكونها بانتظام أيضاً تتابع بقية أعمالها في الزجر والذكر، وإلا لما أخبر عنها بذلك، فالدلالة الاسلامية لهذه المفردات نقلتها من معناها اللغوي إلى معنى التعريف بمخلوقات الله المسماه الملائكة، فهي كما ذكرت الآية وليس إناثاً خلقت للتزواج، بل للامتثال والعبودية، فالترادف الذي يجمع بين هذه المفردات لم يجمع لفظ الجلالة معها لتكون منبثقة عنه كالابن مع الأب فطريقة الحقول الدلالية لا تصنف مدلول المونمات في حقول الدلالية إلا إذا بنيت على علاقات معينة تربط مفردات الحقل مع بعضها بعضاً كالقرابة المعنوية أو الترادف أو التماثل أو التضاد أو العلاقة بين الصغير والكبير أو الكبير بالصغير، أوعلى علاقات التدرج أو السببية أو علاقات التداعي والترابط ولفظة الإناث المختصة بالملائكة حسب الأسطورة الجاهلية لم نجد أي نوع من العلاقة يناسبها لربطها بحقل الذات الإلهية أو حقل الملائكة نفسه مما يشهد بالآله الواحد.

وهذا يقودنا إلى الكلمة المفتاح في النص وهي كلمة **لا إله إلا الله**، فالله المتواترة بأعلى نسبة في السورة شكلت محور الحدث فجاءت في الغالب كنواة دلالية في للنص القرآني المدروس حيث امتدت معها الأصوات والدلالات المتفرعة عنها في السورة الكريمة ضمن شبكات ذات أبعاد أفقية وعامودية لعب التكرار منها دوراً بنائياً في جميع المستويات وبالأخص الصوتي والدلالي. فكلمة الله المولدة للتوازن، ويمكننا معاينة محورية هذه الكلمة من عدة زوايا:

١. تكرار الذي لعب دوراً بنائياً بنسبة عالية تستحق الانتباه منذ بداية السورة موزعة على مسافات متعادلة نسبياً وفي مواقع لغوية بارزة الصدارة فكأنها الكلمة اللازمة.
٢. عدم تجاوبها مع الأصوات المجاورة لها صرفياً، وصوتياً، وتجنيسياً، وترصيعياً، لتميزها عن غيرها حتى في النوعية.
٣. إخضاعها للكلمة الثانوية المجاورة لها لكي تتلائم هذه الكلم وتتجاوب معها لتحدث تبعية من قبل غيرها من الأصوات.
٤. يشكل ترديد الأصوات المكونة لكلمة الله أكثر من نصف الأصوات الاخرى مع حساب للمد ويشكل محور الكلمة المولدة لما يلعبه من دورٍ إيقاعي.

ويكشف لنا الحقل المعجمي المتعلق بالزمان عن علاقة التضاد بين صباح ≠ الليل ، وعلاقة الترادف بين يوم الدين = ويوم الفصل والتناظر "والتكامل" بين اليوم = حين.

فالصبح والصباح أول النهار وهو وقت ما أحمر الافق بحاجب الشمس[١]. أما اليوم يعبر عن وقت طلوع الشمس إلى غروبها وقد يعبر عن مدة من الزمان أي مدة كانت[٢]، أي مدة الزمان التي تكتمل بحركة الشمس من المشرق إلى المغرب وينتج عنها الليل والنهار، يبدأ بالشروق وينتهي بالغروب. في حين أن الحين: اسم الوقت يعني قدراً مبهماً من الزمان طويلة وقصيرة الجمع منه أحيان تقول: حين بالمكان أقام حينا، وحين الشيء جعل له حينا، وهو وقت بلوغ الشيء وحصوله [٣] والليل اسم للجزء الآخر من اليوم أو الظلام الذي يبدأ من غروب الشمس واستتارها للجزء الآخر إلى طلوعها أو ظهروها مرة أخرى وهو يقابل النهار. فالمحور الذي تتحرك من خلاله مفردات هذا الحقل هو المحور الزمني الخاص والمطلق ضمن علاقات قائمة بين مفرداته الملحوظة تُنْظِمْ بشكل استنباطي المظاهر المعزولة بشكل تلاحقي [٤]، ضمن سياق العذاب والهلاك، لأن أمر الله شامل حاضر يمتد على مساحة الزمن الخاص باليوم الواحد ليلة ونهاره، والزمن المطلق غير المحدد الأوسع نطاقاً والأرحب فضاءً ليصل إلى يوم الحساب. مما يبين المعنوي بالحسي، بابتلاء الإنسان بالزمن يلفه على مر عمره في حركة دورانية جالياً معاني الإيمان بمفراداته ومعاني الضلال والجحود بمفرداته أيضاً فالحياة شروق وغروب، صباح ومساء ليل ونهار، أيام وأشهر وسنوات والأفضل من يستغل الوقت والعبرة لمن اعتبر فلفظة يوم دخلت دلالة إسلامية قرآنية بارتباطها بيوم القيامة، يوم الفصل والجزاء، على مر من الأيام السالفة، وقد لاحظنا وجود علاقة الترادف لا التضاد لِتُذكَر كُل مفردة بديهياً باختها المضادة لها، الغائبة من غير استحضار فِعلياً لها.

---

[١] الأصفهاني، الراغب، مفردات غريب القرآن ، ص ٢٧٧.

[٢] المصدر السابق، ص ٥٥٤.

[٣] ابن منظور، لسان العرب، مافهم من مادة ح ي ن .

[٤] آينو، آن ، كراهنات دراسة الدلالات اللغوية، ص ٥٦.

- **عالم عباد الله وأحوالهم:**

ويضم هذا العالم حقل المرسلين وحقل الألفاظ الخاصة بالمؤمنين وحقل الجنة وما تحتوية

المرسلين		ألفاظ عباد الله		الجنة		الاومن والدعة	
المرسلين	٧	عباد الله	٥	جنت	١	نعمة	١
عبدنا	٦	المخلصين	٥	فواكه	١	فوز	١
نبينا	١	المحسنين	٥	سرر	١	نعيم	١
منذرين	١	المؤمنين	٥	قاصرات الطرف	١	معلوم	١
جندنا	١	الغالبين	٣	**خمر الجنة**		معين	١
نوح	١	محسن	١	كأس	١	عزة	١
ابراهيم	١	مصدقين	١	بيضاء	١	سلام	١
اسحق	١	الصبرين	١	لذة	١		
الياس	١	الصالحين	١	لا فيها غول	١		
يونس	١	المسبحون	١				
لوط	١	المنصورون	١				
موسى	١	الباقون	١				
هارون	١	متقابلين	١				

فإذا أنعمنا النظر في هذه المجموعات اللفظية فإننا نجد أن أكثر الأسماء وروداً وانتشاراً لفظه "المرسلين" المتواترة سبع مرات حيث ترد مع أسماء الرسل والرسول يشكل الواسطة بين العبادة والله في تبليغ الرسالة أي: "ان هناك ثلاثية مهيمنة هي: (**الله- الرسول– الكتاب**) الإنسان، والعالم وان شئنا قلنا: الإنسان والطبيعة والواسطة، فالنص القرآني يتمحور حول (الله- الرسول – الكتاب) والإنسان العادي". [١]

فالرسالة تجعل من النبوة الوسيط المعقول بين الله والإنسان، والرسالة دعوة الله للانسان ليعود اليه عندما يعيد إنتاج وجوده الأرضي على مستوى العبد العابد المتصاعد في سلوكه إلى الله ليمحى في الذات الإلهية والذي ما هو في جقيقته إلا إعادة إنتاج للتشريع الإلهي (بما فيه من صفاء ونقاء وعدل) على مستوى الانسان ليحاكي عالمه السفلي العالم العلوي منبع التطهير، فيقضي على الشيطان ويكون التسليم منه للرحمن.

---

[١] مفتاح، محمد، دينامية النص، ص ٢٢٣.

فالدلالة اللغوية للمفردة تدل على "الانبعاث على التؤدة...، وتصوره تارة الرفق...، وتارة الانبعاث فاشتق منه الرسول، والرسول تدل تارة للقول المتحمل كقول الشاعر: ألا أبلغ أبا حفص رسولاً، وتارة المستحمل القول والرسالة، ورسل الله تارة يراد بها الملائكة، وتارة يراد بها الأنبياء[١]، وهذه الدلالة اشتملت على أحوالهم في الحقل الدلالي الواحد، وثبوت أوصافهم في الزمن ودوامها فيهم، فمن كان مخلص مسبح مؤمن مصدق محسن صابر استحق أن يكون غالباً منصوراً باقياً بنعيم الآخرة.

ولذا نجد حقل الجنة قد اندرج تحت عالمهم، "وانما سميت الجنة التي هي الثواب، لأنه ثواب ادخره الله لأولياءه وأهل طاعته وهو مستور عنهم"[٢] وبذلك "تحولت في القرآن من البستان المستور لغزارة اشجاره إلى الثواب المدخر عند الله إن علمنا بأن المادة اللغوية للجنة هي كل بستان ذي شجر ليستر بأشجاره الارض وتسمى الأشجار الساترة جنة"[٣].

فقد تواردت مفردات الجنة مرة واحدة، لكل مفردة ما يرادفها من الأسماء الدالة على وداعتها وطيب العيش فيها، وقد وردت مجموعة لدلالة إسلامية فالآخرة خير وأبقى، ولذا ما وجد منها سيكون أضعاف ما وجد في الدنيا، فالنعمة في الدنيا نجدها عند اقترانها بالآخرة نعيم، وفوز، وجنة الأرض جنت في السماء ونزلاً لعباد المؤمنين.

ومن محتويات هذا العالم لفظة كأس التي تشير إلى الخمر، ولكنه خمر مميز بدلالة اسلامية، مغايرة لخمر الدنيا بالنهي المصاحب لمفرد غول بانقطاعها عن نزف العقل والهلاك فالشحنة السلبية للام النفي ساهمت في نسيج دلالة البقاء والدوام اشارة لتكريم الفائزين لاخلاصهم الدائم لله، وقد حمل اللون الأبيض دلالة رمزية أشارت إلى مفارقة ضدية بين ضدين مفردات عالم الحق والايمان مقابل عالم الضلال والكفر باشارتها الرمزية إلى ميقات زمني يحدد بدء التمتع بتلك الحال.

فمفردات الحقل المعجمي تلبس حلى جديدة صُيرت بها المفردة للإيجابية بحكم الشريعة العليوية ومما يعد إعجازاً في القرآن الكريم ما بينه هذا الحقل في احتوائه على ألفاظ يعروبية أظهرت العجز الحقيقي الذي وقع للعرب وهم يقرأون لفظاً عربياً في بنيته، غريباً في مفاهيمه بسيرهم في سياق لأعلم لهم به كأسماء ابراهيم ونوح والياسين، وموسى، وهارون، ولوط، فترجم فهما صار نسياً منسياً عند فصحاء العرب، وهم عاجزون عن المجيء بمثله.

---

[١] الأصفهاني، مفردات غريب القرآن ، ص٢٠١.

[٢] الرازي، كتاب الزينة ج٢، ص ١٩٧.

[٣] الأصفهاني، مفردات غريب القرآن ، ص ١٠٥. الرازي، كتاب الزينة ج٢، ص ١٩٦.

- **عالم وحدات القياس:**

أما فيما يتعلق بالوحدات القياسية في سورة الصافات، فقد جمعت حقل الكم والعدد، وحقل الاتجاهات، وحقل الخيز المكاني الحجمي.

الكم والعدد	الاتجاهات	الحيز المكاني والحجمي
مائة ١	الآخرين ٦	صراط٢
ألف ١	الاولين ٤	سواء١
واحد ١	أسفلين ١	صال١
واحدة ١	يمين ٢	مرجعهم١
زجرة ١	الاولى ١	مقام١
خطفة ١	الدنيا ١	جانب١
موتة ١	الاعلى	بنيان١
مقام ١		عظيم١
ضرباً ١		
أجمعين ١		
خير ١		

تعبر هذه الحقول الدلالية الفرعية، عن مفهوم من الأسماء كان لها حظ الشيوع والانتشار في السورة الكريمة، إذ نجدها داخل البنية الدلالية للنص وقد شحنت بطاقة دلالية مكثفة لتشكل في كثيرة من الاحيان عدولا أسلوبياُ عن معانيها، فقد ارتكز ليضيء الجانب الذي قاد لدراستها، ويضيء خصوصية الموضوع الفرعي نفسه، فقد ينقلنا الموضوع الفرعي بدوره إلى موضوعات أخرى نسميها "فروع الموضوعات الفرعية" [١].

يُعبّر اسم الصراط الوارد في هاتين الآيتين: وهديناهما الصراط المستقيم (١١٨)، فاهدوهم إلى صراط الجيم (٢٣)" عن عالمين (طريقين) مختلفين ارتبط في الآية ثلاث وعشرون بدلالية حسية وهي عذاب جهنم، وفي ربطه بالجحيم ما يوحي بسبب هذا الربط وهو الاختيار الحاصل لهم من أنفسهم في الدنيا وهو عبادة غير الله فدلالة الجحيم المتعلق بالحيز المكاني أليق بهذا المقام. وبالتالي فإن بيان شكل هذا الحيز بلفظ الصراط مناسب لدلالة الاختيار الذي تم بإرادتهم، فمن كان على هدى زدناه هدى ومن كان على ضلال زاده الله إياه. فالمادة اللغوية للفظ الصراط المتواتر مرتان تعني كما يقول الراغب: الطريق المستقيم... ويقال له سراطٌ

---

[١] حسن، عبد الكريم، الموضوعية البنيوية، ص ٣٩.

والسِّراط: بالطريق المُسْتَهِل، أصله من سرطت الطعام وزردته : ابتلعته، فقيل: سراط يصور أنه يبتعله سالكه، أو يَبْتَلِع سالكه، ألا ترى أنه قيل: قَتَلَ أرضاً عالمها، وقتلت أرض جاهلها...، وكذا سمي الطريق اللقم والملتقم: اعتباراً بأن سالكه يلتقمه والطريق هو السبيل الذي يطرق بالأرْجُل"[١]. وهو المناسب للدلالة ، فما طرق بالأرجل في السير، كان باختيار السائر نقيض من سحب من رأسه، أو يده، او رجله، بدلالة القوة والقسر. فسيركم على صراط الجحيم كان مناسباً لدلالة استكباركم عن عبادة الله التي رفضتموها، وفضلتم عبادة دونة عليها، فكان الجزاء من جنس العمل، فطريقكم المختارة في الدنيا هي صراطكم في الآخرة ولا طريق تبتلع صاحبها إلا لجهله وحيرته بها، وهذا كان حالهم فوزن اللفظ الدال على قرب شيء من شيء يوضح إما أن يكون طالباً يقربه من مطلبه أو مطلوباً فيوقعه في حفرته، ولعل هذا المعنى هو المشكل للغرض الأسلوبي لربط الصراط بالاستقامة والجحيم، فهو الفارق الحاسم إما أن يكون صراط للعالم العلوي، أو صراط ينزل بصاحبه للأسفل. ↓ ↑

فكلمة صراط من حيث دلالتها اللغوية ، الطريق المستقيم خرجت إلى دلالتها الاسلامية لتدل على "شرائع الدين القيم، الدين الحق وقد كانت شريعة التواره يوم أوتيها موسى عليه السلام، هي الصراط المستقيم، فلما نسخت بالقرآن صار القرآن هو الصراط المستقيم ، للأبد وتعطل صراط التوارة" [٢]

وقد اقترنت مفردة سواء أصل ومرجع بمفهوم الحيز أيضاً ومما لا شك فيه أن دلالة حجم المكان ، قد ساهمت في تصوير فظاعة عذاب الجحيم ، إذ أن مختار الهلاك والشرك يعكس عدم كفاية تحديد الطريق له ، بل لا بد من الدخول في التفاصيل لتصوير حجم التهلكه ، التي رمى بها نفسه للزيادة من هول الموقف وفظاعته فجاءت هذه الوحدات لرسم المسافة المكانية بكل أبعادها ، لجهنم أبتدأ من أسفلها إلى وسطها ، حتى أعلاها للتعبير عن مفهوم طبيعة حال المكان لواردها فيها ، للتنبيه على زيادة عذابهم فهو عذاب في عذاب بعلاقة ترادف ، قامت عليها الأسماء الواردة في حقل الحيز المكاني.

إن تصوير الحيز بألفاظ من طبقة واحدة يزيد من هول حال الكفار لجهنم ، لتصنيف حالهم بوضع الكافر وسط المساحة المكانية للجحيم، فهو لا شك يعبر عن أسوأ حال يوضع فيه المرء، فوسط الشيء يرمز للإحاطة والحصار، وهذا يجعل السامع يتساءل حصر وأحيط بماذا في الجحيم ؟! وقد جرد من وسائل الدفاع عن النفس، وبات في وضع لا يسمح له به بالحركة فهو محاط في مكان لا يدري من أين يأتي الخطر، مما يلقى الرعب في النفوس.

---

[١] الاصفهاني، مفردات غريب القرآن، صراط ص ٢٨٣، طريق ٣٠٦، سراط ٢٣٤.

[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١٦٥.

وقد عبرت بعض المفردات عن علو المكان لزيادة مساحة الحيز كأصل، فالأصل كما يقول الراغب " قاعدته التي لو توهمت مرتفعة لارتفع بارتفاعه سائرة "لذلك قال تعالى: ﴿أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾" [١] فمجرد النظر إليها يشعر المرء بالاغماء.

ولعل مجيء اسم المرجع يأتي إلى جانب غيره من الاسماء ، في هذا الحقل الفرعي بعلاقته بالحيز المكاني، بصورة ما شكلت عدولاً أسلوبياً عن مفهومها المعتاد فالمرجع جاء ليدل على اسم لمكان يكون فيه الرجوع، وهذا يدل على تعدد الاماكن أو المواضع داخل المكان الواحد في جهنم، ويقول صاحب التحرير والتنوير في بيان فضاعة ذلك المرجع. مكان الرجوع أي المكان الذي يعود إليه الخارج منه بعد أن يفارقه، وقد يستعار للانتقال من حالة طارئة إلى حالة اصلية تشبهها بمغادرة المكان ثم العود إليه...، وكذلك ينبغي أن يفسر الرجوع في الآية، لان المشركين حين يطمعون من شجرة الزقوم، ويشربون الحميم، ولم يفارقوا الجحيم، فأريد التنبيه على أن عذاب الأكل من الزقوم والشراب من الحميم زيادة على عذاب الجحيم، ألا ترى إلى قوله: "إنها شجرة تخرج من أصل الجحيم"، فليس ثمة مغادرة للجحيم حتى يكون الرجوع حقيقة"[٢].

فما لا شك فيه أن دلالة حجم الحيز، قد ساهمت في إبراز، المسافة المكانية لجهنم بصورة أبرزت فظاعة عذابها بنوع آخر من العذاب الحاصل لأفرادها ألا وهو العذاب النفسي، فالموضوع الرئيسي "هو الذي يحدد بدورة الموضوعات الفرعية آذناً للبنية الموضوعية الضمنية بالظهور[٣] وبهذا نجد كيف أن المفرادات الخاصة بالقياس حملت دلالة إسلامية قرآنية جديدة أضافة للعذاب الجسدي، عذابها آخر تمثل بالعذاب النفسي ضمن دائرة حيز المكان لجهنم.

أما لفظة عظيم فقد خرجت من دلالة الاسم إلى الصفة " فعظم الشيء أصله: كبر عظمه، ثم استعير لكل كبير، فأجرى مجراه محسوساً كان أو معقولاً عيناً كان أو معنى" [٤].

والعظم إذا استعمل في الأعيان فاصله أن يقال في الاجزاء المتصلة، والكثير يقال في المنفصلة، ثم قد يقال في المنفصل عظيم، ولذلك خرج من الاسمية للصفة، إذ لا عظم إلا لشيء، فالغرض الأسلوبي من نسج الآيات (ستون، ومائة وسبعون، ومائة وسبعة) على هذا المنوال هو تصوير كبر حال الموصوف الذي وقع عليه الوصف على وجه الثبوت، فهو ليس بالعظيم إلا لأنه عظم في ذاته وهو ما حصل.

---

[١] الأصفهاني، مفردات غريب القرآن ، ص ١٠٥.

[٢] ابن عاشور، المصدر السابق، ص ١٢٦.

[٣] حسن عبد الكريم، الموضوعية البنيوية، ص ٤٢.

[٤] الأصفهاني، مفردات غريب القرآن ، ص ٣٤٢.

وقريب من ذلك نجد لفظة الآخرين المتواترة ست مرات، والأولين، أربع مرات في نفسها وحدات القياس، إلا انها هنا تعبر عن الاتجاهات، التي هي جزء من المكان الذي يحيا به الإنسان الذي يشكل احد الاقطاب القائمة فيما بينها في الحقل على علاقة التضاد، إلا أن المفارقة فيها أن الغرض الأسلوبي من تقابل هذه الأسماء الضدية، خرج من مجرد التعارض الدلالي إلى أغراض دلالية عميقة المعنى، فهما يعبران عن نفس المعنى (رغم تعارضهما)، في دلالة التجهيل للاحتقار للانسان المخاطب، بحركة دورانية، فالمادة اللغوية للأول تعني "الرجوع إلى الأصل ، ومنه الموئل للموضع الذي يرجع إليه، وذلك هو رد الشيء إلى الغاية المرادة فيه...، فالأول هو الذي يترتب على غيره، إما متقدم بالزمان، أو بالرئاسة أو بالوضع والنسبة، أو المتقدم بالنظام الصناعي...[١]، والآخر ويقابل الأول، ورغم اتساع المدى بينهما إلا أنهما كان وجهان لعملة واحدة عنوانها المشركون تحت عالم الضلال والظلام ببعد زمني نسج معها الدلالة السلبية للفظة، فالآخرين تباع الأولين بصورة دائرية لا بداية لها ولا نهاية، وكل نقطة فيها يمكن أن تكون البداية والنهاية في الوقت ذاته ، فصار الأول آخر والآخر أول، فالألفاظ هنا صيرت لتجسيم أوضاع فريق الضلال ماضياً وحاضراً. فالمضمون الدلالي لهاتين اللفظتين يشير إلى الحركة والسرعة في كون أنهم على آثار بعض يهرعون، وهو نقيض شكلها الذي يوحي بالصلابة والسكون ببنائها بصيغتها الدالة على الثبوت فهم في حركتهم ثابتين على ما هم عليه من الشرك.

ومن العلاقات الواضحة بين هذه الاسماء علاقة التقابل الضدي بين الأعلى≠ والأسفل ، كما نجد نوعاً آخر من العلاقة القائمة على الترادف بين الأولى= والدنيا وباقي كلمات المجموعة في دلالتها على معنى من طبقة واحدة، هو الاتجاهات التي أطلقت على الاشخاص والأشياء ولم تخصص للأماكن (استعمالها الطبيعي) ولعل في وجود جهة معينة، يعني إختفاء الجهة الأخرى من الاتجاهات نفسها فلم نجد الأولين متجاورة مع الآخرين، والأعلى مع الدنيا، بل على النقيض فإن وجود شكل واحد في الآية يخفي عريمه تماماً، كما في يمين التي تعني الجاحة[٢] ثم استعملت للحق، و أشرف الاحوال والسعادة، والتَّيَمُّن والجنة بل أنها لشرفها إضافها االله لنفسه، فمن اليمين تتوول اليمن"[٣]، ولعل ذلك يعود إلى مغزى معنوي، يرمز إلى بعد المسافة شكلياُ وحسياً بين فريقي الإيمان والشرك، فإن وجود الإيمان هو زوال للكفر ، ووجود الأعلى يلازمه

---

[١] الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، ص ٤٠.

[٢] المصدر السابق، ص ٥٥٤.

[٣] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص ١٢١.

البعد عن المكان المعتاد وهو الأنى والأسفل، فهما ضدان لا يجتمعان ليس فقط في السورة الكريمة بل في قانون الحياة وبالأخص العالم السفلي.

ومن أبرز السمات الاسلوبية في حقل الكم والعدد ما نجده في لفظه خير وما نلاحظه منها من مفهوم الكم ، فقد عبرت عن الدلالة الأصلية للموضع أو المكان ، وبها كان النُزل تبع لها لأن المكان بطبيعته معمم قد يكون خيراً أو يكون شراً، فلجأت هذه اللفظة لتُزيل الابهام ولتصور مقدار الخير في الحيز المكاني الخاص بالمؤمنين إن علمنا بأن مفردة النزل تعني انحطاط من علو [١]، والنزل هو ما يعد منازل من الزاد وهو المكان الذي ينزل فيه النازل وأطلق اطلاقاً شائعاً على الطعام المهيأ للضيف لأنه أعد له لنزوله تسمية باسم مكانه [٢].

فكونه اسم للمكان المعد للطعام، وكونه ارتبط بالضيف فلا يكون اعداده إلا للتكريم والتوجيب، لأن التكريم جزء من خير المكان، كما أن التحقير جزء من شر المكان، ولذا فإننا نرى بأن لفظة النحير قد خرجت إلى دلالة الصفة، (إذا لا شرّ في الجنة، كما أنه لا خيرية في جهنم) بكلمات تنتمي إلى الحقل نفسه وردت عن طريق الترابط والتداعي، أيّ "كلمة تدعو كلمة بكيفية تكاد تكون ضرورية، أو تداعياً، وذلك حينما ينساق الوهم ليعقد الصلة بين أشياء، وكلمات لا رابط بينهما ظاهرياً ينساق الوهم ليعقد الصلة بين اشياء وكلمات لا رابط بينها ظاهرياً"[٣] وبذلك جمع معنين في آن واحد.

وقد يكون التوسع في الجمع على نحو آخر، في بنيان فقد جاء بالفعل بني، وجاء بمصدره بنيان، والأصل أن يكون بناء، فلم يجيء، بمصدره فعل بل فعلان لأن في التجحيم بيان للهيئة، ولو ترك على صيغة فعل لما تبين ذلك فالبنيان فيه تقليل، عكس البناء الذي يدل على التكبير والمبالغة، وهو ما تناسب مع موضوع الآية في كون إنشاء البناء مخصص لسيدنا ابراهيم ولهذه الحادثة بالذات.

ولقد ارتكزت ألفاظ وحدات القياس أيضاً على مفهوم العدد، "والواحد هو في الحقيقة الشيء الذي لا جزء له البتة، ثم يطلق على كل موجود حتى أنه ما من عدد إلا ويصحُّ أن يوصف به ميقال عشرة واحدة، ومائة واحدة...[٤] فهو الأصل وهو الأول السابق ويقول صاحب كتاب الزينة في الواحد" (وهو واحد أحد – لا شيء قبله ولا شيء بعده)" والواحد من العدد الحساب ليس قبله شيء، بل هو قبل كل عدد وهو خارج من العدد، والواحد كيفما أدرته، أو جزأته، لم يزد شيء ولم ينقص منه شيء وتقول واحد في واحد، فلم يزد على الواحد شيء،

---

[١] الأصفهاني، مفرادات غريب القرآن ، ص ٤٩٠.

[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١، ص ١٢١.

[٣] محمد، مفتاح، دينامية النص، ص ١١٣.

[٤] أبو حاتم الرازي، كتاب الزينة، ج٢، ص ٣٢.

وتقول نصف الواحد نصف واحد، فلم يتغير اللفظ عن الواحد، فدلّ أنه لا شيء قبله. وإذا دل انه لا شيء قبله دل أنه تحدث الشيء فإذا دل انه محرر الشيء فإذا دل انه محدث الشيء دل أنه مغني الشيء فإذا دل أنهع مغني الشيء فإذا دل أنه مغني الشيء دل أنه لا شيء بعده فإذا لم يكن قبله ولا بعده شيء فهو لا يصبح عليه التجزي والتكثير ولصعوبة هذه الوحدة قال تعالى: (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) [١]، فخرجت الدلالة مع سمه من العدد المعدود إلى الصفة بالأول.

وأما الألف فهو " العدد المخصوص، وسمي بذلك لكون الاعداد فيه مؤتلفة، فإن الأعداد أربعة آحاد عشرات ومئات ألوف، فإذا بلغت الألف فقد ائتلفت، وما بعده يكون مكرراً والمائة هي الثالثة من أصول الأعداد، وذلك أت أصول الاعداد أربعة: أحاد، عشرات، مئات، ألوف.[٢]

وبما أن الاصول قد ذكرت بانطوائها تحت المائة والألف أصول الاعداد ، فلم يعد هنا خاصة لذكر الفروع فليس المهم معرفة عدد القوم المرسل إليهم فهذا أمر من السطحيات، ولا يجوز التشبث به، بلقد يكون في هذه الفترة الأعداد أو إشارة إلى قلة المتبعين للرسل وكثرة الطاغين المكذبين في كل وقت.

أما الخطفة اللموت والزجرة ، فهي بيان للمرة الواحدة لان أمر الله يتعدي لأكثر من مرة، وفي ورودها على هذه اللصيغة بيان لنفاذها بسرعة أمر الله الذي لا يحتاج إلى تكرار لينفذ ويخرج إلى الوجود وفي ذلك تصغير وتقليل لجم الكافرين فهم من الضعف والضئالة توضع لا يسمح لهم أن يتحملوا اكثر من واحد من امور الله العظيمة فإذا كان هذا حالهم مع البسيط فكيف سيكون مه الامر العظيم المعد لهم ؟؟!

فالنص بصفاته يتجاوز مستوى الوصف إلى أفق دلالي عميق المعنة من خلال قيام علامة تناظر مع بعضها البعض داخل الحقل الدلالي .

واحد = واحدة = مائة = ألف = خطفة = زجرة = موتة = منام = أجمعين

ومن أبرز السمات الأسلوبية في الحقل المعجمي ما نجده بين موته ومنام وحقيقة الأمر بأن المنام ما هو إلا نوع من أنواع الموت " فقيل النوم موت خفيف، والموت نوم ثقيل، وعلى هذا النحو سماها الله توفيا "[٣] فالكفرة ظنوا الموت موت واحد وقد حصروه في الموتة الاولى فجاءت لفظة المنام لتبين نوع من الموت إشارة إلى تعدد أنواعه. كدعوة للتفكير والتأمل من

---

[١] الزمر، آية ٤٥.

[٢] الأصفهاني، مفردات غريب القرآن ، ص٣٠.

[٣] المصدر السابق ، ص ٥١١.

جديد في فلسفة البعث والأحياء وهو دليل على اعجاز هذا الكتاب العظيم حيث استعمل اللغة في سياقاتها العلمية وهم عاجزون عن الاتيان بسورة منه.

والذي تخرج من هذا ما نجده من عُدول أسلوبي في توظيف لفظ العدد الذي دلّ على ضم اشياء بتقريب بعضها من بعض الاشتراكها في خصائص وسمات معينة كانت لرسم معالمها وبيان حدودها دوراً في هذا الجمع فخرجت عن دلالتها اللغوية في الكم والتعداد لهذه الدلالة القرآنية.

ومما نجده من تفاعل بين مفرادات الحقل الواحد ذِكر ألفاظِ تتعلق بالأدلة السمعية والمرئية في محاججة كلا الطرفين كآية وكتاب وكلمة وحق ورؤيا والتي انقسمت إلى ما يقدم بالسمع وما يقدم بالنظر وهي أساليب العرب المعهودة في اقامة الحجة على الطرف المقابل.

فالآية هي العلامة الظاهرة وحقيقة لكل شيء ظاهر، وهو ملازم لشيء لا يظهر ظهوره، فمتى أدرك مدرك الظاهر فيها علم أنه أدرك الآخر الذي لم يدركه بذاته وإن كان حكمها سواء، وذلك ظاهر في المحسوسات والمفعولات، فمن علم ملازمة العلم للطريق المنهج ثم وجد العلم علم أنه وجد الطريق، وكذا إذا علم شيئاً مصنوعاً على أنه لا بد له من صانع" [١] وذكرها هنا بصورة العموم لتدل على كل خاص بها، وأما الكتاب فهو" ضم أديم إلى أديم بالخياطة.. وفي التعارف ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط، وقد يقال ذلك لمضموم بعضها إلى بعض باللفظ، فالأصل في الكتابة: النّظم بالخطّ، ولكن يستعار كل واحد للآخر، ولهذا سُمّي كلام الله وإن لم يُكتب كتاباً"[٢] وقد خرجت هذه اللفظة من هذا المعنى لتعبير عن إقامة الحجة الثابتة من جهة الله تعالى بالدليل المادي المرئي. فالكلمة هنا هي "القضية فكل قضية تسمى سواء كان ذلك بالدليل أو كان ذلك مقالاً أو فعالاً، ووصفها بالصدق، لأنه يقال قول صدق، وفعل صدق وقيل هي القرآن، فهي تبقى وتتم بحفظ الله تعالى إياها. فعبر عن ذلك بلفظ الماضي تنبيهاً أن ذلك في حكم الكائن[٣]" فهي باقية وهو دليل حجة والزام عليهم وعلى الدنيا كلها والرؤيا هي ما يراه الشخص في منامة وهي من رأى[٤]، والرؤيا الصالحة التي يراها المؤمن أو ترى له من بقايا النبوة حيث انقطع الوحي ولم يبق إلا بالمبشرات وهي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له أما الحق فهو المطابقة والموافقة... ويكون باظهار الأدلة أو الآيات وباكمال الشريعة وبثها في الكافة،[٥] وهذه المفرادات دالة على إقامة الحجة القوية بطلب من الله منهم إن

---

[١] الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، ص ٤١.

[٢] المصدر السابق، ص ٤٢٥.

[٣] نفس المصدر، ص ٤٤١.

[٤] البخاري ٣٣١/٢، ومسلم /٤٧٩ ، أخرجه ابن ماجة ١٢٨٣/١.

[٥] الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، حقّ، ص ١٣٢ .

استطاعوا ذلك بتقديمها من الفئة المؤمنة اصحاب الحق للتنديد بمزاعم الطرف المقابل وقد بلغ تواتر مفردات هذا الحقل مرة واحدة لكل كلمة مِنْ ترادف مما بينها لكون كل مفردة منها موزعة في السورة الكريمة من قوة بيان يغني عن ذكر أختها في عرض متنوع للأدلة المسموعة والمرئية.

أما فيما يتعلق بالحقول الدلالية الاخرى فاننا نجدها تدل على العالم السفلي بما فيه من شرك وضلال وعذاب مترتب على سوء العاقبة تمثل في جهنم والشيطان والهلاك والافتراء وسوء العاقبة واشتراكهم في أحوالهم من ضياع...

الشيطان وأحلافه	سوء العاقبة	الافتراء
الشيطان ٧/١	داخرون ١٨/١	افك ١٥١/١
مارد ٧/١	دحوراً ٩/١	ظالم ١١٣/١
غاوين ٣٢/١	ذائقون ٣١/١	فتنة ٦٣/١
طاغين ٣٠/١	مشتركون ٣٣/١	سحر ١٥/١
فاتنين ١٦٢/١	محضرين ٦٢٧/١	كيدا ٩٨/١
قرين ٥١/١	مدحضين ١٤١/٥٨/٢	مجنون ٣٦/١
لشاعر ٣٦/١	مستسلمون ٢٦/١	اشتراك في أحوالهم في الضلال
بعلا ١	بمعذبين ٥٩/١	مجرمين ٣٤/١
سلطان ١٥٦/٣٠/٢	يا ويلنا ١	بميتين ٥٨/١
أزواج ٢٢/١	مسؤولون ٢٤/١	معذبين ٥٩/١
الهلاك	مدينون ١-٥٣	للظالمين ٦٣/١
كرب ٧٦/١	جهنم	ضالين ٦٩/١
البلواء ١٠٦/١	العذاب ٣٨/٣٣/٢	المنذرين ٧٢/٢، ١٧٧
اسفلين ٩٨/١	الأليم ٣٨/١	ظالم ١١٣/١
أفبعذابنا ١٦٧/١	جحيم ٩٧/٦٨/١٤/٢٣/٤	الغابرين ١٥٢/١
عذاب ١	حميم ٦٧/١	كاذبون ١٥٢/١
العراء ١٤٥/١	شجرة زمزم ٦٢/١	مدبرين ٩٠/١
سقيم ١٤٥/٨٩/٢	سوبا ٦٧/١	مشتركون ٣٣/١
ساحة ١٧٧/١	رؤوس شياطين ٦٥/١	مبعوثون ١٦/١
ثاقب ١٠/١		آكلون ٦٦/١
واصب ٩/١		فمالئون ٦٦/١
آثارهم ٧٠/١		

وإذا أمعنا النظر في هذه المجموعات اللفظية ، فإننا نجد أن أكثر السماء انتشاراً في هذه الحقول الدلالية اسم سلطان محضرين، مدحضين، سقيم ، منذرين، جحيم التي تجدها مشحونة بدلالات سلبية، فقد وردت لفظة السلطان مرتين في السورة وذلك في حقل الشيطان وقد جاءت دالة على القهر في آية وعلى الحجة في آية أخرى فمعنى السلطان كمادة لغوية هو :

"السلطان من السَّلاطَةُ: التمكن من القهر، يقال: سلطته فتسلط ومنه سُمّي السُّلطان يقال من السلاطة.... وسمي الحجة سلطاناً وذلك لما يلحق مِنْ الهجوم على القلوب، لكن أكثر تسلطة على أهل العلم والحكمة من المؤمنين".[١]

فصيغة فعلان توحي بالثبات والاستقرار وهي السلطة الاخيرة المنتصرة على سواها في العالم السفلي عالم الانسان الحقيقي مملكة الشيطان إن غدا الانسان بها سلطاناً خارج التشريع الالهي حيث يُلغى الزمان بتكراره الامتدادي الانمائي ويحل محله تكرار الأفعال فالسلطان والشيطان لم يأتيا نفس الصيغة من فراغ فالوجود الشيطاني، أي الوجود ضد تشريع الله هو وجود الظلم فالظلم هو الخروج عن التشريع الالهي بعمي البصيرة عن رؤية الحق، ولذا سمي الشيطان مارد فالمارد هو "المتمرد والخارج عن الطاعة المنسلخ منها التمرد التجرد ومنه قيل للأمرد أمرد لأنه أجرد من الشعر وفي الحديث: أهل الجنة جرد مرد وكثيراً ما يتكلم به الناس، فيقرنون الكلمتين فيقولون: أجرد أمرد " [٢] وأغلب الظن أن الخروج عن الطاعة هو قمة الظلم والقهر أوضحها الحقل المعجمي بعلاقة قامت على القرابة المعنوية بين مفردات الحقل أما الأزواج فتشمل الأقران الأصناف وأشياعهم في الكفر، وأزواجهم حلائلهم ، فالمعنى الأول لها وهو الأصناف فيشمل على النوعين إذ قد يكون الزوج أو الزوجة من نفس شيعة الزوج، وهي زوجته. في حين أن لفظة زواجهم بمعنى الحلائل، فلا تشمل النوعين إذ أنها لا تطلق إلا بتمام رابط النكاح من غير أن ينقضه شيء كالكفر، أو الخيانة، وإذا انتقض رابط الزوجية بما سبق فعندها تسمى الزوجة امرأته، وأظن أن الآية أرادت هذا المعنى لأن كلمة ظلموا في الآية اثنين وعشرين شاملة للظالمين الذكر كلهم، كون أن واو الجماعة تدل عليهم فجاء النظم القرآني ، بما يدلّ على الإناث الظالمات أيضاً أنهن خارج دائرة العذاب بذكر أزواجهم.

وقريب من لفظه السلطان نجد لفظة الجحيم المتواترة أربع مرات والجحيم من الجحمة وهي شدة تأجيج النار" [٣] وقد ردفت مع غيرها من مفرادات الحقل لبيان طبيعة العذاب الجسدي

---

[١] الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، سلط، ص ٢٤٤.

[٢] الرازي، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية، ج٢، ص ١٨٢.

[٢] لسان العرب، مادة جحيم.

المعد من النار وتوابعها داخل الحيز المكاني لجهنم وهو معناه الإسلامي الوارد في السورة وقد تعدد لتعدد الأماكن فيها كما ذكرنا في حقول وحدات القياس.

والملاحظ على العلاقات القائمة داخل هذه الحقول هي الترادف والقرابة المعنوية لمفرداتها داخل الحقل الدلالي الواحد، وهو أمر طبيعي لتنوع وجوه الشرك والمشركين والافتراء الصادر من قبلهم في عالمهم السفلي.

ب- قسم الأفعال:

مادل على الخلق	ما دل على الراسال	حسن العاقبة
زينا ١	ارسلنا ١	نجيناهم ١
خلقناهم ٢	ارسناه ١	نجيناه ١
خلقنا ٢ خلقكم ١	آيتذاهما ١	نجينه ١
جلعنا١ فجعلناهم ١	هديناهما ١	تردنا ٤
شاء ١	استفهم ١	نجزي ٥
تخرج ١	جاء ٢	فبشرنه ٢
شبقت ١	صدق ١	ندينه ١
انبتنا ١	صدقت ١	ندينه ١
سوء العاقبة	**العبرة**	فدينه ١
اغرقتا ١	لتمرون ١	باركنا ١
فمعتناهم ١	أفلا يعقلون ١	الغواية والكفر
فنبذنه ١	أفلا تذكرون ١	أغويناكم ١
وفرنا ١	أفلا تتذكرون ١	فكفروا ١
نفعل ١	ألا تتقون ١	فتولوا ١
أبق ١	لا يذكرون ١	فكذبوه ١ تكذبون ١
مساهم ١	**الشيطان**	يعبدون ١
للبث ١	لا يسمون ١	تعبدون ٢
وقفوهم ١	خطف ١	أتعبدون ١
تجزون ١	يقذفون ١	يصفون ٢
لتردين ١	**الإنقياد والطاعة**	ما تعملون ١

احشرو ١	أسلما ١	تعملون ١
التقمة ١	تلة ١	يهرعون ١
يقذفون ١	ستجدني ١	تنتمون ١
نزل ١	أفعل ١	**تجاوز الحد في الظلم والكفر**
أهدوهم ١	هب ١	يسخرون ١
يبصرون ١	اذبحك ١	يستسخرون ١
ينظرون ١	ما تؤمر ١	يستكبرون ١
ينجزون ١	حق ١	يستعجلون ١
يقدمون ١	بلغ ١	فألقوه ١
صال ١	فليعمل ١	ابنوا ١
الحواس	فتول ١	تريدون ١
نادانا	و تول ١	أرادوا ١
فنظرا ١	اتبعه ١	آمنوا ١
أرى ترى	اتدعون ١	ولد ١
فانظر نظر	تذرون ١	أصطفى ١
أبصر	جعلوا ١	تحكمون ١
أبصرهم ١	ألفوا ١	**الهيئة الحيرة**
فراءه ١	العجز والقصور	عجبت ١
راءوا ١	لا تناصرون ١	اقبل ٢
فاطلع ١	أفلا تأكلون ١	يزفون ١
سلمت ١	لا تنطقون ١	اقبلوا ١
يعلمون ١	فأتوا ١	يطاف ١
		يتساءلون ٢
		يزيدون ١
		فراغ ٢

عدد الأفعال في السورة الكريمة مئة واثنان وسبعون فعلاً، تقريباً. فقد أكد لنا الجدول السابق أن الأفعال ذات نسبة التواتر العالية ترتبط بالمشركين وبالذات الإلهية داخل الحقول الدلالية وقد تجمعت ضمن وحدات معنوية أساسية دلت على العالم العلوي والسفلي فيمن يقوم بها

فالله ارتبطت به الحقول الدلالية الدالة على الخلق والارسال ونتائج الأعمال من حسن العاقبة وسوءها في حين ارتبطت الحقول المعجمية الأخرى بالإنسان وهي ظاهرة أسلوبية تستحق الدراسة، لأن الأيات تنزل للرد وإقامة الحجة على الذين ظلموا، وهذا لا يكون إلا بعد افتراء وظلم تجاوز الحدود ومن عادة المحاججة ذكر أعمال الطرف المقابل لتذكيره بما صنع وبالتالي كان للأفعال دورها الأُسلوبي في هذا المجال من خلال ربطها بالمشكرين مطابقة للتوجه العام للسورة الكريمة ذلك أن " لكل نص مكوناته الأساسية؛ أي دعائمه أو ما تنهض به بنيته، و ما هو جذر مشترك تلتقي فيه دلالات عدة في النص ويخلق حقلها الذي فيه تنمو وفيه تتحرك " [١].

فالسمة الغالبة على أفعال الحقل الدلالي الأول أنها دلت على قدرة الله في العطاء والمشيئة وقد جاءت بعض الأفعال الماضية الأولى بدلالة ما يدرك بالبصر لتفيد معنى التحقق كزينا وخلقنا وأنبتنا أما الفعل جعل فقد حمل دلالة البدء بالفعل والقيام به وهو ما ناسب قدرة الله في الايجاد والتفرد بالخلق خاصة أنه ورد مرتان يعني أوجد الفعل بفعله بصيغة الماضي للدلالة على الثبوت أي أوجدنا ما في أصلها فاتنة وأوجدناها باقية من غير أن تستمر عليها وعلى بقائها ونمائها وهو أليف بدلالة القدرة والتمكت التام من الخلق باقترانه بدلائل قدرة الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ(٦٣)﴾، ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ(٧٧)﴾، وقد خرج بمعناه في الآية: ﴿فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ(٩٨)﴾ إلى معنى الحكم بالشيء على الشيء بالباطل لتوسيع دلائل القدرة إلى أبعد ما يمكن للمرء تصوره لتشمل بالاضافة إلى الايجاد الحكم مما يثبت الوصف للشيء لتشمل بالاضافة إلى الايجاد الحكم مما يثبت الوصف للشيء بدلالة تحقق الافعال واستمرارها والذي لا يشير في ذلك إلا إلى الله وقد اقترن الفعل بنون الجمع للدلالة على التعظيم والتفخيم لله سبحانه كما اقترن بضمير الغائب مع المشركين وما حضر لهم، لتغيب كل ما هو سلبي سفلي مع كل ايجابي علوي ، مما سنلاحظه كظاهرة في هذه السورة.

وهناك أفعال قريبة من الفعل جعل ولكنها تفوقه في التواتر وهو الفعل خلق المتواتر خمس مرات وأصله"، التقدير المستقيم ويستعمل في ابداع الشيء من غير أصل ولا اهتداء، قال: (خلق السموات والأرض) أي أبدعهما...، ويستعمل في ايجاد الشيء في الشيء نحو خلقكم من نفس واحدة، ... وليس الخلق الذي هو الابداع إلا لله تعالى، أما الذي يكون بالاستحالة فقد جعله الله لغيره في بعض الأحوال..، وهو لا يستعمل في كافة الناس إلا على وجهين، أحدهما في معنى التقدير:

فلأنت تَفْرِي ما خَلَقْتَ، وبَعْضُ القوم يَخْلُقُ ثم لا يَفْري والثاني في الكذب نحو قوله: (وتَخْلقون إفكاً) وقوله تعالى: (فتبارك اللهُ أحسن الخالقين) يدل على أنه يصح أن يوصف غيره

---

[١] يمنى، العيد، (١٩٨٥). في معرفة النص- دراسات في النقد الادبي، ط٣، بيروت، شباط، ص ١٠١.

بالخلق ؟.. إن ذلك معناه أحسن المقدرين، أو أن يكون على تقدير ما كانوا يعتقدون ويَزْعُمون أن غير الله يبدع فكأنه قيل: فأحسب أن ها هنا مبدعين وموجدين، فالله أحسنهم إيجاداً على ما يعتقدون.....، وكل موضع استعمل الخلق في وصف الكلام فالمراد به الكذب، ومن هذا الوجه امتنع كثير من الناس من إطلاق لفظ الخلق على القرآن .....، والخلْقُ يقال في معنى المخلوق، والخَلْقُ والخُلْقُ في الأصل واحدٌ، خُصّ الخَلْقُ بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخُصّ الخُلْقُ بالقوة والسجايا المدركة بالبصيرة.....".

فالسمة الغالبة على افعال الحقل المعجمي الأول أنها وإن خُصت بالله تعالى، فقد تقترن بغيره من البشر أو غيرهم، ولذا ارتبط بها الفاعل الضمير لدلالته على الله مفخماً معظماً بعلاقة قامت بينها على القرابة المعنوية، كما نجدها إلى جانب علاقة الترادف قائمة بين أفعال الحقل المعجمي الدال على الإرسال في (ارسلناه، أتيناه، هديناهما، جاء، صدّق، استفهم)، "اذ تستند العائلة اللغوية إلى ثلاثة مبادئ، **الأول**: وهو الاشتقاق، **والثاني**: وهو الترادف، **والثالث**: وهو القرابة المعنوية parentes emique"[١]. كما نجد الفعل المضارع يخرج منفرداً بين الأفعال الماضية لدلالته على الاستمرار في كونه أنه يخبر عن أمور مستقبلية .

أما الأفعال المكونة لحقل حسن العاقبة، فقد احتل الفعل "نجزي" مكاناً بارزاً في عالم المؤمنين إذ ورد خمس مرات وهو يعد الفعل الجوهري هنا وقد ارتبط باسم المحسنين بعلاقة تداعي بينها فالجزاء: الفناء والكفاية....، الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. يقال جزيته كذا بكذا ويقال جزيته بكذا وجازيته ، ولم يجئ في القرآن إلا جزى دون جازي، وذلك أن المجازاة هي المكافأة، وهي المقابلة من كل واحد من الرجلين والمكافأة هي: مقابلة نعمة بنعمة هي كفؤها ونعمة الله تعالى عن ذلك [٢]"، لذا حذف فاعل الفعل نجزي بصيغة المضارع بدلالة استمرار نعمة الله التي لا انقطاع لها على مر الازمان والأماكن من غير تخصيصها بوقت أو عصر معين. ومن الأفعال الماضية القريبة منه نجد ما اجتمع ضمن القرابة المعنوية بينها بما لا يخرج عن الامان وحسن الحال وما يتبعه من راحة وحسن منقلب .

ونلحظ ارتباط الفعل ينزفون بلا لنفي السلبية عن المؤمنون ولكون أن الحديث عن الخمر فقد غيبوا بالضمير هم.

وبعد عالم المؤمنين نجد عالم من خرج عن الطاعة والمتمثل بسوء العاقبة، والغواية والكفر، وتجاوز الحد في الظلم، والعجز والقصور، والعبرة والهيئة والحيرة. ومعاني هذه

---

[١] حسن، عبد الكريم ، الموضوعية البنيوية دراسة شعر السياب، ص ٢٣.

[٢] الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، جزاء، ص ١٠٠.

الحقول معان دالة على أصحابها من غير ذكرهم ، فالدلالة المركزية لهذا العالم توجب قاعدة مخلصها أن: "رفض الحق يوصل إلى سوء العاقبة الذي بدوره هو إيصال إلى:

صراط الجحيم الحق ≠ ⟵ "

ففي الحقل الدلالي الثالث نجد أن سوء العاقبة وردت في سياق العذاب دالة على الهلاك نتيجة التمرد والعصيان الصادر منهم إما في مواجهة التكليف أو رفض الاستمرار فيه كما حدث مع النبي يونس عليه السلام (أبق ، لبث، ساهم، ألتقمه). وقد تنوعت الأفعال في هذا الحقل وكثرت لكثرة الخارجين عن الطاعة ولتنوع عذاب الله المهيأ لكل من سولت له نفسه بذلك.

وقد شكل الفعل يعبدون الفعل الجوهري والمحوري لعالم الكفر وهو المستقطب لهذه الأفعال في هذا الحقل لارتباطه بالقضية العقائدية التي تعالجها السورة وهي عبادة غير الله والاشراك معه آلهة كثر ، وهذا أصل الكفر وأساس الضلال ، لأن العبودية كما يقول الأصفهاني "إظهار التذلل ، والعبادة أبلغ منها لأنها غاية التّذلّل ، ولا يتسحقها إلا من له غاية التّذلّلُ، ولا يتسحقها إلا من له غاية الأفضال، وهو الله تعالى [١]. فحينما يشترك معه أحد فيها، أو توجه إلى غيره ، فقد عدل صاحبها بذلك عن الطريق المستقيم .....، ضالاً في معرفة الله ووحدانيته ، وفي هذا تناقض مع معنى العبودية الآنف الذكر لأن العمل ايجاد الأثر في الشيء [٢]" ، فإن كانت هذه العبادة لأشياء من عملهم وصنعهم ، فكيف تظهرون لها التذلل وأنتم أصحاب الفضل عليها؟!.

وقد قامت علاقة القرابة المعنوية بين بعض الأفعال، وذلك ما نلاحظه في العائلة اللغوية التي تضم (يعبدون، يعملون، يصفون، يكذبون) الأكثر تواتراً في هذا الحقل فالوصف ذكر الشيء من حليته ونعته...، والوصف قد يكون حقاً أو باطلاً، قال تعالى: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب﴾[٣]، وكون أن الوصف استدعى الصدق أو الكذب فقد ارتبط بالكذب المتواتر مرتين في الحقل الدلالي نفسه، لأن المادة اللغوية للكلمة هنا استعملت في كل ما يحقّ ويحصل في الاعتقاد نحو صدق ظني وكذب ويستعملان "الصدق والكذب"، في أفعال الجوارح، فيقال صدق في القتال إذ وفى حقه ، وفَعل ما يجب، وكذّب في القتال، إذا كان بخلاف ذلك.[٤] وتكذيب الرُّسل "أي علمُوا، أنهم تُلُقوا من جهة اللذين أرسلوا اليهم الكذب، فَكُذّبوا نحو: فُسِّقُوا وزُنُّوا وخُطِّئُوا: إذا نُسبوا إلى شيء من ذلك....، أي ظن المُرْسل اليهم أنّ المُرسَل قد كذّبوهُم فيما

---

[١] الأصفهاني، مفردات غريب القرآن،عبد، ص ٣٢٢.

[٢] المصدر نفسه، عمل، ص ٣٥١.

[٣] نفس المصدر، وضوء، ص ٥٤٠.

[٤] نفس المصدر، كذب، ص ٤٢٩.

أخبروهم به أنهم إن لم يؤمنوا بهم نزل بهم العذاب، وإنما ظنوا ذلك من إمهال الله تعالى اياهم واملائه لهم"[١] وعلى هذا استدعى الوصف الكذب لأنهم لم يكونوا شاهدين .

فأفعال هذا الحقل وإن ترادفت فقد دلت على مشترك بينها، تمثل في الكفر والضلال المجسد العالم الزيف والانحراف عن الحق، الذي لم يقتصر على الكفر فحسب، بل تجاوز حده في الظلم ، في حقل دلالي آخر جاءت أفعاله لتبين اشكال هذا التجاوز ، بصيغة يفعل وصيغة يستفعل وأفعل للدلالة على المبالغة والتكلف الشديد في هذه الافعال لخروجها عن حدها الطبيعي إلى حد أكبر لضخامة حجم الفعل وقد شحنت بدلالات سلبية فلذلك صارت مذمومة، وجيء في المضارع في هذه الأفعال لافادة تجدد السخرية، " فالسخرية: هي الاستهزاء، ويستسخرون مبالغة في السخرية، فالسين والتاء للمبالغة فالسخرية المذكورة في قوله "ويسخرون" سخرية من محاجة النبي -ﷺ- إياهم بالأدلة والسخرية المذكورة هنا سخرية من ظهور الآيات المعجزات أي يزيدون في السخرية فَمِنْ ظَنّ منهم أن ظهور المعجزات يحول بهم عن كفرهم "[٢] .

أما الاستكبار " شدة الكبر ، فالسين والتاء للمبالغة ، أي يتعاظمون عن أن يقبلوا ذلك من رجل مثلهم، وذلك أن تجعل السين والتاء للطلب، أي اظهار التكبر أي يبدو عليهم التكبر وقد مثل فعل الامر عماء العقل والبصيرة لتجاوز حد الظلم والكفر خير تمثيل." [٣]

وآخر الحقول المشكلة لهذا العالم نجدها عند حقل العجز والقصور الذي تضمن صيغة النفي الفعلية وحرف لا المستقطب لمجال التعجيز وعدم القدرة والتمكن وهي مناسبة للمشركين في ابعادهم عن النصرة وعجز آلهتهم عن الفعل لاضفاء صفة الجماد عليها مما هو بعيد عن الآلهة .

والفعل فأتوا في هذا الحقل جاء من الإتيان: المجيء بسهولة.... [فكل موضع ذكر في وصف الكتاب " آتينا " ، فهو أبلغ من كل موضع ذكر فيه أوتوا ؛ لأن "أوتوا " قد يقال إذا أتي من لك يكن منه قبول ، وآتيناهم يقال فيمن كان منه قبول]"[٤] .

وقد استندت بعض هذه الأفعال إلى علاقة التقابل التكاملي مثل المقابلة بين فعلي لا أكلون ≠ لا تنطقون، وهما فعلان يحملان عدم الاستطاعة والقصور عن القيام بالفعل وان كان فعلان، لجانبية اللام وحاجزية الالف في الحرف لا. وهنا يتساءل المرء لماذا كان الأكل والنطق

---

[١] نفس المصدر، ص ٤٢٩.

[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ٩٨.

[٣] ابن عاشور، المصدر السابق، ص ١٠٧، وينظر أيضاً: الراغب الاصفهاني، مفرادات غريب القرآن، ص ٤٢٣، وابن منظر لسان العرب.

[١] لسان العرب،م٥، ص١٢٦. وأبو حاتم الرازي، كتاب الزينة في الكلمات الاسلامية العربية، ج٢،ص٨٥-٨٦. الأصفهاني، مفردات غريب القرآن، ص ١٥. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١٠٥-١٦٥.

مع ما زعموا لها من الآلهية؟ ربما كان ذلك لأننا نتحدث عن مقام تبليغ والتبليغ لا يكون بالاشارة أو الايماء بين المُبَلَّغْ والمُبَلِّغْ بل بلغة خاصة للتواصل تكون بينهما، فكان بذلك الاكل والنطق إشارة إلى مكان العضو الخاص الذي عن طريقة تبلغ الرسالة في طريقة تَبليغْ الرسالة بالتلميح به دون التصريح ليكون موضعه في التبليغ كموضع القلب في الجسد وكونها قد فقد خاصية التبليغ في ذلك فقد فقد خاصية الآلهية بإيمائة قرآنية وظفت الفعل لخدمة غرضها الأسلوبي.

وقد وردت أفعال حقل الهيئة لتصوير حركة أو ردة فعل المتحدث عنهم في سياق الآيات، بعلاقة قامت بينها على القرابة المعنوية حيث يشير في معظمها إلى دلالة البعد أو القرب بين صاحب الفعل والطرف المقابل له فالاقبال في الفعل (أقبلوا) يدل على المجيء من مسافة تكون أبعد بين الشخص المقبل والأطراف المقابلين له من الفعل يزفون الذي يعني الميل على سبيل الاحتيال بسرعة، (فهو يتطلب قرب المسافة)، وبين الفعل يطاف والفعل يتسائل اللذان يدلان على قرب المسافة أيضاً لأن الطواف يعني المشي حول الشيء، والتساؤل يعني السؤال الاستفسار عن الشيء لتحقيق المعرفة وكلاهما يتطلبان القرب حيث يشير معظمهما إلى دلالة مكانية ضمنية بالاضافة إلى دلالتها اللغوية التي تعكس بعلاقة القرب علاقة حميمية وقد جيء بصيغة الماضي مع أنها مستقبلة لافادة تحقق وقوع ذلك.

أما الأفعال المكونة للحقل الدلالي الخاص بالحواس فنجدها تنقسم إلى افعال تدل على الحواس الجوارح، والحواس القلبية فعندما ترتبط الافعال بحدث يقيني باطني تأتي قلبية، وعندما ترتبط بظاهرة حسية تأتي بصرية كالفعل (رأى وعلم) وقد استندت في أغلبها للفاعل الرسول في صيغة الامر ليكون شاهداً على الاحداث خاصة في ارتباط هذه الصيغة بموضوع سوء العاقبة للخارجين عن الطاعة وهذا يتطلب أن تكون الأفعال بصرية تلائم سياق العذاب إن علمنا أن النظر هو تعقليب البصر والبصيرة لادراك الشيء ورؤيته[١]، ولذلك كان هنا للتفكر، في حين أن البصر: يقال للجارحة الناظرة[٢]، وبه يكون النظر ثابتاً، أما النداء فهو رفع الصوت وظهوره[٣] والفعل اطلع من المطلع: وملاحظتنا على هذه الأفعال أنها تكون من أسفل إلى أعلى ومن اليمين إلى اليسار كونها ضمن العالمين العلوي والسفلي بعلاقة ترادف جمعتها في حقل واحد يرمز إلى حلقة متصلة .

---

[١] الأصفهاني، الراغب، مفردات غريب القرآن ، ص٥٩.

[٢] المصدر السابق، نظر، بصر، ص ٤٩٩.

[٣] نفس المصدر، نداء، ص٤٨٨.

وفي حقل الخضوع والتسليم نجد تحقق معنى العبودية التامة في أفعال الحقل من تسليم وانقياد وطاعة لا مجال للاخذ والعطاء فيها، في قسم دل على العبودية بالايجادوقد تجلى بالفعل (أسلما، وإفعل، فليعمل، تول). وقسم دل على العبودية بالعبادة والخدمة، (ستجدني، تله، ما تؤمر، حق، هب، بلغ) وقد ارتبطت هذه الأفعال بالسلوكيات العملية لتنفيذ عبادة الله من تلقي الامر وتنفيذه من الله وما يتبع ذلك من صلاح الحال في الدنيا، والاستقامة على أمر شرائعه وهو أمر لم يقتصر على البشر بل شمل الكائنات الاخرى كما بين ذلك الفعل أتبعه.

وبهذا جاء المدلول ليدرس من عدة جوانب شكلت معطيات العالم الخارجي، وعلاقات المدلول مع غيره، والعلاقات القائمة بين السمات المكونة للمدلولات، إنطلاقاً من أصغر وحدة معنوية (المونيم) حتى أكبر وحدة دلالية استندت إلى الصراع القائم بين العالمين العلوي والسفلي من منطلق جدلي تمثل الانسان لكلا العالمين بخصائصهما على الارض، بناءاً على أعلى ثنائيات عديدة من سمات كل العالمين لبناء عالم المعنى الخاص بالسورة الكريمة في سياقاته المتعددة.

خامساً: خلاصة المستوى المعجمي:

إن تنوع الكلمات في السورة الكريمة كان من الثراء، بصورة جعلت منها جهاز مركباُ يلحقه التغيير لتحقيق التوازن بين مختلف عناصر الكلمات لبناء كلمات جديدة بمثابة بناء جديد. وقد تم ذلك بصور جمعنا بعضها أهمها:

١- ان الكلمة في سورة الصافات ليست مجرد مادة خام ، ولا تستقر إلا بعد تحديد معالمهما وغاياتها التميزية للقيام بدور معين لا من الناحية المعجمية فقط بل من التواحي الأسلوبية الاخرى

٢- استخدام نظام المقابلة بين الازواج الثنائية لتوليد قيم خلافية قام بها هذا التنويع الحركي.

٣- استخدام السورة للكلمة النكرة للتعبير عن ما هو عام و، وللخروج بها لدلالات أخرى لغرض التوسع في المعنى

٤- استخدام السورة الكلمة المعرفة بأشكالها المتعددة، الضمير بانواعه والاسم الموصول، واسم الاشارة ، إثراءً لنظامها المعجمي.

٥- استخدام جمع المذكر السالم دون الجموع الأخرى اللتي استخدمتها السورة بنسب متفاوتة

٦- كثرت استخدام النظم القرآني في سورة الصافات للقوالب الصيغية التي جاءت عليها الكلمات بصورة موزعة بانتظام على المساحة المكانية للنص القرآني لدلالاتها المتعدة خدمة للمعنى.

٧- خروج اسم العلم عن استخدامه الحقيقي في السورة الكريمة لأغراض أسلوبية وإعجازية تضمنتها الآيات الكريمة.

٨- استخدام السورة للصيغ الفعلية البسيطة والمركبة بمختلف اشكالها بنسب متفاوتة أيضاً لدلالات خرجت للمبالغة والتدرج في حدوص الشيء والتكلف في الفعل ....

٩- جاء الصيغ المركبة في السورة الكريمة بأشكال من صورها ذكرنا : (قد + فعل) ، (كان + فعل) ، و (سوف + فعل) مصاحبتاً الماضي القريب أو المؤكد والماضي الاستمراري والمضارع الدال على القريب.

١٠- أهلت الكلمات في السورة الكريمة بطريقة أو طرق معينة حسب علاقات محددة بفضل ما حشد فيها من مفاهيم متعددة، لاستيعاب هذه المفاهيم المعجمية وغير المعجمية في علاقة تقابل وانسجام بينها.

١١- استخدام الحقول المعجمية في الدراسة، لاظهار النظام الخاص لمدلولات الكلمات وطرق اقترانها.

١٢- استخدام السورة الكريمة الحيز المكاني في جهنم لبيان العذاب النفسي المعد لواردها إضافة لعذابهم الجسدي لمزيد التهويل والتفظيع للعبرة.

١٣- خروج كلمات من معانيها اللغوية، لتتحلى بمعاني اسلامية جديدة اقتضتها العقيدة الخالدة.

١٤- احتواء السورة الكريمة على كلمات يعروبية، شكلت مفهوماً جديداً بحروف عربية طرقت الاسماع لأول وهلة.

١٥- ثبات الدلالة المركزية لبعض الكلمات استناداً إلى تعاضدها مع قالب الصيغة الذي وضعت به كمعنى المبالغة مثلاً.

إن السمة الاسلوبية لسورة الصافات المتمثلة في التقابل والانسجام الذي لاحظناه في بعض القوالب الصيغية للكلمة وابنيتها الصوتية أحدثت نغماً ايقاعياً موسيقياً ، بقي قاصراً عن ثراء حركته بامداد النفس والسمع بمشهد رقص متكامل لسمفونية كاملة بحركات رقص تامة متناغمة من أول الايقاع إلى آخره مالم يتم درجه ضمن بناء أوسع من الصوت والكلمة ليكون في ساحة الجملة.

الفصل الثالث

المستوى التركيبي

أولا:التمهيد:

تقوم دراستنا للجملة في سورة الصافات على التوسع في دراسة التركيب اللغوي لإطار الجملة العربية من خلال تشريع جزئياته للوصول إلى خلاياه الأكثر عمقاً بحثاً عن الشكل والمضمون معاً للخروج بتصور كامل عن الإطار العام الذي حيكت فيه عناصر هذا الشكل وهذا المضمون لبنية الأسلوب القرآني.

لقد كان للقدماء قبس السبق في تناول الجملة العربية، فقد اهتم النحاة بالجملة وضبطوا وظائفها وحللوها وكتبوا فيها من الكتب ما يفوق التعداد[١]، فاختلفوا في كون الجملة من الكلام أم أنها أخص منه كما ذكر ابن هشام الأنصاري، حتى جاء ابن جني الذي استطاع أن يضع الإطار العام الموجه لكلامهم في نظرية النظم التي خرج بها في هذا الموضوع بما قال:-

" أما الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، ... نحو زيد أخوك وقام محمد، وضرب سعيد وفي الدار أبوك وصه، ومه،... فكل لفظ استقل بنفسه، وجنيت منه ثمرة معناه فهو كلام"[٢].

لينتهي بعد مناقشاته إلى خلاصة رأيه بقوله: "فقد ثبت بما شرحناه وأوضحناه أن الكلام إنما هو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها، المستغنية عن غيرها وهي التي يسميها أهل الصناعة الجمل، على اختلاف تركيبها، فهو أوسع من الكلام تصرفاً، وأنه قد يقع على الجزء الواحد، وعلى الجملة وعلى ما هو اعتقاد ورائي [٣].والذي اقترب به ابن يعيش في تعريفه بأن الجملة عبارة عن كلام قائم بنفسه مفيد لمعناه"[٤].

فقد اختلف القدماء في تحديدهم للجملة، وبغض النظر عن تقسيماتهم المختلفة لها فقد عاب عليهم أحد المحدثين نقطة جوهرية في تناولهم لموضوع الجملة وهو في جريانهم في دراساتهم في علاجها على تغليب ظاهرة الإعراب "فادخلوا بذلك الظيم على سائر الجوانب وخاصة منها الوظيفة أو جانب المعنى"فكان تحليلهم تحليلا خطيا يقوم على إتباع ترتيب الكلمات وهو تحليل لا يمكن دائما من إدراك العلاقات القائمة بين مكونات الجملة على حقيقتها...إذ ليست

---

[١] لمن أراد التوسع في الموضوع، انظر، ابن هشام. (١٩٩٦). مغني اللبيب، عن كتب الأعاريب، ج٢، ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، م٢، ج٢، ص٩. العلوي. يحيى، الطراز، م٢، ج٢، ص٩.

[٢] ابن جني. الخصائص، ج١، ص ١٧٠.

[٣] المصدر السابق، ص ٣٢.

[٤] ابن يعيش، شرح المفصل، م٢، ج٨،ص ٥٩.

اللغة مبنى صرفاً، ولا هي معنى، صرفا إنما هي الشكل الذي بمقتضاه نؤلف بين المبني والمعنى[١].

ولذا قام تصور المحدثين لأقسام الجمل على مبدأ المغاير لما جاء عند القدماء، ولا يعني ذلك أن انطلاقهم كان من لا شيء، بل جاء معتمداً على مفهوم الإسناد، عند القدماء دون إغفال للوظائف التي وضعوها لمكونات الجملة ولذا كان تقسيمهم مختلف نسبياً مع احتفاظهم لما احتفظوا به منهم الطرق والمفاهيم المتصلة بوصف تركيب الجمل.

لقد وجهت المغايرة كثيراً من النحاة المحدثين لتتبع النحو على الطرق والمناهج الحديثة الغربية ذلك أن " تصنيف الجمل العربية ما زال في حاجة إلى نظرة جديدة جذرية، فالتصنيف الغالب الذي يقصر الجملة العربية على الاسمية والفعلية ضاق عن استقطاب مختلف مظاهر الكلام العربي، والدرس الوظائفي قد اختنق بالأحكام الما قبلية الجاهزة التي تجعل المُركب عالة على البسيط، فيقتضي بذلك على طرافة المركب من الكلام، وتفضي إلى أبواب ومصطلحات قاصرة عن لم الأشتات"[٢].

ولذا فإننا سنقوم في دراستنا لهذا البحث على المزاوجة بين تراثنا العربي واللسانيات الوصفية والحديثة من منظور بلاغي في تحليل التراكيب مستندين على بعض المناهج اللسانية ضمن هذا المبحث الأسلوبي كمحاولة لدمج علم المعاني في دراسة البنية النحوية للتراكيب الأسلوبية معتمدين في ذلك على الجملة الاسمية والفعلية لكونهما الأساس في قيام أي تركيب لغوي عربي، ومن ثم اكتناه أسرار مختلف أنماطها وخصوصاً ما شكل بروزاً أسلوبياً واضحاً.

---

[١] محمد الشاوش، (١٩٨٢). ملاحظات بشأن دراسة الجملة، مجلة "الموقف الأدبي"، العددان (١٣٥،١٣٦)، دمشق، ص ٨٨.

[٢] عبد السلام المسدي، محمد هادي الطرابلسي، (١٩٨٥). الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية، الدار العربية للكتاب تونس، ص ١٧٣. وللتوسع في موضوع تقسيم المحدثين للجملة واختلافهم في تعريفها انظر: مونان، جورج، (١٩٨١). مفاتيح الألسنة، عربه وذيله بمعجم عربي الطيب بكوش، الجديد ، تونس، ص ٧٨.
طحان، ريمون، الالسنية العربية، ج٢، دار الكتاب اللبناني، ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٨١، ص ٤٤.
أنيس، إبراهيم. (١٩٨٥). من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٧، القاهرة، ص ٢٧٦.
عبد اللطيف، حماسة. العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دار الفكر، ص ٧٨- ٩٧.
ميشال شريم، جوزيف. (١٩٨٤). دليل الدراسات الأسلوبية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، لبنان، ص ٣٩ -٤٠.

١ - التقديم والتأخير:

إن من خصائص التعبير القرآني استخدامه أسلوب التقديم والتأخير، في مواضع متعددة من السورة تستدعي كما ذكر سيبويه " الاهتمام" الذي فرضته حتمية الجملة بترتب أجزاءها.

ويمثل الخروج عن نظام الجملة العربية في النص القرآني عدولاً إلى اللغة الإبداعية لقصد تمكين المعنى لدى السامع بصور متعددة كان أبرزها مع الفعل:

١. تقديم الاسم على الفعل، كما جاء في قوله تعالى:**﴿فَإِنّما هِي زَجْرَةٌ واحِدَة فَإِذا هُمْ يَنْظُرون(٩٩)﴾** ، **﴿ والله خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلون(٩٦)﴾**.

٢. تقديم القيد على الفعل كما في قوله تعالى : **﴿ أئفكاً آلِهَةً دون الله تُريدُون(٨٦) ﴾**.

وفي تصدير الجملة بضمير مبتدأ يفيد التأكيد، كما في الآية التاسعة عشرة والآية السادسة والتسعين ما يفيد التوكيد، "ولهذا قيل بإفادة الحصر" [١].

ومما يلفت الانتباه كبنية أسلوبية في الآية بناء عناصرها حسب الأغراض البلاغية والمقاصد الدلالية، بصورة جعلتها تتجاوز ببنائها وتركيبها اللغوي هذا الترتيب المألوف في مسند الجملة بتقديم الفعل على المسند إليه، (أو بتعبير مفاده تقديم الفعل على الفاعل) إلى آفاق دلالية تعبيرية.

إن توزيع بنية هذا النص يؤمي إلى براعة النظم القرآني بتقديم المسند في قوله:(والله خلقكم)، (هم ينظرون)؛ (آئفكاً...تريدون) قصد تخصيص الخبر وتقويته وحصره كما في الآية الأولى وإظهار تعظيمه كما في الآية الثالثة، وقصد تحقيق الأمر وإزالة الشك من ذهن السامع في قوله:(إئفكا..تريدون)، حيث أن تصدير الاسم في الجملة الإثباتية السابقة، جاء لمقاصد دلالية، تم بموجبها تجاوز البناء النحوي المعتاد من أجل تحقيق الخبر.

والحقيقة أن العدول التركيبي عن النمط المعتاد يتحقق في تقديم الاسم المبتدأ على الفعل عن طريق:

أولاً: تجاوز النص بمكوناته اللغوية المستوى السطحي، للمستوى العميق فإذا قلنا ينظرون هم، خلقكم الله كان ذلك إخبارا ابتدائياً، والمخاطب خالي الذهن، فإن كانت على الصورة التي جاءت عليها، فقد خصصنا المشركين بالنظر، والله بالخلق وقصرناها عليهم فإذا كان المخاطب يظن أن الذي خلق ونظر هو شيء آخر أو شخص آخر فترد عليه الآية بهذا التركيب. لإبراز حقيقة وتأكيد هذا المعنى، وفي هذا يقول عبد القاهر: " فإذا عمدت إلى الذي أردت أن تحدث عنه بفعل، فقدمت ذكره ثم بينت الفعل عليه فقلت: ثريد قد فعل، وأنا فعلت، وأنت فعلت، اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل إلا أنّ المعنى في هذا القصد ينقسم قسمين:

---

[١] ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، م١،ج٣، ص٤٠.

أحدهما جلي لا يشكل، وهو أن يكون الفعل قد أردت أن تنص فيه على أحد، فتجعله له وتزعم أنه فاعله دون واحد آخر، أو دون كل أحد. مثال ذلك: أن تقول أنا كتبت في معنى فلان أو شفعت في بابه، تريد أن تدعي انفرادك بذلك والاستبداد به وتزيل الاشتباه فيه، وترد على من زعم أن ذلك كان من غيرك، أو أن غيرك قد كتب فيه كما كتبت"[١].

وبهذا السبب نقلت الدلالة إلى مستوى دلالي عميق الغور بعيد المعنى، جاءت فيه الشحنة الإخبارية متضمنة لمعنى الإخبار عن طبيعة أصحاب النظر والخلق فإن في تنبه السامع لتصدير الجملة بضمير أقوى دلالة من الإخبار دون تقديم، فجملة الأمر" أنه ليس إعلامك الشيء بغته، مثل إعلامك له بعد التنبيه عليه والتقدمه له، لأن ذلك يجري مجرى تكرير الإعلام في التأكيد والأحكام، ومن ههنا قالوا: عن الشيء إذا أضمر ثم فسّر كان ذلك أفخم له من أن يذكر من غير تقدم إضمار"[٢].

ثانياً: العدول بالشحنة الإخبارية إلى شحنة المفاجأة التي جاءت لفظاً بدلالة الأداة إذ مع الاسم، وضمنا بهذا المعنى العميق للتركيب الهيكلي للآيات، ولعل خرق القواعد الأصلية للجملة، ولّد الاستغراب والدهشة لدى مَنْ يقرأ، فالتأمل يحدث عند الانعطاف الدلالي والعدول الأسلوبي، ذلك أن التفريع على تعقيب المفاجأة بحرف المفاجأة إذ في الآية التاسع عشرةَ دَلّ الحرف "على سرعة حصول ذلك"[٣]. فعند هذا التحول تبدأ التساؤلات بأسلوب المحاورة الفكرية عن أسباب الخروج هذه والتي منها أن الله من اتصف بصفات الكمال والجبروت، خالق المخلوقات كيف تعبدون غيره مما تعلمون وتنحتون من الحجارة؟

ثالثاً: إفادة حصول الإخبار بتقديم الاسم على الفعل أي تقديم المسند إليه على الفعل فهو يفيد أن الإخبار حصل ولكن لم تفعله أنت بل فعله غيرك مع النفي في هذا التركيب فعبد القاهر قد ذكر أنك" إذا قلت (ما فعلت) كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت أنه مفعول، وإذا قلت: (ما أنا فعلت) كنت نفيت عنك فعلاً أنّه مفعول"[٤].

وأما ما يتعلق بتقديم القيد على الفعل كما في قوله تعالى: **﴿أئفكاً آلِهَةً دون الله تُريدُون(٨٦)﴾** فقدم المفعول به على الفعل فقد جاء لمن يظن شيئاً غير الإفك فنحن لم نرد قصر الإرادة أو حصرها في الآلهة، ولكن المعنى أراد أن يزيل الشك في ذهن السامع " والقسم الثاني أن لا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى، ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه

---

[١] الجرجاني. دلائل الإعجاز، ص ٩٩.

[٢] المصدر السابق، ص ١٠١.

[٣] الطاهر. التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١٠٠.

[٤] الجرجاني. في دلائل الإعجاز ، ص ٩٦-٩٧.

قد فعل، وتمنعه من الشك فأنت لذلك تبدأ بذكره وتوقعه أولاً، ومن قبل أن تذكر الفعل في نفسه لكي تباعده بذلك من التشبه وتمنعه من الإنكار أو مِنْ مَنْ يظن بك الغلط أو التزيد ومثاله قولك: هو يعطى الجزيل، وهو يحب الثناء، لا تريد أن تزعم أنه ليس ههنا من يعطي الجزيل ويحب الثناء غيره، ولا أن تعرض بإنسان وتحطه عنه وتجعله لا يعطي ولا يرغب كما يرغب، ولكنك تريد أن تحقق على السامع أن إعطاء الجزيل وحب الثناء دأبه، وأن تمكن ذلك في نفسه[١] .

فقد وقع التقديم لتحقق بعض الدقائق المعنوية والنكت البلاغية في خدمة المقصد الدلالية الذي اقتضاه السياق وفق النمط المميز بضمير المبتدأ المتقدم على الفعل بصورة:

- **المسند إليه، (ضمير المبتدأ) + مسند (جملة فعلية من فعل مضارع والفاعل).**

كما ورد التقديم مع الجملة الاسمية التي يقوم نظامها في الأصل على تقدم المسند إليه على الاسم، أو بتعبير آخر تقدم المبتدأ على الخبر فما أسباب تقدم الخبر على المبتدأ؟!

لقد تقدم الخبر المفرد على المبتدأ في قوله تعالى :

﴿دُحوراً وَلَهُمْ عَذابٌ واصِبٌ(٩)﴾

﴿أُولئِك لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلوم(٤١)﴾

﴿لا فيها غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْها يَنْزِفون(٤٧)﴾

﴿ ومِنْ ذُرِيتهما محسن وظالم لنفسه مبين(١١٣)﴾

لغرض التخصيص، ذلك أن المخاطب ليس حالي الذهن عما هو مخبر به لنقدم المبتدأ في صورة الإخبار الأولى الذي لا يعلمه السامع، بل إن السامع في هذا المقام يظن شيئا معينا في باله، فكان لابُدّ من تقديم الخبرية لإزالة الوهم من فكره فيكون تقديم الجار والمجرور تصحيحا للوهم الذي في ذهن المخاطب، فحين ذكرت الآية الكريمة عن الشياطين أنهم دحورا قدمت الجار والمجرور المسند إليه على المبتدأ لإثبات الدحر والعذاب لهم دون غيرهم، ولذا قدم لا فيها غول أيضا أي لاختصاص هذا بخمر الجنة دون الخمور الأخرى في الدنيا بما تغتال به العقول.

وقد جاء المزج الأسلوبي للمعنى البلاغي مع التركيب في بقاء نمط التركيب على ما هو عليه من تأخير للخبر إنقاصَ للمعنى المطلوب البليغ وذلك في قصرك لمعنى التركيب على الإخبار فقط أي يكون المعنى لا غول فيها، لا غير، وعذاب واصب لهم لا غير، ومحسن وظالم من الذرية لا غير بخلاف التقديم الذي يجعل المعنى بتقديم الخبر تخصيصاً بهذه الصفة من بين سائر الصفات أو أمثالها. حيث أن في تقديم الجار والمجرور تخصيص الصفات للموصوفات أي تخصيص الغول للخمر، والرزق المعلوم لأهل الجنة والإحسان والظلم لذرية إسماعيل واسحق

---

[١] الجرجاني. دلائل الإعجاز، ص ٩٩.

عليهما السلام، ولو تقدم المبتدأ لجاز أن يوضع موضعه غيره فيقول: محسن وظالم أهلهم أو رزق معلوم لنا لغيرهم، فلما قُدّم الضمير حُصر للاختصاص بهم وبصفاتهم دون غيرهم، ولشخصهم، إذا أفاد أن الرزق المعلوم مختص بأهل الجنة من سائر الشخوص، وأن الإحسان والظلم مختصة به ذريتهما (للنبيين إسماعيل وإسحاق عليهما السلام) من سائر الصفات وهكذا.

ونحن نعلم أن المبتدأ إذا كان نكرة ليس له مسوغ في الابتداء، ووجب تقديم الخبر الجار والمجرور أو الظرف عليه فحينما قدمنا الظرف ولا فيها غول عنينا أنه لا في شيء آخر غيرها. فتأخير الظرف يقتضي النفي وتقديمه يقتضي تفضيل المنفى عنه، وهي خمر الجنة وليس غيرها من خمور الدنيا بما فيها من الغول، كأنك تقول ليس فيها الغول ولكنه في غيرها.

كما أن التقديم والتأخير ورد في السورة الكريمة بين الكلمات دون التراكيب لأغراض تعددت الذكر، فمثلا لجأ التعبير القرآني لتقديم السماء على الأرض باعتبار القدم والأولوية في الخلق، فقد كان خلق السماء قبل خلق الأرض فضلا عن أسباب العناية بالمشهد السمائي في بداية السورة. كما أنه قدم المحسن على الظالم في باب التدرج من القلة على الكثرة والذي ظهر بصورة واضحة في تقديمه للمُنْذِرِين على المُنْذَرِين حينما تَركهم في نهاية الآية للدلالة على الإطلاق لكثرتهم.

٢ - التوكيد والتكرير:

لقد ورد التوكيد في سورة الصافات مع الجمل الاسمية والفعلية بصورة التعدد، فقد جاء مع الجمل الاسمية بمؤكد واحد وبمؤكدين، و ثلاث مؤكدات، ونجده مع الجملة الفعلية بالمصدر، والمفعول المطلق، والحروف قد، ولقد، وسوف، والقصر، والتقديم، كما جاء التوكيد في السورة الكريمة بصورة التابع الرافع احتمال غير إرادة الظاهرة [١]، بصورة أجمعين كل فقد تنوع في الجمل من حيث أغراضها الأسلوبية وأهدافها الدلالية فجاء مع المثبتة والمنفية، قصد تقوية المؤكد و تمكينه عند السامع، وقد ذكر صاحب المفصل جدوى التأكيد حين قال: "أنك إذ كررت فقد قررت المؤكد، وما علق به في نفس السامع، ومكنته في قلبه و أمطت شبهة ربما خالجته أو توهمت غفلة وذهاباً عما أنت بصدده فأزلته"[٢].

فتأكيد محتوى الجملة يأتي لتمكين المعنى الذي توزعت الوسائل المختلفة في سياقات السورة لتوكيده بأشكال كان أبرزها:- تأكيد الجملة بأن:-

وردت إن مع الجملة الاسمية الفعلية في مواطن كثيرة في السورة الكريمة بلغت ثلاثة وأربعين موطناً تقريباً موزعة بين عالم العلويين وعالم السفليين. فما مع الجملة الاسمية:

قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ(٣٣)﴾.

إن استخدام أداة التوكيد (إنّ) جاء لغرض التوكيد في الآية لمبرر دلالي وتركيبي، ودليل التأكيد فيها أنها تأتي جواباً للقسم. كما سيمر لاحقاً في السورة الكريمة في قوله تعالى:﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ(٥٦)﴾ . فالتركيب الخاص للآية الأولى جاء في سياق، الكلام الموجه من الله إلى النبي-ﷺ- والمؤمنين بين حوارات أهل الشرك في القيامة مع بعضهم البعض، الرؤساء والدهماء فجاءت إنّ كسمة أسلوبية في موقع الجواب حيت "أنا إذا استقرينا الكلام وجدنا الأمر بيّنا في الكثير مِنْ مواقعها أنه يقصد بها إلى الجواب"[٣] ذلك أن توهم الغفلة عنْدِ السامع حاصل مِنْ جراء الجدل القائم بين زعماء المشركين واتباعهم في إلقاء اللوم على الآخر في الإضلال فاختار النظم القرآني إنَّ لبيان عدم تنصل كلا الفريقين ومعذرته من الاشتراك في جنس العذاب فكان التركيب بأن كـ "لعمرك أو والله إنهم في العذاب لمشتركون" ليرفع أي توهم حصل في الفهم باختصار جنس العذاب على أحد دون الآخر.

فالتعبير القراني بالأداة إن أراد تحقيق المقاصد الدلالية وترسيخها في الآية، فمن حيث الدلالة وقع التركيز على دلالة الاشتراك في جنس العذاب بنفي الشك فيه أو الإنكار له بأداة

---

[١] الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العربية. ج٣ ص ٧٣.

[٢] ابن يعيش، شرح المفصل، م٢، ج٣، ص٤٠.

[٣] الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص ٢٤٩.

التوكيد المؤكد للحكم. ذلك أن "الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه البناء هو الذي دوّن في الكتب من أنها للتأكيد وإذا كان قد ثبت ذلك، فإذا كان الخبر بأمر ليس للمخاطب ظن في خلافه البته ولا يكون قد عقد في نفسه أنّ الذي تزعم أنه كائن غير كائن، وأن الذي تزعم أنه لم يكن كائن فأنت لا تحتاج إلى (إن) وإنما تحتاج إليها إذا كان له ظن في الخلاف، وعقد قلب على نفي ما تثبت، إو إثبات ما تنفي ولذلك تراها تزداد حسناً إذ كان الخبر بأمر يبعد مثله في الظن، وبشيء قد جرت عادة الناس بخلافه"[١]

فمشتركون حملت شحنة دلالية أوحت بالبعد الدلالي لها لما جرى على العرف البشري الجاهلي في تنصل الرؤساء من أي مسؤولية لمن كان أدنى منهم ولو كان أتباعهم وبأمرهم لأن شأن أتباع الرؤساء غير شأن الرؤساء فجاءت هذه الشحنة الدلالية بما يخالف العرف الجاهلي بتأكيد تساويهم ب (إن) المؤكة للجملة.

وقد جاء بعد إن صورة أخرى لأن المؤكدة المفيده للتعليل مع الجملة الإسميةفي قوله تعالى:﴿ **إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ(٣٤)**﴾. ولعلَّ النظم القرآني يعلل بأن الواردة مرتين متتابعتين لتأكيد حقوقهم في الحساب بأنه كمؤاخذة التابع للمتبوع، فجزاء المجرمين مؤكد ثابت لا مجال للشك فيه، كجزاء التابع للمتبوع ثابت.

وقد خرجت الجملة الاسمية معها "إن" بالشكل التالي:

- أداة التوكيد (إن) + الاسم + خبر (جملة، شبه جملة) أداة التوكيد

أكدت الجمل الفعلية بأدوات أخرى غير إن المؤكدة كتأكيد الجملة الفعلية بالمصدر:

وهو نمط وارد في السورة الكريمة بصور إعرابية وتركيبية مختلفة، كالمفعول المطلق سواء كان مصدراً مؤكداً لمصدر عامله، أم كان مصدراً مؤكداً لمضمون الجملة أم ظرفاً مؤكداً لزمن عامله، أو على صورة حال، أو مع قد.....، بتكثف أسلوبي استدعته دلالة الآيات.

أ- فمن الصيغ التي استندت إلى المفعول المطلق باعتباره وسيلة من وسائل التوكيد ما جاء في قوله تعالى:﴿ **لاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ(١٠)**﴾ فقد أكد المصدر الحدث فقط دون الزمن وهو ما أرادته الدلالة المركزية للآية الكريمة في صورة تركيب الفعل المبني للمعلوم + فاعل (ضمير مستتر) + المفعول المطلق (المصدر) في سياق العذاب والتنكيل. فالتركيز كان على الخطفة لبيان عدد مرات المصدر. وقد جاء التأكيد من نفس لفظ الفعل.

ب- أما جاء بصورة المصدر المؤكد لنفسه (أو المؤكد للجملة) قوله تعالى: ﴿ **وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ(٧)**﴾

---

[١] المصدر السابق ص ٢٤٩ – ٢٥١.

فحفظاً هنا تأكيد لمضمون الجملة وليس تأكيد لعالمها، إذ لو كانت مؤكدة للعامل لما جاز حذفه، فحذف العامل على المؤكد ممتنع عند النجاه، فهو مصدر دلَّ على معنى متقدم عليه غير تابع، فلما ذكر أن السماء فرينه بالكواكب انتصب حفظاً على زينتها علماً بأن الحفظ حكمة من خلقها "وليس الذي به الحفظ هو جميع الذي به التزين بل العلة موزعة فالذي هو زينة مشاهد بالأبصار، والذي هو حفظ هو المبين بقوله: ﴿ إِلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠)﴾ ومعنى كون الكواكب حفظاً من الشياطين أن من جملة الكواكب الشهب التي ترجم بها الشياطين"[١] وقد جاءت القرينة كل لفظية لتأكيد معنى الدقة المتناهية في الحفظ والشمولية المطلقة في التحصين. وفي العطف بالواو سمة أسلوبية تتمركز في إفادة الجمع والمشاركة بين الزينة والحفظ مع التراخي إن عُلِمَ بأن الكواكب خلقت قبل استحقاق الشياطين القذف وإن ذلك لم يحصل إلا بعد طرد إبليس من عالم الملائكة فجاءت الواو لتبين الفاصل الزمني بين الزينة والحفظ بإفاداتها التراخي مبرزتاً هذا البعد الجمالي المركزي للآية والذي ما كان ليحصل لو جاءت الفاء مثلاً بإفاداتها نفي التراخي.

- **التوكيد بقد ولقد:**

فقد أكدت الجمل المسبوقة بقد المُفيدة للتحقيق في سورة الصافات في بعض المواضع مع اللام المؤكدة برفقة قد لزيادة الشحنة التأكيدية وتكثيفها بتركيب انبنى نظامه على الواو + أداة التوكيد (لقد) + فعل (ماضي) + وفاعل + المفعول به. في حين جاءت قد مرة واحدة في آية واحدة في قوله : ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ(١٠٥)﴾. بعد نهاية قصة سيدنا إبراهيم فكان السامع على شغف بانتظار ما حصل من تنفيذ أمر الله بالمفدى فجئ بها مجردة للغرض الأسلوبي التشويق فـ (قد) "لا يؤتى بها في شيء إلا إذا كان السامع متشوقاً إلى سماعه كقولك لمن يتشوق سماع قدوم زيد. قد قدم زيد، فإن لم يكن، لم يحسن المجيء بها، بل تقول: قدم زيد".[٢] وقد زاد من جمال هذا الانتظار الفعل المضعف الدال على تضاعف المشاعر لمعرفة ما ترتب.

التوكيد بالظرف المؤكد لزمن عامله: كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ(١٣٧)وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ(١٣٨)﴾.

فقد أراد التعبير القرآني أن يؤكد الزمن الذي تضمنه الفعل وليس الفعل نفسه فقال مصبحين وبالليل، لأن المرور لا بد وأن يكون في وقت وهو إما صباحاً أو مساءاً إشارة من النظم القرآني إلى رحلة الشتاء والصيف لقريش التي كانوا يقومون بها مارين بهذه الديار فجاء

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ٩٠.

[٢] العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، م٢،ج٢، ص٤٣.

التأكيد بالمصدر الدال على الزمن، للزمن ذاته. وليس لغيره بإشارته إلى دورة الأيام لقصد الاتعاظ والاعتبار والذي ما كان ليحصل لو أكد بالمصدر الدال على عامله أي (إنكم لتمرون عليهم مروراً)، بل كان مروركم صباحاً ومساءً أمام ناظركم وفي هذا مزيد تنبيه وتأكيد لكي تستيقذوا من غفلتكم. وقد نسج التأكيد مع هذا التركيب بصورة:

- **أداة التوكيد (إن) + اسمها + لـ التوكيد + فعل مضارع (فاعله) + بـ + ظرف مؤكد لزمن عامله.**

- **وقد جاء التوكيد بألفاظ التوكيد:** (كُلّ، أجمعين)

فأجمعين في قوله تعالى: ﴿ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ(١٣٤)﴾ بمعنى كلهم فهي ليس اسم تفضيل ولا صفة مشبهة بل وصف مرتجل للتوكيد بمعنى الإحاطة، ذلك أن تأنيثها على وزن فعلاء، واسم التفضل تأنيثه على وزن فعلى وأجمعين ماشيه على وزن فعلى لا تقبل التعريف بال عكس اسم التفضيل.

فعندما جاءت الآية بأجمعين أفادت أن مجموعهم نجوا بذلك ولو كانت كلهم لأفاد التوكيد معنى أن أفرادهم نجو والنتيجة واحدة فقط أن المعنى " بأجمع أشار إلى العموم ابتداء وكل تشير إلى الأفراد استغراقاً [١]

- **التوكيد بالقسم:**

فقد أكدت الجملة الاسمية بالقسم في قوله تعالى:

- ﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ(٥٦)﴾
- ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ(٧٥)﴾
- ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا(١)﴾

فقد جاء القسم ظاهراً صريحاً مؤكداً بحروف القسم التاء واللام والواو.

فقد جاء التركيب في القسم المؤكد مع حرفي التاء والواو بحذف فعل القسم، وإن اختصت التاء بالدخول على لفظ الجلالة في حين دخلت الواو على المقسم به دون اختصاص بالله.

وقد جاء التأكيد بالقسم بالتاء لإفادة معنى التعجب فقد تعجب صاحب النعيم من حال قرينه التي آل إليها ومحل التعجب والغرابة "هو خلاصة من شبكة قرينه واختلاف حال عاقبتيهما مع ما كانا عليه من شدة الملازمة والصحبة وما حفه من نعمة الهداية وما تورط قرينه في أوحال الغواية"[٢] وهذا مثير للتعجب. وقد جاء التركيب مع حرف التاء بشكل:

---

[١] انظر ابن يعيش، شرح المفصل، ج٣، ص ٤١.

[٢] ابن عاشور التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١١٧ – ١١٨.

- حرف القسم "التاء"+(حرف الجر) لفظ الجلالة الله (اسم مجروراً)+متممات الجملة.

في حين أكد القسم باللام لتأكيد الخبر وما فرع عليه في قوله فلنعم المجيبون، واللام تأتي للتعجب ولكن التعجب في الأمر العظيم الذي يستحق أن يتعجب منه[١] وذلك التعجب تحذيراً للمشركين مغبة نزولهم منزلة من ينكر أن نوحاً دعا ربه. فاستجاب له وقد حذف المخصوص بالمدح معها وحذف المفرع عن إلغاء الدلالة فلنعم المجيبون عليها. فجاء التركيب بصورة:

- فاء التفريع + المفرع عنه المحذوف الفعل (فأجبناه) + حرف القسم (اللام) + الفعل الجامد لإنشاء المدح (نعم) + فاعله المجيبون + المحذوف المخصوص بالمدح (الصمير نحن).

- جاء التوكيد مع إن النافية: بصورة توكيد يجمع بين طرفين يفصل بينهما (بالأ) أداة القصر في قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ(١٥)**﴾ فاجتمع في هذا التركيب تأكيدان للاستيفاء بالغرض المقصود فالآية تؤكد دلالة إنكارهم إعادة الخلق عند البعث، فقالوا لذلك في ردهم على الدليل المقدم في قوله تعالى:﴿**فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ**﴾. بأن إعادة الحياة كلام سحر أي جعلوه كلام لا يفهم فزادوا التوكيد بأداة القصر لزيادة التمكين والتثبيت في قولهم هذا لإقناع غيرهم.

والنظام الغالب عليهم هنا هو:

- مبتدأ (اسم إشارة) + إلا + الخبر (جملة اسمية)

- التوكيد مع إن بأكثر من مؤكدين: في قوله تعالى:﴿ **لَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ(١٥١)**﴾. اجتمع في هذه الآية ثلاث مؤكدات هي ألّا، وإنّ، واللام والأصل في اللام أن يؤتى بها في مواطن الردّ والإنكار ومواطن الجواب، عكس إنّ التي تفيد عموم التوكيد معللة أو رابطة.واجتماع هذه الأدوات يؤدي إلى زيادة القوة في التأكيد، ذلك أن كفار مكة غالوا في كفرهم وتجاوز الحد في طغيانهم وكذبهم فجاءت اللام لتؤكد هذه الزيادة مع إن المؤكدة لهذا الإفك، فنحن نأتي باللام إذا كانت راداً على المخاطب كلامه أو منكرين عليه قوله أو عمله وهذا ما أردت هذه الأدوات الثلاثة مجتمعتا في الآية الكريمة تأكيده بصورة التركيب:

- ألا (التوكيد القصر) + إن + المبتدأ (ضمير متصل) + التوكيد ل + فعل مضارع (جملة الفعلية خبر).

باجتماع إنّ واللام جاء هنا للمبالغة في التوكيد، (ذلك أن زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى)، وذلك عندما يكون المخاطب منكراً أو بمنزلته.

---

[١] انظر، شرح ابن عيش المفصل، ج٢ ص ٢٩٨.

"وقد روي عن ابن الأنباري أنه قال: ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس وقال لـه: إني لأجد في كلام العرب حشوا. فقال له أبو العباس: في أي موضع وجدت ذلك؟ فقـال: أجـد العرب يقولون: عبد الله قائم. ثم يقولون، إن عبد الله قائم. ثم يقولون: إن عبد الله لقائم. فالألفـاظ متكررة والمعنى واحد. فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ: فقـولهم عبـد الله قائم، إخبار عن قيامه، وقولهم إن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل وقولهم إن عبـدالله لقـائم جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني، قـال ممـا أحـار المتفلـسف جواباً[١] .وهكذا فقد جمعت الآية إخبار عن حدث وهو خلق الملائكـة إناثـاً وبناتـاً لله تعـالى، وجواب عن سؤال سائل في قوله إنهم من إفكهم، ولتكذيب وإنكار ادعائهم لهذا الكلام "الحـدث" أضاف اللام في الجواب فكان الكلام ارتقاءً في التجهيل لهم بكلامهم المستحيل الغير مستند على أدلة بأدوات التأكيد الثلاثة لهذا السبب الدلالي الذي استدعى تكثيفاً أسلوبياً قصده النظم القرآني.

- **ارتباط إن مع ضمير الشأن**: عندما يتعلق الأمر بالمؤكد كما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَـا الْمُؤْمِنِينَ(٨١)**﴾ ١٣٢، ١٢٢، ١١١..... للاهتمام بالمؤكد. وهو الرسول المرسل للقوم المتحدث عنه في هذه الآيات، وذلك لعظم قدره وعلو مرتبته مع مقام المقارعـة والمجاهـدة للمـشركين، فتعظيم المؤكد وتفخيمه ظهر في تأكيد معنى الإيمان لهم، فضمير الشأن أفاد التفخيم وجـاءت إن لتأكيد هذا التفخيم للمؤكد "فمن خصائصها أنك ترى لضمير الأمر والشأن معهـا مـن الحـسن واللطف ما تراه إذا هي لم تدخل عليه بل تراه لا يصلح حيث يصلح إلا بها". [٢]

واقتران ضمير الشأن مع إن نُسج على هذا النمط في الآية الكريمة:

- أداة التوكيد (إن) + اسمها (ضمير الشأن هـــ) + خبرها (شبه جملة).

وقد ارتبطت إن كذلك مع الجملة الفعليـة فـي قولـه تعـالى: ﴿**إِنَّـا جَعَلْنَاهَـا فِتْنَـةً لِلظَّالِمِينَ(٦٣)**﴾ ، وقوله: ﴿**إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِـبِ(٦)**﴾، فالتوكيد معها جاء مـع الفعل الماضي بصورة :

أن (أداة التوكيد) + الفعل الماضي وفاعله ومفعوله. وقد صيغ الكلام على هذا التركيب بقصد التشويق، "ذلك أن من لطيف مواقعها أن يدعى على المخاطب ظن لم يظنه ولكـن يـراد التهكم به". [٣]

---

[١] الجرجاني،(١٩٤١).دلائل الإعجاز، ص٢٤٢. وانظر أيضاً، ابن يعيش، شرح المفصل،م٢،ج١،ص٦٤،٦٣. المخزومي، مهدي (١٩٦٤). في النحو العربي، بيروت، ص ٢٤.

[٢] الجرجاني، المصدر السابق، ص٢٤٤. وانظر، يحيى العلولي" الطراز، م٢، ج٢، ص ١٧. وابن يعيش شرح المفصل ج٣، ص ١٤٤.

[٣] نفس المصدر السابق.

فجعل ذكرها وخبرها مثيراً لفتنتهم بالتكذيب والتهكم دون تفهم، حيث صارت شجرة الزقوم فتنة أغرتهم بالتكذيب كلما ذُكرت فكانت إن كسمة أسلوبية مؤكدة ذلك المعنى مع الفعل. وقد جاءت مع الفعل زينا كذلك تأكيداً سواء كانت زينة اسم لما تلاق به الدواة أو من إضافة المصدر إلى فاعله "فإقحام لفظ "زينة" تأكيد، والباء للسببية، أي زينا السماء بسبب زينتها فكأنه قيل: إنا زينا السماء الدينا بالكواكب تزيينا فكان "بزينة الكواكب" في قوة: بالكواكب تزيينا، فقوله "بزينة"مصدر مؤكد لفعل "زينا" في المعنى ولكنْ حوّل التعليق فجعل "زينة" هو المتعلق ب "زينا" ليفيد معنى التعليل ومعنى الإضافة في تركيب واحد على طريقة الإيجاز، لأنه قد علم أن الكواكب زينة من تعليقه بفعل "زينا" من غير حاجة إلى إعادة "زينة" لولا قصد من معنى التعليل والتوكيد.[١]

٣ - الفصل والوصل:

لقد ورد الفصل والوصل على اطراد المساحة المكانية للنص القرآني هنا من خلال عطف كافة أنواع الجمل على بعضها وتركه وهو أهم ما يميز الخطاب القرآني في سورة الصافات من الناحية التركيبية بوروده في مئة وسبع عشرة آية وهو عدد ينم عن استخدام مميز له.

وقد تحدث القدماء عن الفصل والوصل في كتبهم فعرفه القزويني بقوله" الوصل عطف بعض الجمل على بعض والفصل تركه، وتمييز موضع احدهما من موضع الآخر على ماتقتضيه البلاغة، منها عظيم الخطر، صعب المسلك دقيق المأخذ، لا يعرفه على وجهه ولا يحيط علما بكنهه إلا من أوتي في فهم كلام العرب طبعا سليماً، ورزق في إدراك أسراره ذوقا صحيحاً"[٢].

ومما يدل على نوع من الإعجاز المتحقق في كتاب الله تعالى، هذا التوافق والانسجام الأسلوبي الذي استطاع الفصل والوصل خلقه بين المكونات اللغوية مع موضوعات السورة، وبين التراكيب أنفسها مع بعضها البعض، ونستطيع أن نلمس هذا التداخل الأسلوبي بين البنية الدلالية، والبنية النحوية، بورود حروف العطف بمختلف أنواعها في كل الجمل كنمط تركيبي متميز، في بداية الجملة ووسطها، ونهايتها، وقد جاء أيضا بين الآيات الواحدة تلو الأخرى بغية تحقق بعض اللطائف الأسلوبية والنكت البلاغية، " إذ ليس العطف مجرد ربط ميكانيكي بين

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنويع، ج٢٢، ص ٨٨.

[٢] القزويني.(٧٣٩)،(٢٠٠٠). الإيضاح في علوم البلاغة، ط١، تحقيق رحاب عكاوي، دار الفكر العربي، بيروت، ص ١١٩.

العبارات والجمل بل هو أداة هامة لتحقيق التفاعل السياقي بين أجزاء النص"[١]. وقد ظهر هذا واضحا في عطف الجملة الشرطية على الموصولة، والموصولة على الاستفهامية، والاستفهامية على المنسوخة...

لقد امتد النمط العطفي التركيبي بين عناصر متعددة ذات وظيفة واحدة داخل الجملة الواحدة فالنظم القرآني قد اختار في قوله تعالى:﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا(١)فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا(٢)فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا(٣)﴾ الفاء دون غيرها ليعطف بها على الصافات لتفيد معنى التعقيب، أي ترتيب الصافات فالزاجرات ثم تليها التاليات "تماما كما نقول قام زيد فعمرو أي أن قيام عمر بعد زيد"[٢] . فهي تشارك حرف العطف ثم في إفادة الترتيب ولكنها تفارقه في الاتصال، وهذه نقطة جوهرية في ملائمة التركيب للبعد الدلالي للآية في إفادتها لمعنى الاتصال، وفي إفادتها كما ذهب الفراء إلى أن ما بعدها قد يكون سابقاً إذا كان في الكلام ما يدل على ذلك، وفي عطفها للمفصل على المجمل مما انفردت به ليخرج لنا المعنى أن ما بعد الفاء في إفادتها التعقيب وقوع العطف بعد المعطوف عليه بغير مهلة أو مدة قريبة وقوع العطف بعد المعطوف عليه بغير مهلة أو مدة قريبة فهي " تضم الشيء إلى الشيء كما فعلت الواو. غير أنها جعلت ذلك مُتاسّقا بعضه في أثر بعض وذلك قولك: مررت بعمرو فخالد، وسقط المطر بمكان كذا وكذا فمكان كذا وكذا"[٣]. فالثاني بعد الأول والأمر قريب بينهما والنكتة البلاغية في العطف جاءت في إفادتها الترتيب،مع التعقيب لعطف مفصل على مجمل وهو ما يسميه النحاه بالترتيب الذكري، فالزاجرات والتاليات تفصيل للجملة التي تسبقها وهي الصافات صفا، حيث جاءت بعدها لتبين نوعية هذا المجمل فتشرحه (والله أعلم) وليس كما ذكر المفسرون في تخريجاتهم لمعنى العطف في السورة في ترتيب معانيها في الوجود، أو في بعض الوجود، أو ترتيب موصوفاتها"[٤].

ونلاحظ على عطف المكونات اللغوية داخل الجملة الواحدة أنها تخضع لمنطق تركيبي ودلالي واحد. فالنظام التركيبي المميز للعناصر اللغوية جعلها تشترك في نفس الوظيفة، التي هي

---

[١] حامد، أبو زيد، نصر. (١٩٩٠). مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ٢٣٨.

[٢] المرادي. الجنى الداني، ص ٦١.

[٣] سيبويه. الكتاب، ج٢، ص ٣٠٤.

[٤] انظر،الطاهر بن عاشور،التحرير والتنوير،ج٢٢، ص ٨٣- ٨٥. الألوسي،تفسير روح المعاني،ج٨،ص ٦٦.

العطف لأن العطف "هو عملية اجتماع مكونات ذات وظيفة واحدة في نطاق مركب واحد. وتتم بواسطة أدوات العطف"[١].

وقد انتمت البنية الدلالية للعناصر المعطوفة إلى حقل دلالي مختلف يقوم في الأغلب على نظام المغايرة بين العناصر المعطوفة، فهي من حيث الأسماء (السماء ≠ الأرض، مصبحين ≠ وبالليل، موت ≠ بعث) فرغم توحد العطف وهو الواو في قوله تعالى:﴿ **رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ(٥)**﴾ بين العناصر المعطوفة ولاسيما الأفعال، فإن النظم القرآني مع الأسماء عمد إلى المغايرة مع الاسم رب، رب السموات والأرض وما بينهما / ورب المشارق. ومكمن هذا التخالف الأسلوبي الذي خلقه حرف العطف المشترك في الآية يعود إلى إعادة الاسم رب في قوله (ورب المشارق) في سياق استمر فيه العطف بالواو دون أن يعاد الاسم معها حتى وصل إلى المشارق مشعراً بأنه تنبيه إلى أنه رب واحد لهذه المخلوقات، بتحويل النظر إليها من كل الجهات مشعراً باختلاف خلقه وتعددها الشامل لكل مرئي ومسمع.

والظاهرة الأُسلوبية المميزة للآية الحاوية للعطف، وقد تخللتها صلة الموصول، اندرجت ضمن التكثيف التركيبي للآيات فقد تكون الصلة جملة فعلية بسيطة أو معقدة، وقد تكون جملة اسمية بسيطة، ولهذا الشحن التركيبي ما يقتضيه السياق حسب المعنى المطروح إن كان موضوع العقيدة وإثباتها في مقام المناظرة والمجادلة ما يستدعي التكثيف التركيبي للأفعال والأسماء خدمة للدلالة الأم.

فورود الفعل بصيغة الماضي بعد الاسم الموصول "ما" كان لغرض إثبات وتقرير آثار غضب الله تعالى على الجاحدين في قوله تعالى: ﴿**احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ(٢٢)**﴾ في باب عطف الجمل على بعضها ليجمع حرف العطف شمول الحكم ليس للمعبود فقط بل وللعابد أيضاً.

وقد وردت السمة الأسلوبية للعطف في سورة الصافات بمخالفتها لنمط العطف بين الجمل داخل آيتين كما في قوله تعالى:﴿ **أَوَآبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ(١٧)**﴾ وحتى نستطيع تفسير ما حدث من عدول أسلوبي في جملة العطف ههنا لابد لنا من معرفة أن " العطف علاقة نحوية تقوم على الجمع بين عناصر تشترك في نفس الوظيفة، أي بين كل واحد منها وبين بقية مكونات المركب نفس العلاقة" [٢].

---

[١] محمد شاوش، (١٩٨٢). ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة، مجلة "الموقف الأدبي"،ع(١٣٥،١٣٦)، دمشق، ص ٨٩.

[٢] المصدر السابق، ص ٨٣.

فلما تباينت عناصر المكونات اللّغوية للجملتين اختلفت الوظيفة النحوية بحيث انتقل العطف إلى وظيفة أخرى وانجرّ عن هذا الانتقال مخالفة تركيبة دلالية.

مكمن السر في هذه المخالفة التركيبية تجلت في مخالفة صدارة الاستفهام لتعذر العطف " لأننا عندما نقول أن هذه الجملة معطوفة على تلك معناه أنهما تشتركان في نفس الوظيفة المتمثلة في كون كل واحد منها مكونا مباشراً من مكونات الخطاب" [١].

فلما اختلفت الوظيفة النحوية بين مكونين لغويين أحدهما استفهامي، اختلف نظم الآية وجيء بشحنتين تركيبيتين جمع بينهما حرف العطف وقد خرجه صاحب التنوير بقوله: أن في "رفعه بالعطف على محل اسم (إنّ) الذي كان مبتدأ قبل دخول(إنّ)، والغالب في العطف على اسم (إن) يرفع المعطوف اعتبارا بالمحل كما في قوله تعالى " إن الله بريء من المشركين ورسوله) أو يجعل معطوفا على الضمير المستتر في خبر (إنّ) وهو هنا مرفوع بالنيابة عن الفاعل ولا يضير الفصل بين المعطوف بالهمزة المفضي إلى أعمال ما قبل الهمزة فيما بعدها وذلك ينافي صدارة الاستفهام، لأن صدارة الاستفهام بالنسبة إلى جملته فلا ينافيهما عمل عامل من جملة قبله لأن الإعمال اعتبار يعتبره المتكلم ويفهمه السامع فلا ينافي الترتيب اللفظي"[٢].

فقد تم بين الجمل المعطوفة تداخل أسلوبي بنمطيه الانسجام والتخالف خلق سراً بلاغياً لمن عرف دهاليز التراكيب، فجاء هذا التوافق التركيبي مطابقا للانسجام الدلالي.

فمن خصائص التعبير القرآني أن يعمد إلى الجمع بين دلالات متقاربة في أسلوب واحد كما في قوله تعالى: في حديثه عن أهل النار،﴿ **إِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ(٦٦)، ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ(٦٧)﴾** ، **﴿فهم على أثرهم يهرعون"(٧٠)﴾** ، وفي حوارات أهل الإيمان في قوله تعالى: **﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ(٥٠)﴾**، **﴿أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما أءنا لمبعوثون"(٥٣)، ﴿قال هل انتم مطلعون (٥٤) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ(٥٤)، ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الأَلِيمِ(٣٨)وَمَا تُجْزَوْنَ إِلا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(٣٩)إِلا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ(٤٠) أُوْلَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ(٤١)فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ(٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ(٤٣) عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ(٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ(٤٥)بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ(٤٦)لا فِيهَا غَوْلٌ وَلا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ(٤٧)وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ(٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ(٤٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ(٥٠)قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ(٥١) يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ(٥٢) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ(٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ(٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ**

---

[١] نفس المصدر، ص ٨٨.

[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ٩٩.

الْجَحِيمِ(٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ(٥٦)وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنْ الْمُحْضَرِينَ(٥٧)أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ(٥٨)، " لا مَوْتَتَنَا الأولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ(٥٩)﴾.

وذلك من خلال التزامها بحرف العطف الفاء داخل الآية الواحدة في الحديث عن طعام أهل النار والعطف بثم عند الحديث عن شرابهم ومستقرهم ليشير ذلك إلى التراخي (أي كون حصول ذلك على مراحل)، وكذلك جاءت محاورات أهل الجنة في العطف بالفاء عند إقبالهم على بعض وإطلاعهم على قرينهم لتطلب الأمر التراخي في المدة التي امتدت أيضا في إيجاباتهم غبطة وسروراً.

فمظاهر الانسجام الأسلوبي للآيات وردت في حروف العطف مع غيره من التراكيب فقد تداخل العطف مع الاستفهام، ومع التأكيد مع صلة الموصول، في التعبير الواحد في الجملة الاسمية والفعلية. وقد كان على شكل عطف على جملة اسمية في إخباره تعالى عن أهل النار:

- **ف(حرف عطف) + اسم الفاعل (معطوف) + والجار والمجرور+ مفعول به البطون (لاسم الفاعل مالئون)**

- **ثم (أداة العطف)+ جار ومجرور (خبر مقدم) + ل للتأكيد.**

ولعل هذا التوافق الأسلوبي يعكس هنا توافقا دلاليا قوامه الدلالة المركزية القائمة على إلحاق العذاب المهين الأليم، بمن خالف أمر الله مسترسلاً في اقتراحاته الباطلة.

وقد جاء الهيكل اللغوي للجمل الحاوية لحوارات أهل الإيمان بصورة العطف بالواو بنسبة أعلى من الفاء، لدلالة الجمع والمشاركة وقد اقترنت كمصاحب لها من الأساليب بالشرط والتأكيد كتداخل أسلوبي لانسجام دلالي.

وقد جاء الحديث في تركيب العطف عن الفاعل بالضمير الغائب هم الجمع سواء أكان ذلك مع طائفة المؤمنين أم الكافرين وذلك لأن في تعداد صفاتهم وبيان أحوالهم التي يبرزها التركيب ما يحل محل الضمير فهم مرتفعون بمكانتهم العليا، وهم منحدرون بمكانتهم السفلى. وقد ورد العطف مع الجملة الفعلية الفعلها ماض المسند إلى ضمير الغائب الجمع" هم" ليخرج معها النمط إلى :

- **حرف العطف (ف، و) + الفعل الماضي (أقبل، كنا، اطلع، فراءه) + متممات الجملة**

والملاحظ أن أفعال القسم الأول لأهل جهنم جاءت في أغلبيتها مع الجملة الاسمية البسيطة المثبتة مع تراوح لاستخدام المضارع في تقديم التعليل كونه يفيد التجدد والاستمرار الأمر الذي ناسب تقليل الجزاء في كون أن ضلالهم في سيرهم على آثار آباءهم كان مستمرا. وقد جاءت صورة الجملة الاسمية المثبته معها مكونه بعكس نظام ترتيبها الذي ينص على المسند إليه + المسند في الغالب فخرجت عن النظام الأصلي لتحقيق مقاصد دلالية اقتضاها السياق.

إن الولوج في عمق المكونات اللغوية لهذه الآيات، يبين التداخل الأسلوبي بين الدلالة والتركيب من خلال النمط المتحدث عنه، وهو الانسجام والتخالف الأسلوبي، على صعيد البنية التركيبية الذي نلحظ فيه مخالفة أسلوبية، لأجل تحقيق المخالفة الدلالية من خلال المخالفة التركيبية كما في قوله تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ(٢٢)﴾.

تمثلت في اختلاف الفعلين (ظلموا ≠ كانوا يعبدون) وفي استخدام اسمين للموصول مع كلا الفعلين هما الذين، وما، وتمت المناسبة في الآية بحذف الاسم الموصول الثاني في الشق الأول لمناسبة الاسم الموصول الأول (الذين) فعطف مباشرة على أزواجهم من غير أن يكرر اسم الموصول.

كما جاء ذلك واضحا في المحاورة ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ(٥٣)﴾ حيث حدث الانسجام وتمت المناسبة في حذف أداة الاستفهام والمصاحب للشرط بفعل حرف العطف لمناسبة السؤال الأول أي أءذا متنا و أءذا كنا ترابا .... وحدثت المخالفة في هذا العدول الأسلوبي وهو تداخل الشرط والاستفهام بوردوهما مع بعضهما، فجاءت الواو كحرف العطف المفيد للجمع والمشاركة لتؤدي وظيفة العطف النحوي فتعطف فعل الماضي على الفعل الماضي وبالتالي يتم الانسجام بين الفعلين من حيث الزمن والتركيب داخل هذه المخالفة التركيبية للدلالة على الثبات والاستقرار.

ومما يعد سمة أسلوبية واضحة الملامح بينة القسمات، ذلك الفصل بين البنية التركيبية و البنية الدلالية لصفات كلا الفريقين فالآيات المتحدثة أهل النار، تحدث العذاب المعد لهم في أقسام كان القسم الأول خاص بطعامهم وجاء الثاني ليتحدث عن شرابهم ونوعية ما أعد لهم من حميم وجاء القسم الثالث ليصور حيز المكان الذي هو منزلهم، ثم كان العطف لتصوير أسباب هذا العذاب. في حين كان العطف مع فريق أهل الجنة في محاوراتهم لتصوير تساؤلاتهم مع بعضهم عن النعيم المخلد، ولتصوير تساؤلاتهم عن رفقائهم ممن كان مصيرهم جهنم، وحواراتهم مع أنفسهم في الرضى عن حسن العاقبة لهم. وقد حدث هذا الفصل الدلالي بين الجمل المعطوفة على صعيد عطف الجمل على بعضها في أكثر من آية وليس داخل الآية الواحدة.

ومن خصائص التعبير القرآني عمدته إلى الجمع بين الدلالات المتقاربة في تركيب واحد فقد جمع ثبات وتأكيد حصول هذا العذاب المتنوع في أسلوب التأكيد، من غير أن يكرر الأداة فيها داخل الآية الواحدة لقيام العطف بحل هذه الإشكالية في التكرار، في الوقت الذي كررت فيه الصفات التي كانت شبه خصلة واحدة جُعلت في العطف.

إن نمطي التوافق والتخالف الأسلوبي تجلى بصورة واضحة مع حال أهل النار، وحال أهل الجنة، فحرف العطف الفاء في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ(٥٠)﴾،جاء المحرك الدينمي والفاتح لكل الحوارات التي وردت بعده حيث تفرغ عن الفاء الأولى كل حروف العطف الواردة بعدها فدلت هذه الحروف على اجتماع عناصر دلالية وتركيبية مختلفة، لأن بالعطف على الجمل أو غيرها لا بد أن يجمعها مجال خطابي واحد. أي أن تكون هناك فكرة هي التي تشكل موضوعها المشترك فخرجت هذه العناصر الدلالية والتركيبة مع الفاء العاطفة بصورة:

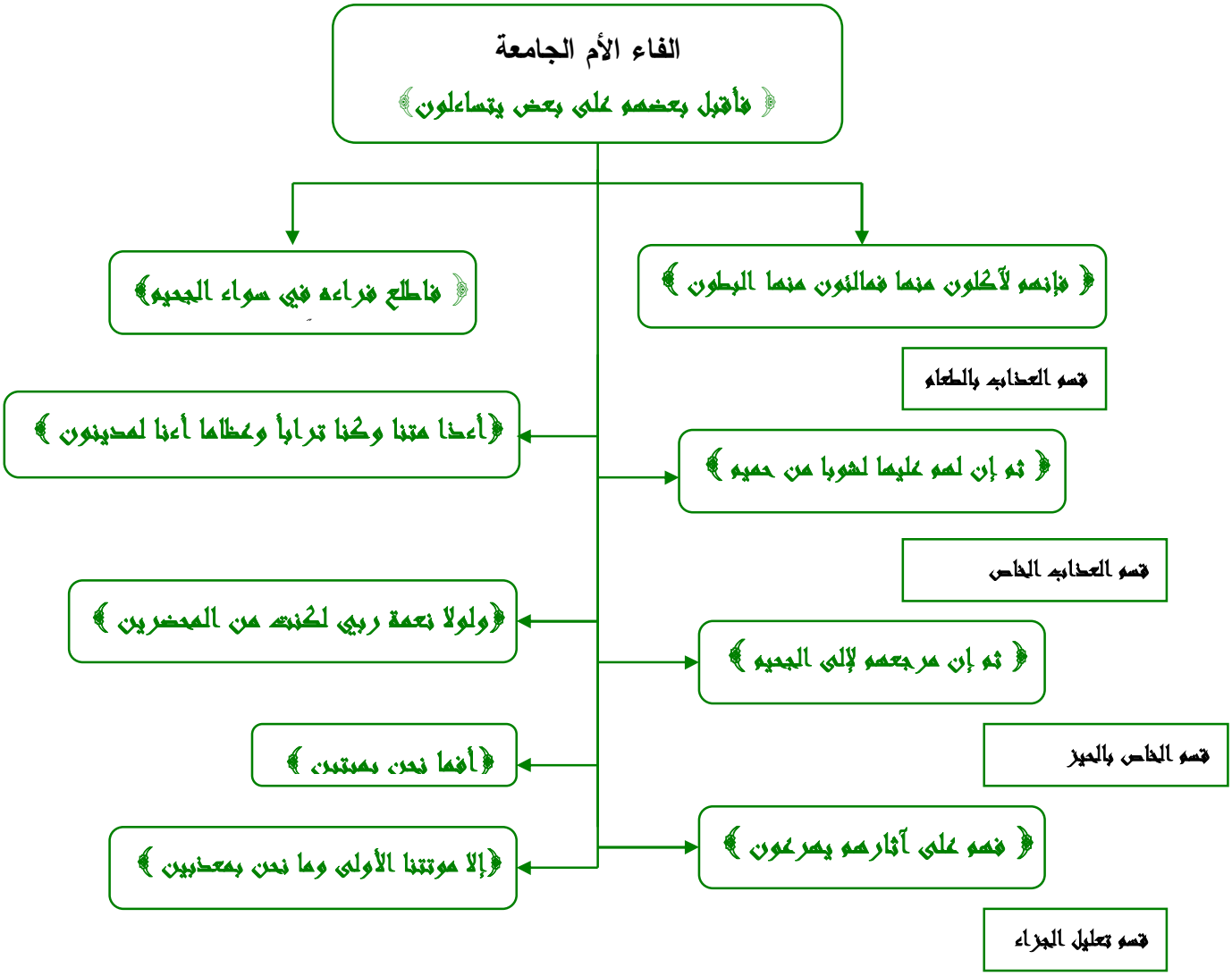

فالنص هنا تجاوز بآلياته اللغوية تلك المقابلة بين مصير المشركين، ومصير المؤمنين المقدم له بتلك الحوارات بالجملة الاسمية التي اقتضت التعيين بدلالة الاختصاص لتجمع طرف المقابلة في المجال الخطابي الواحد.مشكلتا بذلك أوزاجا دلالية متتابعة ومتداخلة تركيبا ودلاليا هي قوله تعالى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ(٦٢)﴾

لقد شكل حرف العطف(أم) في الآية السابقة مفصلا، مهما بتعادله مع الاستفهام حيث خرج معناه إلى الاتصال لأن ما قبله لا يستغني عما بعده ،وقد جاء الطرف الأول في حديث عن نعيم أهل الإيمان بينما فاصلة الثاني كان عن حال أهل الجحيم، حيث تم العطف بين مجاليين دلاليين متبانيين وصلهما حرف العطف أم المعادل.

فالمتأمل في تعدد العناصر اللغوية والدلالية التي ارتبطت بحرف العطف يجد أنها خضعت لنظام دلالي تمثل في العطف بين مجالين متباينين دلاليا ومن هذه الانطلاقة في المزاوجة بين هذين المجالين تولدت القيم الخلافية في سياق النص ،وقد ساعد على تداخل هذه القيم التركيبة والدلالية المتباينة حرف العطف.

لقد خرج حرف العطف مع نمط التوافق والتخالف هنا مع الجملة الفعلية بصورة :

- **حرف العطف+ الفعل(الماضي) + الفاعل+ متممات الجملة**

وجاء مع الجملة الاسمية بصورة التركيب الذي التصق به سواء أكان شرطاً أم استفهاما أم صلة الموصول، والذي نرى أنه في إعادة هذه التراكيب بعطفها على غيرها مجزءاً لهم هنا في إعادة الدلالة مع كل خصلة من هذه الخصل المعطوفة ومضاعفة العذاب لهم أي المشركين، ومضاعفة النعيم والراحة والسرور للمؤمنين.

ومن ورود حرف العطف مع أسلوب الشرط ما جاء على النمط التالي:

١ - الواو (عاطفة) + لولا (أداة الشرط) + اسم (مبتدأ نعمة) + الخبر محذوف + ل واقعة في جواب لولا + الفعل (كان) + متممات الجملة.

٢ - ف (عاطفة)+ (أداة شرط) لولا غير جازمة + لإن حرف مشبه بالفعل+ اسمها (ضمير متصل) + فعل (ماضي) ناقص+ ل واقعة جواب + فعل ماضي.

يقول ابن هشام في معرض حديثه عن وجود " لولا " ترد على أربعة أوجه أحدهما: أن تدخل على جملتين اسمية وفعلية لربط امتناع الثانية بوجود الأولى نحو (لولا زيد لأكرمتك)، أي لولا زيد موجود.

الثاني: أن تكون للتخصيص والعرض فتختص بالمضارع أو ما في تأويله نحو (لولا تستغفرنّ الله).

والفرق أن التخصيص طلب، إصرار وبحث بقسوة وازعاج، بينما يكون العرض لين وتأدب.

والثالث : أن تكون للتوبيخ والتنديم فتختص بالماضي نحو(لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء).

والرابع: الاستفهام، نحو (لولا أخرتني إلى أجل قريب)، ولولا أنزل عليه ملك، قاله الهروي وأكثرهم لا يذكره، والظاهر أن الأولى للعرض وأن الثانية مثل (لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء)[١] .

وبناء عليه حدثت في الآية الثانية مخالفة أسلوبية في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ(١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(١٤٤)﴾ فالأصل في ترتيب عناصرها أن يكون الفعل المقترن بأداة الشرط مضارعاً، إلا أن المتأمل في البنية التركيبية لهذه الآية يلحظ أنها وردت مختلفة الأطراف فجملة الشرط فعلية ماضية، وجملة الجواب فعلية ماضية، فلم عدل التعبير القرآني إلى الماضي؟ ولماذا عدل في هذه الآية، بحرف العطف إلى الفاء وكان في التركيب الأول بالواو؟

نقول إن طبيعة الطرفين المكونين للتركيب الشرطي في الآية جواب الشرط والشرط يبين اختلاف زمن الفعلين الداخلين الذي خلق تبايناً في الانسجام بين زمني الفعلين ومن ثم بتقدير الآية فلولا أنه يكون من المسبحين وإنما جاء ماضياً مع لولا (لولا كان) والأصل مضارع، ذلك أن الفعل هنا يحمل دلالة المستقبل المستمر، وقد عدل به أسلوبيا للغرض البلاغي الخفي الذي قصد نظم القرآن التلميح فيه دون التصريح وهو التوبيخ والتنديم " ليعلم الناس أن الله إذا اصطفى أحدا للرسالة لا يرخص له في الفتور عنها ولا ينسخ أمره بذلك"[٢].

وقد تجلى ذلك في الإشارة لغرض ذكر قصة يونس تسلية للنبي -ﷺ- فيما يلقاه من ثقل الرسالة، بأن ما أثقلت به محمد قد أثقل الرسل من قبلك به، فظهرت مكانته - ﷺ-، المرتفعة في صبره على ذلك وعدم تذمره فهو مأمور باستمراره على الدعوة وهو - ﷺ- طائع لها.

وقد جاء اختيار حرف العطف في هذا التركيب لإفادة التعقيب مع الترتيب مما يحمل شحنة دلالية تومىء إلى وقوع الفعل بغير مهلة أو مدة قريبة، أي أن تسبيحه كان مباشراً بعد حدوث البلاء بالتقام الحوت له، وفي هذا درس رباني تربوي في تعليم البشر بسرعة الاستنفار لله تعالى والتوبة له عند حدوث البلاء وعند ارتكاب ما يغضبه، في حين جاء التركيب الشرطي مع الواو ليفيد معنى الجمع والمشاركة كون أن الحدث كان قائما بين جموع المؤمنين في تحاورهم عن أهل جهنم ولذا عطف كلامهم بالواو فجاء اختيار النظم القرآني للأداة لولا مع حروف العطف من الحسن بمكانه، لأنها تفيد التحضيض "وهو الترغيب في فعل الشيء أو تركه

---

[١] ابن هشام، مغني اللبيب، الباب الأول، ج١، ص ٣٠٢- ٣٠٥.

[٢] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢، ص ١٧٨.

بأسلوب مقرون بالقوة والشدة"[١] وجاء الواو بمعنى التحضيض ومع الفاء بمعنى العرض وهو ما يتلائم مع الأسلوب التربوي.

ومن هذا نجد كيف أن العطف في هذه الآية قد جمع بين ثلاثة معان دلالية شحنها بصورة التكثيف الأسلوبي ليكون تعقيب على فعل بتمليح بالتوبيخ أفاد تحضيضاً بعرض لفعل الشيء من خلال تعدد العناصر اللغوية والدلالية في العطف داخل المجال الواحد.

ومن ما نلاحظه على السورة من تركها للعطف في أغلب مواقف التأكيد، وفي مزجها بين الأساليب من خلال التداخل الأسلوبي بنمطيه والذي يبرز في قوله تعالى: ﴿ **وَبِاللَّيْلِ أَفَلا تَعْقِلُونَ(١٣٨)**﴾ فالعطف شكل طاقم النجاة المسعف للمعنى عند حصول التكثيف الأسلوبي الدلالي المحتمل لأكثر من معنى فكان من الطبيعي هذا التداخل لإبراز تعنت المشركين ووقاحتهم وعماء بصيرتهم إذ لم يقتصر الأمر على غفلتهم، وهو أمر باطنه إنكار لها وباطنه سؤال عنها، بل عقب عليه النفي المشوب بالتعجب والتهكم. هذين المعنيين ما كانا ليجتمعا لولا ربط حرف العطف لهما في الجملة.

ومع ما نجده من تكثيف أسلوبي للعطف في الصورة فقد ترك العطف في موقف التأكيد في سورة الصافات، حين جاءت نهاية القصة المذكورة للرسول المتحدث عنه، ليتم تصديره في بداية القصة الأخرى للتدرج في الخطاب ولإراحة أذن السامع من رتابة الإيقاع الذي اعتادت عليه في العطف في سرد أحداث القصة والمحاورات بين أشخاصها – لتمهيده نفسياً للدخول في القصة الجديدة بإعلامه بقرب نهاية الأولى.

لقد جاء الانسجام التركيبي لهذه الصيغ النحوية لكافة الجمل الاسمية والفعلية بصورها وأشكالها حيث بين التعبير القرآني، اختياره نمط المكونات اللغوية في جمعه بين التجديد والثبات حسب المقاصد الدلالية للسورة وبهذه المزاوجة بين الائتلاف والاختلاف، تولدت القيم الخلافية بين التراكيب النحوية، مما أفرز إنسجاما وتداخلا بين مختلف الصيغ التركيبية الذي ساعد حرف العطف على تداخلها إذ " ليست هناك عدد أقصى تنتهي إليه إمكانيات تعدد العناصر بواسطة العطف كما انه يمكن أن يحصل ذلك بين عناصر ليست من نفس النوع من حيث التراكيب (أي بين اللفظ الواحد والتركيب الجزئي وشبه الجملة)[٢]

---

[١] ريمون طحان. الألسنية العربية، ج٢، ص ٨٨. انظر ابن هشام، مغني اللبيب، م٢، ج٨، ص ١٤٤- ١٤٥.

[٢] محمد الشاوش، ملاحظات بشأن دراسة الجملة، الموقف الأدبي، ص ٨٤.

٤ - الإستفهام :

لقد استند البحث في الجملة الإستفهامية على اختلاف أنماطها على الوصف العلمي للنظام التركيبي المكون للسورة عن طريق تتبعها في إطار البناء النحوي من خلال إحصاء عدد الجمل وتحليلها . لبيان قوانينها وإستخلاص أنظمتها التي خرجت بها عن الاستخبار لمقاصد أسلوبية تقصدها النظم القرآني.

لقد بلغ عدد الجمل الاستفهامية في السورة الكريمة سبع وعشرين جملة توزعت في السورة الكريمة وفق دلالتها التميزية التي قصدتها الآيات الكريمة لمعاني بلاغية وأغراض أسلوبية.

إن إختيار أدوات الإستفهام في السورة الكريمة ، جاء مناسباً لدلالات السورة الكريمة فقد خرج الإستفهام في بعض الآيات عن استعماله الحقيقي إلى نوع من التكثيف الأسلوبي كما في الآيات المتضمنة للمعاني التالية:

١ - الإستفهام المتضمن لمعنى الإنكار:

وقد ورد في سورة الصافات في سبعة عشرة موضعاً نذكر منها:

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ(٨٥)أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ(٨٦)فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ(٨٧)﴾

نلاحظ على هذا التركيب الاستفهامي ، مجيئه في سياق مقول القول ، بأداة الإستفهام " ماذا" المفيدة لمعنى المبالغة، وقد دخلت على جملة فعلية بفعل مضارع وفي موقف تحدى مع تتابع للفعل المضارع الدال على التجدد والاستمرار، الذي خدم بدوره الدلالة المركزية للآية هنا في إنكار العبودية لله وحده المتجددة المستمرة من المشركين.

وتتميز البنية اللغوية لهذا التركيب بدخول الهمزة على الجملة الاستفهامية مفيدة معنى الانكار بالاضافة إلى الأداتين ماذا السابقة وما اللاحقة لها حيث تنقل الإنكار بين ثلاث أدوات الاستفهام لخدمة غرض أسلوبي واحد للآيات الثلاثة.

وهنا يبرز سؤال لماذا كانت الآية الاول باداة الإستفهام ماذا، ثم جاءت أداة الإستفهام في الآية الثانية الهمزة ، ثم كانت في الثالثة الما؟!

إن الغرض الأسلوبي الذي يقتضي ماذا، أبلغ وأقوى في التحدي من ما، فالآية الأولى موقف جائت في موقف تحدي واضح بين سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأبيه وقومه فأنصرف الاستفهام إلى معنى الإنكار الممزوج بالتقريع دون معناه الحقيقي فلذلك دون معناه الحقيقي فلذلك لم يتبع بإيجابة عن سؤال بل استمر التقريع بأداة الإستفهام الهمزة الاوسع أدوات الإستفهام إستعمالاً، وقد خرجت للإنكار الابطالي على من أدعى وقوع الشيء وهو لم يقع ذلك انهم أرداوا آلهة كاذبة وغير حقيقية على الله تعالى فأنكر عليهم وأبطل قولهم بأداة الاستفهام

المؤدية لهذا الغرض. ولما كان المقام مقام توبيخ لم يجيبوا، بل فرعت الآية الثالثة تبكيتاً إلى تبكيت بإستفهام آخر لم يتطلب منهم جواباً "وهو إستفهام أريد به الإنكار والتوقيف على الخطأ [١] بالأداة ما.

فماذا كانت للدلالة على المبالغة في الاستفهام في مواقف التحدي، وهي أبلغ من ما الدالة على الذوات غير العاقلة وصفات من يعقل "فإذا قلت: ما في الدار؟ فجوابة: ثوب أو فرس ونحو ذلك مما لا يعقل، وإذا قلت: مازيد؟ فجوابه: طويل أو أسود أو سمين، فتقع على صفاته "[٢] فجيء بماذا وما بينهما الهمزة، قصد بقوية الشحنة الأخبارية المراد إبرازها في مقام الحكاية في تأكيد الدعوة وعادتها للبعض أقول سيدنا ابراهيم عليه السلاك حسب المقصد الدلالي وبالتالي يكون نمط الجملة الاستفهامية في هذه الآيات كما يلي:

- أداة إستفهام (ماذا)+ الفعل المضارع والفاعل+ أداة الإستفهام (الهمزة)+ الحال المنصوبة من ضمير الفعل تريدون + أداة الإستفهام (ما)+ فعل الظن (فاعله ومفعوله).

وقريب من الآية السابقة قوله تعالى: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ(١٦)﴾

حيث نلاحظ على هذين التركيبين الاستفهامين دخول الهمزة على كلا الجملتين مفيدة معنى الإنكار، إلا أنه تم صرف الإستفهام في الآية الاولى إلى ظاهر الإستفهام فأتبع بالايجابة في قوله تعالى: ﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ(١٨)﴾ ، بينما كان في الجملة الثانية خارجاً عن معناه الحقيقي على لسان المؤمنين، فالقضية المرادة من السورة هي قضية اثبات عقيدة التوحيد، التي يشكل فيها البعث جزءاً مهماً شكل المحور، لذا فقد تمت الإجابة عنه لإبرازه بالاثبات (مع الهمزة الحاضرة الظاهرة) الذي لا محال معه للشك فهم أرادوا بسؤالهم الأول (المشركون) الإنكار لهذا البعث نفيه فجاءت الإجابة بنعم تصديق ووعد وإعلام.

ثم جاء الإنكار في الجملة الثانية مفصل للإنكار المجمل الأول في إنكار البعث وإحياء الناس، لغرض أسلوبي، ذلك أن الأمور قد إتضحت في الآية الأولى ولم يعد سوى الإيضاح والبيان لمجمل بالتفصيل فذكر معه إنا لمدينون كجزء كجزء من متممات يوم البعث الذي أستفهم عنه في الآية الأولى فخرج الخطاب من الإستفهام الإنكاري إلى نوع من التكثيف الأسلوبي إجتمع فيه الرفض والقبول في سياق واحد.

وعليه نسجت الجملة الإستفهامية بنسقها الانكاري على النحو التالي:

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص ١٣٩.

[٢] ابن يعيش، شرح المفصل، م١،ج٤، ص٥.

- أداة الإستفهام (الهمزة)+ فعل ماضي (متنا)+ فعل ناقص (كان)+ خبر (تراباً)+ حرف عطف والمعطوف+ اداة الإستفهام (همزة)+ حرف مشبه بالفعل (إنا)+ اللام المزحلقة+ إسمه.

ومما جاء على صورة الإستفهام الإنكاري قوله تعالى:﴿ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٣٨)﴾ تتميز البنية اللغوية للتركيب الاستفهامي بدخول الهمزة على الجملة مفيدة معنى الانكار والنفي لتفطينهم برؤية قوم لوط التي سبقت قصتهم لقرش العظة فقد كانوا في تجارتهم يمرون ببلاد قوم لوط ، والذي كان مرورهم مستمراً متجدداً اظهره الفعل المضارع ولهذا الغرض إستخدام الهمزة الإستفهام الأنكاري الممزوج وتوبيخه ، فقد كانوا يمرون على قرية عذب الله أصحابها دون ان يسألوا أنفسهم عن سبب العذاب ، فكان التوبيخ قصد لليقاظ والاعتبار لهم.

وبالتالي يكون نظام الجملة هنا :

- أداة الاستفهام(الهمزة)+فـ (العاطفة)+(لا) النافية+ جملة فعلية (فعل مضارع + فاعل)

٢ - الإستفهام المتضمن لمعنى التقرير:

في ما جاء على هذا النمط :

﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩)﴾

قدم الاستفهام التقريري بالهمزة في إثبات المستفهم عنه، وقد افادت الهمزة المتضمنة للاستفهام التقرير تحديد الفاعل بورود ضمير الجمع للمتكلمين بعد الهمزة ذلك أن الاستفهام موجه من القائل إلى المتسائلين وهم المقصودين من الاستفهام وفي هذا المعنى يقول الجرجاني" وإعلم أن هذا الذي ذكرت لك في الهمزة وهي للاستفهام قائم فيها إذا هي كانت للتقرير. فإذا قلت: أأنت فعلت ذلك، كان غرضك ان تقرره بأنه الفاعل"[١].

وقد نظم الاستفهام التقريري في هذا النص لغرض أسلوبي هو التذكير قصد حمل المخاطبين على الابتهاج وللسرور للنعمة الالهية المخلدة فقد يتبادر للذهن أن السؤال عنذواتهم بتصدر الهمزة كون أنها تكون للتصور والتصديق فجيء بها كتكثيف أسلوبي قصد بيان حالهم أي صفتهم فهو استفهام فلعل " نظم هذا التذكر في أسلوب الأستفهام التقريري، لقصد أن يسمع تكرر ذكر ذلك حين يجيبه الرفاق بأن يقولوا نعم ما نحن بميتين....، و"عطف ما نحن بمعذبين" ليمخص الاستفهام للتحدث بالنعمة لأن المشركين أيضاً ما هم بميتين ولكنهم معذبون فحالهم شر من الموت. قيل لبعض الحكماء: ما شر من الموت ؟ فقال: الذي يتمنى فيه الموت"[٢]

---

[١] الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص ٨٨-٨٩.

[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٢، ص ١١٩.

وقد خضع نظام الجملة الاستفهامية في الترتيب إلى الشكل التالي:

- **أداة الإستفهام (الهمزة)+ أداة النفي(ما)+ الضمير)+ الجار والمجرور**
- **أداة الإستفهام(ما)+ الضمير+ جار والمجرور**

وورد من هذا النمط في سورة الصافات قوله تعالى:﴿ **أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ(٦٢)**﴾

فقد أستئنف الاستفهام التقريري في هذا النص للغرض الاسلوبي التنبيه قصد التنبيه بين حال المؤمن وحال الكافر للتشويق بأسلوب حمل المخاطب على الالتفاف إلى حسن العاقبة وسوء العاقبة، وهو أسلوب يندرج ضمن الاستفهام المراد به الانشاء، لأن التنبيه من أقسام الامر، فالهمزة وما بعدها على معنى الخبر وليس الاستفهام الحقيقي فإنك إذا قلت: (سواء علي أحضرت أم غبت) كان المعنى سواء علي حضورك وغيابك، فهي لا تستحق جواباً " لان المعنى معها ليس علىا لاستفهام، وإن الكلام معها للتصديق والتكذيب لأنه خبر"[١].

فالجملة الاستفهامية جائت متضمنة لأداتين أحدهما الهمزة، والثانية ام وأم هذه قد تكون متصلة أو منقطعة وهي هنا مع الهمزة تفيد التسوية فهي متصلة، فأما المعادلة فهي بين الاسمين جعلت الاسم الثاني عديل الاول في وقوعا لالف على الاول وأم على الثاني ومذهب السائل فيهما واحد فأما التسوية فهي أن الأسمين المسؤول عن تعيير أحدهما مستويان في علم السائل أي الذي عنده أحدهما مثل الذي عنده في الآخر"[٢] فبالتالي:

تحققت المعادلة بين اسمي أداتي الاستفهام الهمزة، وأم بحيث تمت المعادلة بين الاسمين (شجرة الزقوم) عديل ذلك، بحيث وقعت الهمزة على ذلك وأم على ذلك (المعطوف عليه) فعادلت أم بين المفردتين. كما أن الجملتين بعد أداتين الاستفهام اسميتان متعادلتان.

وأم هنا الاستفهام بها يجري على وجهين فيكون "إما أن يقدر أم منزل شجرة الزقوم على حد قوله تعالى: ﴿ أي الفريقين خير مقاماً وأحسن نزلا ﴾ فقد ذكر مكانين، وإما أن نقدر: أم نزل شجر الزقوم، وعلى هذا الوجه الثاني تكون المعادلة مشاكلة تهكماً لأن طعام شجرة الزقوم لا يحق له أن يسمي نزلاً" [٣].

---

[١] ابن هشام، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محم محي الدين عبد الحميد ج١، ص١٧.

[٢] ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، ج٢، ج٨، ص٩٨.

[٣] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١٢٢.

فنظام الجملة في معادلة الهمزة الاستفهام التقريري:

- **(الهمزة) أداة الاستفهام + إسم (المبتدأ)+ خبر+ اداة الاستفهام + المعادلة (أم)+ اسم مبتدأ مضاف + مضاف إليه.**

وقد جاءت آية الاستفهام في الاستفتاء قريبة من الآية السابقة في قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (١١)**﴾

لقد جاءت اداة الاستفهام الهمزة متضمنة معنى التقرير " ليحملك المخاطب على الاقرار، والاعتراف بامر قد استقر ثبوته أو نفيه" [١] ولذا تعلق المستفهم عنه بمن عبدوا غير الله، بالهمزة ليؤول الاستفهام إلى مقام الاستنطاق والاستشهاد لهم للاقرار والاعتراف بضعف خلق البشر بالنسبة للمخلوقات السماوية وقد أفادت الهمزة هنا أوسع أدوات الاستفهام التصور ، بتعيين الفاعل الوارد بعدها تبكيتاً وتوبيخاً لهم لتكون الايجابية عنه بالتعيين، باجابتهم المقرة المعرفة، مما يزيد من تبكيتهم بتكذيبهم وانخذالهم ، ويكونذ لك نوعاً مما يلحقهم من غضب الله وعذابه، وهذه فائدة السؤال فيما سبق علمه عند الله.

ويمكن إيجاز نمط هذه الآية في الشكل التالي:

- **أداة الاستفهام (الهمزة)+ الضمير (مبتدأ)+ اسم(خبر)+أم (المعادلة) اسم + خبر (جملة فعلية).**

٣ - الاستفهام المتضمن لمعنى التهكم (التحقير):

وقد جاء في السورة الكريمة في الآية التي خاطب بها سيدما إبراهيم الاصنام وقد تحققت في قوله تعالى: ﴿ **فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩١) مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (٩٢)**﴾

والذي نعتقده هو أن الاستفهام خرج إلى معنى التهكم فالأمر بالاكل والنطق ليس مستعملاً في حقيقته ولكنه في لازمه وهو تذكر كذب الذين ألهوها والذين زعموا أنها تأكل الطعام الذي يضعونه بين يديها ويزعمون أنها تكلمهم وتخبرهم"[٢] فخروج الاستفهام لمعنى التهكم مناسب للموقف ، فالاستهزاء والتحقير جاء محمولين في هذا التركيب الاستفهامي.

ويمكن أن نوجز هذا النظام الغالب على هذه الآية:

- **أداة الاستفهام (الهمزة)+ حرف النفي (لا)+ فعل (مضارع) وفاعله، اداة الاستفهام (ما)+ حرف الجر والمجرور+ اداة النفي+ فعل (المضارع)+ فاعله.**

وقد جاءت ما فيه للسؤال عن ذوات ما لا يعقل.

---

[١] ابن هشام، مغنى اللبيب، ج١، ص١٨.

[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٢٢ ص ١٤٤.

٤ - الاستفهام المعلق لفعل النظر:

فقد تضمنت الجملة الاستفهامية في الآية: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣)﴾ أداة الاستفهام (كيف) التي تدل عن تعلقها بفعل يسبقها على حالته وكيفيته[١] فالاستفهام يخرج عن معناه الحقيقي، لمعان أخرى تفرع الجملة من محتواها الاستفهامي للدلالة، عليه كما في قوله تعالى: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ(٧٣)﴾ ففعل النظر هنا "معلق عن معموله بالاستفهام، والاستفهام تعجبي للتفظيع[٢]والمعنى أنظر إلى كيفية عاقبتهم وهو أمر للتنبيه على عظم وهول العاقبة التي آلوا إليها، وفي الوقت نفسه تعجب من الضالين الذي انذروا ولم ينتذروا كما فعل هؤلاء الذين ألفوا آباءهم، متأمل السامع لكيفية حالهم بالسؤال عنها، وإثاره انتباه السامع بفعل الامر هو مكمن السر الجمالي في الآية، لأن محل النظر هو عاقبة المنذرين، وكيف تكون بذلك إسم للحالة مجرد عن الاستفهام وفي الاهتمام بالحالة والكيفية تهديد للمشركين وتنبيه على قدرة الله في الحاق العذاب وأخذ الجزاء حيث يزداد الموقف تهويلاً وتفظيعاً ما كان ليجتمع مع غيره من التراكيب.

ويكون نظام الجملة على ذلك هو:

- فعل النظر المعلق+ (كيف)+ فعل ناقص (كان)+ اسم وهي الجملة بعد كيف بدل اشتمال.

فانظر إلى هيئة وحال عاقبة المنذرين، فهو تعجب.

أما جملة مالكم كيف تحكمون فقد حصل فيها استفهامان الاول بما والثاني بكيف. وهذا استفهام عن صفات وما يعقل أي شيء حصل لكم، وفي بقاء هذا المعنى هكذا غموض وإبهام فاتبعت بجملة تبين حال الفعل المستفهم عنه إذ هي في الاصل جملة إستفهام للسؤال عن الحال، فتحكمون صارت حال من ضمير لكم. "فحصل استفهامان: أحدهما عن الشيء الذي حصل لهم فحكموا هذا الحكم.

وثانيهما: عن الحالة التي اتصفوا بها لما حكى هذا الحكم باطل ، وهذا ايجاز إذ للتقدير ما لكم تحكمون هذا الحكم ، كيف تحكمونه ، وحذف متعلق "تحكمون" لما دل عليه الاستفهامان من كون ما حكموا منكراً بحق العجب منه فكلا الاستفهاين إنكار وتعجب".

ونظام الجملة في هذا النمط من الاستفهام يكون:

---

[١] ينظر في هذا الموضوع، محمد ، عبد الخالق عظيمة، (١٩٧٢). دراسات الأسلوب القرآن الكريم، القسم الأول، ج٢، مطبعة السعادة ، الممكلة العربية السعودية، ص ٤١٩.

[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٢٢، ص ١٢٩.

- (ما) أداة الإستفهام + خبر (جار ومجرور) + (كيف) اداة إستفهام + فعل (مضارع)+ فاعل.

الثانية لم تتعلق بفعل يسبقها بل جاءت الجملة بعدها بدل إشتمال من جملة استفهام أخرى قد سبقتها في الآية السابقة لها، ولهذه المخالفة الأسلوبية ما يبررها بلاغياً ذلك أن الانكار في الاية السابقة الذي خرج به السؤال بالهمزة أقتضى انتفاء وجود الدليل في حكمهم ، فجاءت جملة "فانكم كيف تحكمون " بدلاً من الانكار الذي يقتضي إدعائهم باصطفاء الله لنفسه البنات على البنين حيث أفرغت الجملة من محتواها الاستفهامي لتؤدي المعنى دون أن تؤدي غرض الاستفهام.

٥ - الاستفهام المتضمن لمعنى التجاهل والاستغراب:

جاء في قوله تعالى: ﴿ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣)﴾ وكما ذكرنا أن الهمزة يجاب عنها بالتعيين والتصديق، إذا كان الاستفهام حقيقياً وتخرج لمعان أخرى إذا كان غير ذلك وقد اختارها النظم القرآني لتضمنها معنى الاستفهام وغيره من المعاني الاخرى التي تخرج إليها وهو هنا الاستغراب والاستبعاد المناسب لمقام الارتقاء في التجاهل فالمستفهم هو الله ، والمستفهم عنه هو الاختيار " أي لو سلمنا أن الله أتخذ ولد فلماذا أصطفى البنات دون البنين أي اختار لذاته البنات دون البنين والبنون أفضل عندكم [١]" ولذا استفهم بالهمزة إذ معها يكون الاستعمال أوسع للمعنى

ونظام الجملة في هذا النمط منا لاستفهام هو:

- (الهمزة) أداة الاستفهام+ العفل (الماضي) ومتعلقات الجملة.

٦ - الاستفهام المتضمن معنى العرض:

والمقصود به هو تضمن الجملة الاستفهامية معنى ألا، أي ألا تطلعون الواردة في موقع واحد في السورة الكريمة في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ(٥٤)﴾ فهل مختصة بالتصديق، والتصديق يدل على الاكتفاء لغرض علم ماحدث وذلك: "إما لأنه علم ان قرينة مات على الكفر...، وإما لانه ألقى في روعه أن قرينه صار إلى النار" [٢]وهذا لفي يظهر لنا ما في هل من لهفة وقوة في العرض لذا فهي أقوى الادوات استعمالاً في مقام العرض الذي جاء في سياق مقول القول.

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير،ج٢٢، ص ١٨٢.

[٢] المصدر السابق، ص ١١٧.

وتأسيساً عليه فإن نظام الآية جاء:

- **أداة الاستفهام (هل)+ ضمير أنتم (اسم)+ خبر (مطعون) الحملة في قحل نصب بقول القول.**

٧ - **الاستفهام المتضمن لمعنى التعجب:**

﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥٠) ﴾

أم هنا منقطعة أيضاً ، حيث أنه لما كان خلق الملائكة أناثاً من الامور التي يتعجب فيها جيء بأم المفيدة للإضراب الابطالي من أمر يتعجب منه لكونه يقبل ولا يقوم على أساس من الصحة، ولعل التعجب في هذا التركيب هو موضع الحال في كنهم قد شاهدوا خلق الملائكة وهذا يثير التعجب لأنه لا ينبغي ولا يثبت لهم والغرض منه التنبيه على أن ذلك من العجب والغرابة لانه قول بلا دليل. فأنوثة الملائكة قد لا تكون مستحيلة فجاءت أم معلنة الاضراب والبطلان، مع نفي الدليل يالتعجب وقد مزج بالانكار الذي بينه الابطال ليخرج نظام الجملة الاستفهامية معها هنا إلى الشكل التالي:

- **أداة الاستفهام (أم)+ الفعل (الماضي)+ فاعله+ مفعوله+ جملة فعلية حالية.**

٨ - **الاستفهام المتضمن معنى الاضراب:**

وقد ورد في موطن واحد في قوله تعالى: **﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ (١٥٦)﴾**

وأم هنا المنقطعة المفيدة للاضراب وقد اشربت بمعنة التوبيخ والانكار ويكون انها جاءت للإضراب، فلا بد أن تكون عن كلام سبقها ابتدء به ثم جاءت لتضرب عنه لشيء آخر لمعنى يكون أن ما قلتموه من كلام على الله بأن الملائكة بناته مضرب عنه مبطل ليس لكم فيه ضجة " سلطان واضحة"، فأم أنقطعت عن الانكار السابق قصد الاضراب الانتقالي من إنكار إلى إنكار، أنكار كونه أناثاً وبناته، وإنكار الدليل عليهم فأفادت أم بذلك معنى بل.

وقد خضع نظام الجملة في هذه الآية في ترتيب عناصرها إلى:

- **أداة الاستفهام (أم)+ خبر مقدم (جار ومجرور)+ مبتدأ (إسم)+ نعت (إسم)**

ويمكن إجمال أنماط الجملة الاستفهامية ومكوناتها كما وردت في السورة الكريمة في هذا الجدول:

أدوات الاستفهام	معاني الاستفهام									زمن الفعل				
	الإنكار	التقرير	معادل همزة	التحقير	التعجيب	الاستغراب التجاهل	العرض	الاستفهام المعلق	الاضراب	ماضي	مضارع	جار ومجرور	مبدأ (اسم)	اسم إشارة
الهمزة		٢		١	١	١				١	٨	٢	١	١
أم		٢	٢						٢	١	١	٢	١	
كيف	١							١		١	١			
ماذا	١							١			٢			
ما	٢	١		٢	١					١		٣	٢	
أو	١												١	
هل							١						١	

أدوات الاستفهام	معاني الاستفهام					
	عطف	نسخ	نفي	الضمير	فعل ناقص	جامد
الهمزة	٥	٢	٢	٢	٢	
أم						
كيف					١	
ماذا						
ما	٢	٢	١			١
أو	١			١		
هل						

ويمكننا بعد هذه الدراسة في مجال الاستفهام في السورة الكريمة الخلوص إلى:

١- خروج الجملة الاستفهامية عن دلالتها الأصلية في بعض الآيات لدلائل أخرى لمقاصد بلاغية عدل بها أسلوبياُ توافقاً مع الغرض الأسلوبي.

٢- استخدام السورة لأدوات الاستفهام بصورة مكثفة لضرورة كثيرة إقتضاها السياق ، غلبة الهمزة عليها بتواتر بلغ عشرين مرة، لأنها أوسع ادوات الاستفهام معناً واستخداماً.

٣- جاءت أدوات الاستفهام في أنحاء الجملة للآية الواحدة، عكس الهمزة التي كانت تتصدر الجملة الاستفهامية وتدخل على مختلف المكونات الأخرى للجملة بقوتها.

٤- المراوحة بين معاني الاستفهام المختلفة على طول مدارج السورة الكريمة من إنكار وتقرير وتهكم وتعجب ..... الأمر الذي خلق تزاوجاً خلافياً تركيبياً ودلالياً.

٥- همنت دلالة الإنكار على الدلائل الاخرى بمعدل بلغ ستة عشرة مرة تقريباً، تماشياً مع موضوع السورة المستند إلى الإنكار بمختلف أشكاله لتفسير الطابع الذي يقوم عليه نظام المقارعة.

٦- بناء الجملة الإستفهامية في أغلب الآيات على الجملة الفعلية حيث ورد الفعل المضارع بنسبة إثنتا عشرة مرة ، وبلغ ورود الفعل الماضي مع ادوات الاستفهام أربع مرات . في حين شكلت الجملة الإسمية بتواترها خمسة عشرة مرة نسبة أقل قليلاً من الجملة الفعلية.

٧- إن المتأمل في الآيات التي ارتبطت بها الجملة الاستفهامية يجدها قد اقترنت بالعالم السفلي عالم الجحود والكفر. كون أن الاستفهام من الاساليب المستخدمة في المقارعة لاثبات الحجة وإقامة الدليل ضمن اسلوب المناظرة.

٥ - الأمر(النفي):

ورد هذا النمط التعبيري في آيات السورة الكريمة مع الجمل الأسمية والفعلية فالأمر جاء كما ذكرنا بنسبة تكاد تكون ضئيلة بالمقارنة مع الفعل الماضي والمضارع، في حين اقترن النهي بالجمل الفعلية والإسمية في خمسة عشرة موطناً موزعة على المساحة اللفظية للسورة كما في قوله تعالى:

﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨)﴾

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣)﴾

﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥)﴾

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥)﴾

﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠)﴾
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥)﴾
﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠)﴾
﴿لا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ (٤٧)﴾
﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨)﴾
﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ (٩٢)﴾
﴿وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٣٨)﴾
﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢)﴾
﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤)﴾
﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤)﴾

ونلاحظ على هذه الآيات توزع أدوات النفي بين كلا النوعين من الجمل فقد نفيت الجملة الفعلية الورادة عشر مرات بلا النافية إلا في موطنيين جائت فيها منفية بالما، في حين نفيت الجملة الأسمية الوردة في سبع مواطن بالأدوات إن، لا ما جاءت معها الما في ثلاثة مواطن واللا في ثلاثة مواطن ايضاً وأن في موطن واحد.

وقد أستوفت هذه الآيات معنى النفي لأنه "لا تكون الجملة منفية بالمعنى اللغوي الذي يترتب عليه الخضوع لنظام معين في تلك الجملة إلا حين تكون مصدرة بأداة النفي، واكثر ما تكون الجمل الماضوية المنفية الاستفهامية حين تكون ترتيبها كالآتي: **أداة النفي+ المسند+ المسند إليه**" [١].

ولنبدأ مع اداة النفي لا الأكثر استخداماً بين أدوات النفي مع الجمل الاسمية والفعلية في السور ولتكون نقطة الإنطلاق مع الجمل الفعلية:

أ- الجملة الفعلية المنفية بلا:

لقد دخلت اللام النافية على الفعل المضارع في السورة ، ولم تدخل على الفعل الماضي وبذلك أتت الجملة الفعلية المضارعة المنفية بلا للاستقبال المتطاول كون أن نهايتها ألف وهو حرف يطول فيه النفس ، فناسب طول المدة "[٢]، فضلاً عن نفيها العام المطلق لجميع الأزمنة ، وقد تجسد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣)﴾

---

[١] أنيس، إبراهيم. من أسرار اللغة وأنظر كذلك حماسة عبد اللطيف، محمد العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دار الفكر العربي، ص ٧٩.

[٢] الزكشي، البرهان، ج٢، ص ٤٢٠-٤٢١.

فقد قامت الآية على التقابل بين الاطراف المتضادة وذكروا، لا يذكرون بمغايرة قامت بين الطرفين استندت إلى التمييز بين النفي (لا يذكرون) ≠ والمثبت الماضي المبني للمجهول ذكروا في أسلوب الجملة الشرطية "وهو أسلوب لغوي ينبني على جملة ميكانيكية من أداة (حرف أو إسم) ومن تركيبين سُمي الاول الشرك، والثاني الجواب والجزاء. قامت الأداة بربط التركيبين أو الشقين ارتباطاً وثيقاً ليحول دون استقلال أحدهما عن الآخر: ينزل الشق الاول منزلة السبب، والشق الثاني منزلة المسبب، ويتحقق المسبب إذا تحقق السبب، وينعدم الثاني إذا إنعدم الاول "[١]

وقد وقعت الجملة المنفية بحرف النفي "لا" بشحنته السلبية، دون وجود الرابط معه وأغلب الظن أن اختفاء رابط طرفي الشرط وجوابه هو مكمن بلاغة هذه الآية وسر جمالها، ذلك أن أهل البديع سموا هذا النوع الوارد في الآية الكريمة نفي الشيء بايجابة ومعناه عند ابن رشيق " أن يكون الكلام ظاهرة ايجاب الشيء وباطنه نفية بان ينفي ما هو من سببه كوصفة وهو المنفي في الباطن، عبارة غيره. أن ينفي الشيء مقيداً والمراد نفيه مطلقاً مبالغةفي النفي وتأكيد له"[٢].

وواضح من هذا التقسيم والتجديد أن نفي الشيء في لآية (وهو عدم حصول أثر تذكرهم) وإن كانوا قد ذكروا ورد في سياق الايجاب في القسم الاول، وهو ظاهر في قوله " وإذا ذكروا " لأن التذكير شيء إيجابي ولكن العدول إلى أداة النفي بعد الايجاب هو الغرض الدلالي من النفي مبالغة فيه وتأكيداُ له، فظاهر النفي الايجاب (وهو التذكر) وباطنه السلب (وهو عدم التذكر) ولعل السر في جمال هذه الآية انها جمعت بين الايجاب والسلب في سياق واحد، وتقديم الايجاب على السلب له من الحسن والرونق ما لا يخفي.

إذ الذين كفروا وأعرضوا عن التأمل في ذكروا به قدمت الآية لهم في البداية ما كانوا عليه لتشويقهم ، " لا يذكرون" إذ أن التذكر قد حصل لهم ولكنه تذكر يسيئهم لعدم حصول أثره فيهم، ففي هذا الاستئناف تهكم بهم ، لان إبتداء مطمع في الهداية والاستجابة وآخره مؤسس بالوعيد والتهديد .

وقد جاء حرف النفي بمثابة الفاصل والتمييز بين كلا الحالتين وفي هذا ايماء إلى التمييز بين حال المؤمن في سماعه واتعاظه بالتذكر، وحال الكافر في شدة إعراضه عن التأمل بما وعظ به، ولهذا لجاء التعبير القرآني إلى عدم التصريح بالفاعل والغرض متعلق به قصد تجاهله في الفعل

---

[١] ريمون طحان، الألسنية العربية، ج٢، ص ٩١، وأنظر أبن يعيش، شرح المفصل، م٢، ج٩، ص ٤٤-٨٨.

[٢] السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج٢، ص١٠٠.

البني للمجهول في القسم الاول ليبرز تجاهل المشركين لمذدر التذكر في إعراضهم عن المسموع وقد يساعد على صواب هذا التخريج أداة الشرط إذ " تأتي للمقطوع لمصدر بوجوده". [١].

وقد خضعت الآية في ترتيب عناصرها اللغوية إلى نظامين نظام النفي المغلف بنظام الشرك فجاء التركيب كالتالي:

ج ن [٢]= اداة النفي لا + فعل المضارع+ فاعله

ج ش= أداة الشرط + الشرط + الجواب

ج ش= إذا (ظرف)+ ذكروا+ لا يذكرون

الشرط جواب الشرط

لا محل لها جواب الشرط غير جازم

وقريب من لآية السابقة قوله تعالى: ﴿لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٨)﴾ وهنا نجد التعبير القرآني قد يستخدم أداة النفي لا أقدم حروف النفي في اللغة العربية متلوه بالمضارع وبذلك اختصت هنا بنفي زمن المستقبل بأسلوب الجملة الفعلية المنفية وقد ارتبطت عموماً في سياق العالم السفلي عالم الكفر والانكار فتداخلت الآية أسلوبياً من حيث بنيتها النحوية في ورود النفي ، وبنيتها الدلالية ، إذ أن لا النافية مع الفعل المضارع في الجملة الفعلية قد جاءت في السورة مقترنة بعالم الكفر، ولهذا أكثر النفي بها دون غيرها من أدوات النفي كون أن صيغتها الصوتية توحي بمعنى التأبيد في إطلاق الألف في نهايتها وهذا ما يتوافق مع ظلالهم ومنعهم المطلق كما هو وارد في الآية.

وقد خرجت الآية من مجرد النفي إلى معان أخرى تطلبها سياق الآية مع حرف الجر (إلى) ليتعدى المضارع بذلك إلى معنى ينتهون للمكان المطلوب الذي يشكل مبتغاهم والدليل على معنى النفي الدائم للتأبيد في الآية تخصيص المنفي وهو مكان الملأ الاعلى بالتعريف لدلالة الاستغراق.

وقد جاء في القسم الثاني من الآية الكريمة الفعل المضارع المثبت المبني للمجهول مقابل الفعل المضارع المبني للمعلوم المنفي بلا، وذلك لأن القاذف معلوم وهم الملائكة المذكورين بالقسم الأول بمصطلح الملأ الأعلى فلما كانت الآية دالة بمكوناتها اللغوية على مشهد حفظ

---

[١] للمزيد في هذا الموضوع أنظر: ابن يعيش، شرح المفصل، م٢، ج٩، ص ٤١، ٨٨/م١، ابن هشام، مغنى اللبيب، الباب الأول، ج١، ص ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤.

[٢] ج، تعني جملة، ن تعني نعني، ش تعني شرط.

السماء بمنع الشياطين من التسمع أستغنى عن ذكر الفاعل، إذن " فالجملة المضارعية المنفية : الصورة الشائعة لهذه الحملة تكون على النحو الآتي:

- **أداة النفي + المسند+ المسند إليه**" [١]

ومن هنا خضعت هذه الآية في نظامها إلى الترتيب التالي:

- **أداة النفي (لا) + المسد (الفعل المضارع المضعف)+ المسند إليه (فاعل ضمير المتصل)**

ب-وأما الجملة الأسمية المنفية بلا:

فقد وردت في السورة في ثلاثة مواطن كما في قوله تعالى: ﴿**لا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ** (٤٧)﴾

فقد تضمنت هذه الآية أداة النفي لا وقد دخلت على نكرة (غول) فأفادت انتفاء هذا الجنس ورفعه لوقوع الفاصل بين النكرة وبين حرف النفي بالخبر شبه الجملة.

واللافت للانتباه في بناء عناصر هذه الجملة في الآية الكريمة أنها لجأت إلى العدول التركيبي في بناء عناصرها لأغراض بلاغية ومقاصد دلالية الامر الذي وجه بنائها وتركيبها اللغويين ، عذا البناء والتركيب اللغوي المعروف إلى آفاق دلالية تميزية.

لقد قصد التعبير القرآني بعذا التوزيع للبنية مع حرف النفي في النص بتقديم المسند إليه على المسند إظهار براعة النظم في ذلك ، ذلك أن حرف النفي (اللا) تمنيز عن غيره من حروف النفي الأخرى باختصاصه بالدخول على الخبر والعطف والنعت والحال، وعند دخوله عليها (وجب) تكرارها لأنه يراد عند ذلك اشتراك أكثر من حاله في النفي ، فكات استعمال (لا) مع غول أي الخمر، ومع (هم ينزفون) المؤمنين سمة أسلوبية لحرف النفي ما كانت لتحصل مع غيره من حروف النفي الأخرى.

إن تقديم المسند إليه ، جاء قصد تقويه الخبر وحصره ، حيث أن تصدير الجملة المنفية في الشق الثاني بالاسم كان لأغراض بلاغية تجاوزت البناء النحوي المعتاد (المسند" فعل"+ المسند إليه "الفاعل") إلى (المسند" إسم"+ المسند "الفعل")، وذلك لتخصيص المسند بالخبر الفعلي أي بخلاف شارب الخمر من أهل الدنيا، وبخلاف خمر الدنيا في الشق الاول الذي جاء تجاوز البناء النحوي فيه بتقديم المسند إليه لخبر المشبه الجملة على المسند". [٢].

---

[١] أبراهيم أنيس، من أسرار اللغة العربية، ص ٣١٧. وأنظر السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ج٢، ص ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢.

[٢] للاستزادة في الموضوع أنظر، يحيى العلوي الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، م٢، ج٢، ص ٢٦، ريمون طحان ، الالسنية العربية ، ج٢، ص ٨٦-٨٧.

وفي هذا العدول بتقديم المحدّث عنه غاية أسلوبية جرت في مستوى البنية العمية للتركيب على المستوى الدلالي عميق المعنى ، فتمتع المؤمنون بالنعيم المعد لهم في الجنة المتمثل في جزئية منه هي في الشراب المعدّ لهم تجاوزه النص بموكناته اللغوية على المستوى الدلالي السطحي، إلى المستوى الدلالي عميق الغور في تنبيه السامع إلى أهمية الشحنة الأخبارية المتضمنة لمعنى الأخبار عن طبيعة ونوعية هذا الجزاء، أنها لا تفسد العقول ولا تؤدي إلى الهلاك وهو ما يفهم من أداة النفي المتصدر مع المسند إليه.

كما أن العدول عنا لاخبار العادي إلى الإخبار بالمفاجأة التي خلقتها الشحنة الأخبارية غير المنتظرة بخرق الآية للقواعد المختصة بالجملة الأسمية مع حرف النفي (اللا)، ولدت دهشة لدى السامع حيث أنه عند سماعه قوله تعالى بيضاء لذة للشاربين لا يتوقف عندها كون أن الكأس التي رمزت للخمر خلقت تصوراً عنده عن خمر الدنيا وهي أيضاً تكون بيضاء ، ولكن عندما عدلت الآية أسلوبياً وأنعطفت دلالياً بالجملة المنفية بلا بقوله جل جلاله: ﴿**لا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ** (٤٧)﴾ شكلت نقطة إنحراف للأسلوب من دلالة الصورة الاولى إلى دلالة الصورة الثانية وعندها تبدأ التساؤلات التي تخلق تأملاً عند السامع تبدأ معها المحاكمة العقلية والمسألة الذهنية في التنبيه إلى بون حال العالمين عالم الكفر السفلي وعالم الأيمان العلوي بكل أبعادهما.

حيث يمكننا أن نمثل لهذا المدلول الوارد في الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿**لا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ** (٤٧)﴾ من خلال حرف النفي اللا الذي ولد تقابلاً مزدوجاً إستند إلى ركين مكين، وهو تداخل طرفي التقابل وتفاعلهما في سلسلة صوتية متلاحقى متتابعة بين خمر الجنة ، وأصحابها ، استندت على حرف النفي الذي ولد شحنة متعادلة إليجابية بين الاطراف خلقت تقابلاً دلالياً مكثفاً مكملاً لبعضه تحققت به المفاجأة الأسلوبية ليخرج على هذا النمط:

المسند إليه (الجار والمجرور خبر المبتدأ + مسند (مبتدأ إسم)

اللا منتظر

المسند إليه (ضمير المبتدأ + المسند (جملة فعلية من الفعل المضارع ونائب الفاعل)

اللا منتظر

وقد جاء الفعل المبني للمجهول لعدم تعلق الغرض بالفاعل، كما بينت الآية لتصوير الموقف وتجسيد المشهد.

وقد جائت اللا في قوله تعالى:﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥)﴾ مفيدة لنفي الجنس، بدخولها على النكرة قصد المبالغة ولذا لم تكرر فهنا المراد نفيه غير مشترك بأكثر من حاله إنما التركيز على نفي تعدد الآله وحصره بالله تعالى وحده وذلك للاهتمام بهذا الخبر وقد شكلت إلا بذلك المفصل، إذا لو تركت اللا من غيرها لكانت الآية بمثابة قوله تعالى " لا تقربوا الصلاة" فجاءت لا شاحنة للدلالة المركزية للآية مع حرف النفي حيث احتاج النفي إليها لكي يخرج نمطها هنا بصورة :

- **أداة النفي (لا)+ إسم (إله)+(إلا)+إسم (الله) (بدل من الضمير المستكن في الخبر المقدر)**

وإذا أنتقلنا إلى ثاني ادوات النفي في السورة الكريمة كانت(الما) الواردة مرتين مع الجملة الفعلية وثلاث مرات مع الجملة الاسمية حيث أن ما إذا دخلت على الجملة الأسمية فهي تفيد الحال على الإطلاق ، ومن أمثلة دخولها على الجملة الفعلية قوله تعالى :

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩)﴾

﴿قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠)﴾

إذ ان النظام الغالب على ترتيب عناصرها هو:

- **أداة النفي (ما) + فعل (مسند) فاعل (مسند إليه)+ متممات جملة**

وقد جاءت مرة مع الماضي ومرة مع المضارع لتصرف المضارع بنفيها للحال [١] وهي تنفي الفعل الماضي وعند ذلك تكون لنفي الماضي القريب من الحال معتمدة على نظام المراوحة بينهما وذلك لاختلاف دلالتهما، فالمراد بالتجدد والحدوث في الجملة الفعلية أن التجدد في الماضي وقوعه وحصوله، وأن التجدد في المضارع تكراره واستمراره ، فدخلت ما لتنفي ذلك الوقوع وذلك التكرار مع الافعال.

ومن التميز الذي اختاره التعبير القرآني لمكوناته اللغوية في الجملة تتابع النفي في الآيتين بلم التي تدخل على المضارع فتقلبه إلى زمن الماضي وما التي حكمت بعدها لتنفي الفعل الماضي فأفادت الأداتين الدلالة على المضي هنا ليبرز السؤال لماذا نفيت الجملة الأولى بلم والثانية بما؟!

لقد جاء الحديث في سياق رفض الايمان من قبل المشركين وقد سلط النفي على فعل الكينونة دون أن يكون على الإيمان أي دون أن يقال: بل لم تؤمنوا" مشعراً بأن الإيمان لم يكن من شأنهم، اي بل كنتم أنتم الآبين قبول الأيمان "[٢]ولم تفد نفي المستقبل لفظاً و الماضي وهو ما

---

[١] انظر، ابن يعيش، شرح المفصل، ج٢، ص ١٩٩.

[٢] ابن عاشور، التحرير اولتنوير، ج٢٢، ص١٠٥.

يتلائم مع السياث لكون عملهم في الماضي كان مستمراً ف(لم) لا تتقيد بزمن من أزمنة الماضي عكس (ما) التي تأتي لنفي الماضي القريب من الحال والتي ترد رداً على كلام، وهو هنا كلام الزعماء في ردهم على الدهماء، هذا فضلاً على أن دخول (ما) على الماضي ، ولم على المضارع تفيد في دلالة الماضي انقضاء الأمر وتجدده فالفعل (كان) دل على انتهاء الحدث، وتكونوا يدل على التجدد والاستمرار فعند دخول ما عليه (أي على الماضي) : دل على انتفاء الحدث بصيغة المضي.

وعند دخول (لم) على المضارع تكونوا دل على انتفاء الحدث في المضي،أي أن الفعل لم يحصل في الماضي على تطاول المدة واستمرارها بدخول لم وهذا يعنيأن الآية المنفية بما كانت رداً من الزعماء على الذين يقولون إنهم هم السبب في ضلالهم ووردهم جهنم فردوا عليهم هؤلاء الزعماء بما وجاءت معها من الاستغراقية للدلالة على أنه لم يحصل شيء من ذلك ، بخلاف الآية الأولى المنفية بلم والتي لم تأتي رداً على من قال أنهم ليسوا مؤمنين لكن إخبار عن أنفسهم بذلك.

والمهم عندنا هنا أن الآية المنفية بما جاءت بصيغة الماضي لأن الامر حدث وانقضى مرة واحدة، وهو تسلط الزعماء عليهم، وأما الآية المنفية بلم فهي في صدورهم عن طريق والهداية ، وهو أمر يتكرر ايمانهم في الماضي، فلما كان الأمر شأنه التجدد والتكرار نفي بلم مع المضارع ، ولما كان الامر التسلط الذي حدث مرة واحدة نفاه بما مع الماضي.

وبهذا ارتبطت البنية التركيبية بالبنية الدلالية بتركيبين جاء على صورة واحدة .

وقد ردت (ما) مع الجملة الاسمية في ثلاثة مواطن وهي:

﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٢)﴾

﴿ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤)﴾

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨)﴾

لتفيد نفي الحال على الإطلاق ، متنوعة في الدلالة الايجابية السلسة بحسب السياق الواردة فيه حيث جاء في سياق عالم العلويين مع الملائكة والمؤمنين في الجنة ، وعالما لسفليين مع المشركين.

ومن التنوع الاسلوبي للبنية اللغوية اللسورة جاءت ما النافية هنا العاملة عمل ليس وقد امتزجت مع انواع أخرى من التراكيب كما في قوله تعالى: **﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨)﴾** حيث مزج بينها وبين الاستفهام وفي ذلك زيادة لمعنى التأكيد وقد خرج نظامها التركيبي إلى الصورة التالية:

- **أداة النفي (الما)+ اسمها (ضمير مستتر)+ جار ومجرور خبرها العاملة عمل ليس.**

فالما أوسع أستعمالاً إلا بنفيها للجمل الأسمية والفعلية عكس ليس المختصة بالاسمية وهي أقوى في النفي منها وجاءت على صورتها هنا وقد اقترن خبرها في الغالب بالباء الزائدة الدالة على معنى التوكيد.

وأما إن آخر أدوات النفي فتدخل على الجمل الأسمية والفعلية، وقد دخلت على الجملة الإسمية في السورة وهي النفي الحال عند النجاة [١].

وقد اقترنت إن بـــ إلا مما زاد إليها من معاني القوة والتأكيد، ذلك أن في القصر قوة ، وهذا يدل على قوتها في النفي، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ(١٥)﴾ فالنظم القرآني استعمل إن فيما فيه زيادة توكيد في التفي وهذا ما يدل عليه السياق:

فقد ذكر:

١- أنك تعجب ويسخرون

٢- وأذا ذكروا لا يذكرون

٣- وإذا رأوا آية يسخرون

٤- وذكر أستفتائهم في إعادة الخلق عند البعث.

وهذا يبين درجة التكذيب الشديدة عندهم فقوة التكذيب والانكار لهم كانت من القوة التي أكدها القرآن بالنفي بأن ذلك أنها للتوكيد .

فالصورة العامة للتركيب بأن النافية هي:

إن (حرف النفي)+ إسم الغشارة (مبتدأ)+ أداة الحصر (إلا) + خبر المبتدأ (سحر)

وأما الأمر الوارد بصيغة فعل الامر ، فقد تواتر في السورة في سبعة عشر موطناً وهو طلب الفعل بصيغة مخصوصة [٢] وصيغته (إفْعل) كما جاء في الجمل التي قال الله تعالى بها:

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (١١)﴾ قريب

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ (١٨)﴾ الحال الاهانة والاذلال

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢)﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ

﴿الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ (٢٤)﴾ التهديد والاهانة

﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ (٦١)﴾ مستمر لا ينقطع إلى قيام الساعة ، الارشاد والتوجيه

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ (٧٣)﴾ التعجب

﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٧)﴾ التهديد

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠)﴾ الدعاء

---

[١] ابن يعيش، شرح المفصل، ج٢، ص٢٠٠ .

[٢] المصدر السابق، ص٢٠٠.

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢)﴾ الاباحة

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ (١٤٩)﴾

﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧)﴾ تعجير

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٤)﴾ مستمر – تهديد

﴿وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٥)﴾ مستمر – تهديد

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٨)﴾ مستمر – تهديد

﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٧٩)﴾ مستمر – تهديد

وما نلاحظه على هذه الآيات أن فعل الأمر جاء مقترناُ بالعالمين وإن كان إقترانه بالعالم السفلي أكثر بنية منا لتواتر، وذلك أمر طبيعي لكونه يأتي من إعلى إلى أسفل في حركة عامودية، ففي حين انه خرج إلى معان أخرى وظفت حسب الاغراض البلاغية عند اقترانه خصوصاً بعالم الإيمان ، وبالتحديد الفئة المؤمنة.

وقد خرج الأمر في قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠)﴾ ،من الأمر الحقيقي إلى معنى الدعاء، إذا المقام لا يتطلب صور معنى الامر كون انه صادر من أدى إلى أعلى فالبشر مهما علا قدره ومنزلته لا يصلح ولا يقبل منه أن يامر الله تعالى فخرجت الآية من معناه الحقيقي إلى معنى الدعاء للغرض الأسلوبي المتحور في معنى الامر.

وقريب منه قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٥٧)﴾

وهذا الامر قد خرج إلى معنى التعجير، إذ ليس المراد طلب ذلك منهم بل إظهار عجزهم فخرج الامر من معنى الطلب إلى معنى يؤدي إشلال حركتهم فخرج الامر من معنى الطلب لبيان ضعفهم وقصور حجتهم بالاتيان بالتعجيز بقالب أشار إليه حسم الموقف فيه.

ومن الاغراض الأسلوبية لنمط الجملة الفعلية بصيغة الامر ما جاء فيه الامر دالاً على المستقبل المستمر كقوله تعالى: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ (٦١)﴾

وقد دل في الآية الكريمة على المستقبل المستمر لفعل لم يكن حاصلاً حيث مزج إستعمالاً الامر الحقيقي باستعماله البلاغي لمقصد دلالي تمركز في طلب فعل لم يكن حاصلاً وطلب الاستمرار عليه، فقد طلب الله من المخاطبين العمل لنوال هذا الجزاء بصيغة الامر للارشاد الصادق لهم بالواجبات والمندوبات لنواله.

ومما تجدر الإلشارة إليه في فعل الامر بصيغته تخليصه للمعنى بالصيغة الملائمة للغرض المراد في فعل الاستفتاء فالاستفتاء طلب الفتوى...، وهي إخبار عن امر يخفي عن غيره الخواص في غرض ما وهي إما إخبار عن علم مختص به المخبر...، وإما إخبار عن رأي يطلب من ذي رأي موثوق به والمعنى: فأسألهم عن رأيهم فلما كان المسؤول عنه إمراً

محتاجاً إلى إعمال نظر أطلق على الاستفهام عنه فعل الاستفتاء" [١]حيث خلق فعل الامر لصيغة توافقاً وانسجاماً أسلوبياً لهذه المكونات اللغوية للآية الكريمة جسم تطابقاً دلالياً طريفاً.

فزمن فعل الامر خال من الدلالة على زمن معين في السورة الكريمة، وخال من الدلالة على معناه الحقيقي فهو هنا لا ينحصر لا في دلالة ولا في زمن.

٦ - النداء

لم يرد النداء في القرآن الكريم إلا بالأداة يا كما هو ثابت عند النحاة، وقد ورد في سورة الصافات في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ(٢٠)﴾ جاء مشعراً بالنداء بصورة الفعل في قوله "ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون" ، "وندينه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين" ربي هب لي من الصالحين"

فالنداء قد تدرج في السورة الكريمة من الحرف يا لوحده، ثم الفعل نادينا لينتهي بتركيب جمع الحرف والفعل وإن قدم الفعل على الحرف في قوله وناديناه أن يا إبراهيم وحذف حرف النداء في رب، وقد ذكر ابن يعيش في شرحه أن حرف النداء يا" مع "الأحرف الثلاثة" التي هي "يا" و "أيا" و"هيا" أواخرهن ألفات، والألف ملازمة للمد، فاستعملت في دعائهم لإمكان امتداد الصوت، ورفعه، وليست الياء هنا في (أي) كذلك، لأنها ليست مدة، والهمزة ليست من حروف المد فاستعملت للقريب".

وقد ورد حرف النداء محذوفاً لتحقيق غرض أسلوبي، كما في قوله تعالى "رب هب لي من الصالحين"

إن عدول الأسلوب القرآني إلى نمط التركيب النداء بحذف أداته كان لمقاصد دلالية اقتضاها سياق الآية، فقد جاء الكلام في سياق الحديث عن هجرته -عليه السلام – بعد تركه لأهله، فالمقام مقام عجلة، وجاء الحذف متلائماً مع غرض الإسراع بقصد الفراغ من الكلام بسرعة، للحديث عن الغرض المطلوب والمهم فمقام الدعاء هنا يتطلب العجلة.

ولعل تصرف التعبير القرآني في عناصر النداء بالحذف كان لغرض الإيجاز مع السرعة، فالمقام مقام إيجاز واختصار، لا مقام إطالة، فبعد إخباره بالهجرة -ﷺ- في الرحيل، استشعر سيدنا إبراهيم قلة الأهل بقوه كونه سيكون وحيدا فذكر ما أراد بإيجاز وبسرعة لله تعالى لتأجج مشاعره – ﷺ-، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى أن سياق سورة الصافات سياق إيجاز واختصار. فجاء الحذف متمشياً مع الإيجاز في الكلام وهو المناسب لموقف العجلة التي اتسم بها السياق.

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ٩٤.

إن هذا التوافق والانسجام بين النمط التركيبي المقصد الدلالي أومأ إلى قرب العلاقة بين المُنادي من المنادى قرباً معنوياً، فكأنه صلى الله عليه وسلم (سيدنا إبراهيم) لقربه منه لا يحتاج إلى واسطة لمن ينادى عليه، وقد جعله مضافاً ليكون تقدير الكلام "يا ربي" أي نداء لربي بمعنى يا ربي وفي هذا ما يشعر بمعنى القرب. وقد جاء نمطه بالصورة التالية:

- أداة النداء المحذوفة+ منادى مضاف + مضاف إليه (محذوف) + متممات الجملة.

كما أن ورود النداء بصورة الفعل كان تمشياً مع المعنى الذي يقتضيه السياق، في الجمع بين التجدد والحدوث، الذي تفيده الجملة الفعلية والثبات الذي تفيده الجملة الاسمية، فالغرض الأسلوبي تطلب العدول عن التركيب الندائي الأصلي إلى غيره لإفادة معنى الاستمرار كون أن سيدنا نوح جاهد في دعوة قومه التي استمرت لسنين عدة طلب الله فيها كثيراً لأكثر من مرة بصورة الإلحاح الذي جاءت المكونات اللغوية للآية الكريمة لتعبر عنه ولتصوره بصورة الفعل لما يفيده من غرض بلاغي يدل على التجدد المستمر الذي لائم دعاء سيدنا نوح لله تعالى، والذي ما كان ليفيده تركيبه الأول مع جو السورة القائم على الاختصار فلما اختلفت الوظيفة الدلالية النحوية بين المكونين اللغويين اختلف نظم الآية.

وقد جاء نمط النداء هذا ليخرج على الصورة التالية:

- المسند (الفعل الماضي) + المسند إليه (فاعله نوح) + متممات الجملة....

ومن مواطن النداء في السورة ما جاء لتصوير حسرة الكافرين في الآخرة، واعترافهم بكذبهم وباطل ما كانوا عليه باستدعاء النص للنداء يا ويلنا، فإن في طلب الويل من قبلهم وندائهم عليه إقرار بحقيقة كونه مرأى أعينهم، ولكنه بعد فوات الأوان ولذا استدعوا الويل دون غيره لمعرفتهم بسوء عاقبتهم حيث أنهم أصروا في يوم لا تنفع فيه التوبة ولا الشفاعة، لا يوجد فيه إلا انتظار المصير المحتوم الذي جسد حجم هوله وفظاعته التركيب بأداة النداء مع المنادى بما فيها من إطلاق ممتد مع امتداد الآلفات جعلتهم ينادون على ويلهم بها، دون حذفها مع النكرة لقصدهم بندائهم هذا الويل والذي هو نكرة في الأصل وقد جاءت معه دون المعرفة، لأنهم يقرون هنا سوء العاقبة، ولكنهم يجهلون نوعيتها أي ما أعد لهم من فنون العذاب فهي غير معينة لهم ولذا كان ندائهم بالنكرة. في نمطها المميز على صورة:

- أداة النداء (يا) + منادى "ويلنا"

وبقي لنا أن نقول:

إن تميز التعبير القرآني في اختيار نمط المكونات اللغوية، خلق انسجاماً تركيبياً لهذه الصيغ النحوية رتبها في سياقاتها لخلق قيم خلافية بين التراكيب أفرزت انسجاماً وتداخلاً أسلوبياً على صعيد العبارات.

الخلاصة

١. احتواء سورة الصافات على الجمل الاسمية والجمل الفعلية على اختلاف صورهما، وأشكالهما إذ "تستخدم الجمل الفعلية في القرآن للدلالة على التجدد والحدوث، والاسمية للثبوت والاستمرار، والمراد بالتجدد في الماضي حصوله، وفي المضارع تكراره" [١].

٢. وردت الجمل الاسمية مع العطف في حديثها مع المؤمنين "أهل الجنة" ودلالة ثبوتهم وبقائهم على هذا الجزاء، ووردت الجملة الفعلية مع الكفار (أهل جهنم) لدلالة التجدد والاستمرار لعذابهم.

٣. أدت المزاوجة بين أنماط الاختلاف والائتلاف للجمل، على تولد القيم الخلافية بين التراكيب النحوية، مما أفرز انسجاماً وتداخلاً بين الأساليب في مختلف الصيغ التركيبية.

٤. خضعت الجمل الفعلية والاسمية لنظامها المعهود في أغلب الآيات الفعل + الفاعل = المفعول به + متممات الجملة، المبتدأ (المسند) + الخبر (المسند إليه)

٥. عدل عن الاستعمال الأم للقاعدة في الجمل الاسمية والفعلية لغايات تعبيرية اقتضاها السياق، تعانقت فيها البنية النحوية مع البنية الدلالية لإظهار النكت البلاغية لهذا العدول التركيبي كما في التقديم والتأخير مثلاً .

٦. خلق نمط التوافق والانسجام الأسلوبي للمكونات اللغوية تطابقاً تركيبياً دلالياً طريفاً في مختلف الآيات.

٧. تعدد وسائل التوكيد للجمل الفعلية المثبتة، فوجدنا التوكيد بالمصدر وبالمفعول المطلق، وحرفي قد، ولقد، وإن وغيرها.

٨. كثرت أدوات توكيد الجمل الفعلية المضارعة المثبتة فوجدنا التوكيد، والتوكيد بالقصر والتوكيد بالتقديم.

٩. كثرت صور التوكيد للجمل الاسمية بمختلف الأدوات وبصورة التوكيد اللفظي.

١٠. تعدد أدوات النفي على الجمل الفعلية فوجدنا، (لا)، (لم)، ما وتعدد هامع الاسمية لتكون، (ما)، (لا)، إن.

١١. تفضيل سورة الصافات لأدوات النفي، لا "مع الجمل الفعلية، وتفضيلها للأداة ما مع الاسمية.

١٢. ارتباط النفي بالجملة الفعلية مع الفعلين الماضي والمضارع، وارتباط الأمر بالجملة الفعلية.

١٣. لم تقع ما النافية بعد الأسماء الموصولة في صور الصلة وقد وقع غيرها.

---

[١] بدوي ،أحمد. من بلاغة القرآن، مكتبة نهضة مصر، ط٢، ١٩٥٠، ص ١٠٧.

١٤. خلق الفصل والوصل توافق وانسجاماً أسلوبيين بين موضوعات السورة مع التراكيب المتنوعة، وداخل التراكيب أنفسها.
١٥. شكل العطف نمطاً تركيبياً للتداخل الأسلوبي بين الأساليب التركيبية المختلفة، للجمل كالصلة والموصول، وجواب الشرط وأداته.
١٦. تعددت أدوات الاستفهام في سورة الصافات، وتنعت دلالتها وقد خرج إلى نوع من التكثيف الأسلوبي عن استعماله الأصلي بشكل ناسب دلالات السورة.
١٧. غلبت الهمزة كأداة من أدوات الاستفهام على بقية الأدوات. وتميزها بتصدير الجملة الاستفهامية في كامل السورة مع تنوعها في الدخول على الأدوات الأخرى كاسم الإشارة، والفاء.
١٨. جاء الاستفهام متنوعاً في الدلالة بين مختلف معانيه كالإنكار والتقرير والتعجب والتحقير والاستغراب مع هيمنة لدلالة الإنكار.
١٩. عدول الجمل الاستفهامية عن معانيها لتحقيق أغراض أسلوبية ومقاصد بلاغية.

الفصل الرابع

المستوى البياني

أولاً: التمهيد:

إن الغرض الأسمى من دراسة المستوى البياني لسورة الصافات هو محاولة البحث عن البنية الضمنية لنظام اللغة المكون للمستويات المتعددة للظاهرة اللغوية.

إن المعلوم والمفهوم ان المستويات المختلفة المشكلة للنص المدروس هي مزيج جانبين:

الجانب الحاوي للمستويات المادية (المستوى الصوتين المستوى الصرفي، المستوى التركيبي)، والجانب الحاوي للمستوى المعنوي "لامادي" وهو جانب المعنى المتكون من تفاعل كل مستويات الظاهرة اللغوية.

إن محاولة تحليل العالم البياني لسورة الصافات، يفترض وجود نظام كامل للدلالات يتضمن وحدات معنوية تكون بنسبة توزيع المعنى وعلاقات عناصره بعضها بعضاً تشكل الركيزة الاساسية لبناء عالم المعنى الذي تحتل فيه دراسة الصورة البلاغية مكاناً بارزاص على صهيد الدراسة الأسلوبية الحديثة.

إن تحديد المنحى المنهجي في معالجة الصور البلاغية ضمن محاولة البحث عن المقاصد التصويرية قصد استجلاء خصائصها العامة من خلال دلالاتها الجمالية، ذلك ان من خصائص التعبير القرآني اعتماده على بعض الصور البلاغية المحتوية على تأثيرات غيحائية لتحقيق أغراض جمالية فنية مترافقة مع أدلتها للوظائف التعبيرية للنص من خلال المزاوجة بين الدرس الأسلوبي الحديث والموروث البلاغي القديم.

عن دراستنا للصور البلاغية على اختلاف أنماطها – في سورة الصافات – تستند على الجرد الإحصائي لعدد الصور لكون اعتماد التعبير القرآني على أسلوب التصوير بوصفه اداة ثابتة في رسم ضلال الآيات وتحديد معالمها، ومعرفة الكيفية المعتمدة في توظيف البعد التصويري هو ما ترتكز عليه الخلفية المنهجية في معالجة مختلف الصور البلاغية.

فالتصوير "هو مذهب مقررن وخطة موحدة وخصيصة شاملة، وطرييقة معينة، يفتن في استخدامها بطرائق شتى وفي أوضاع مختلفة ولكنها ترجع في النهاية إلى هذه القاعدة الكبيرة، قاعدة التصوير"[١].

يكشف الجرد الإحصائي الذي قمنا به عن وجود نسبة جليلة القدر من الصور البلاغية في السورة تنم عن استخدام المفرد للبعد التصويري استخداماً يبرز القيمة الدلالية للصور وأهميتها الأسلوبية في مجال العمل الأدبي نوه بها صلاح فضل :" الصورة في الشعر والأدب

---

[١] قطب، سيد. (١٩٨٣)، التصوير الفني في القرآن، ط٨، دار الشروق، بيروت، ص ٣٧.

عموماً لا تترجم الشيء الغريب إلى كلمات مألوفة ولكنها على العكس من ذلك تحول الشيء المعتاد إلى أمر غريب، عندما تقدمع تحت ضوء جديد وتضعه في سياق غير متوقع"[١].

ثانياً: تحليل الصور البلاغية:

١ - الكناية:

٢ - التشبيه

٣ - نظام القص

إن الأساس الذي إنبنيت عليه الآية الكريمة في قوله تعالى:﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ(١٢)﴾هو تصوير الحالة النفسية والمعنوية للنموذج البشري المتجسد في شخص الرسول ﷺ، ولعل موقف الموحد المؤمن الذي يرى نور الله في كل مكان من خلقه ويرى في المقابل عمى والغفلة عنه، يمثل تصويراً مغنيا للجانب الحاصل في شموليته، فالنموذج البشري في شخص الرسول ﷺ رسم صورة وجدانية في التعبير عن موقف الإنساني انحرف به صاحبه عن جادة غيره " المشركين" واتبع هدى الله فهو يتعجب من حالهم حيث صورت الآية هذا الموقف بصورة بلاغية بمسمى الكناية، والتي تعني : " أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له باللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومىء به إليه، ويجعله دليلاً عليه"[٢] ، فكانت الكناية هنا للتعبير عن حالة نفسية مضطربة مشوشة، بحيث أطلق لفظ العجب وهو: كناية عن الحيرة والاستهجان وقد اريد به لازم معناه، وهو استعظام الأمر، ويقول الطاهر بن عاشور: "فيجوز أن يكون المراد أن الله أسند العجب على نفسه ويعرف أنه ليس المراد حقيقة العجب المستلزمة للروعة والمفاجئة بأمر غير مرتقب، بل المراد التعجب أو الكيانة، المستلزمة الروعة والمفاجأة بأمر غير مرتقب، بل المراد التعجب أو الكناية عن اللازمة، وهو استعظام الأمر المتعجب منه وليس لهذا نظير في القرآن...[٣].

وأكبر الظن أن العدول عن التصريح إلى الكناية جاء لتحقيق غرض جمالي تجلى في الكناية، وهو أليق في سياق ما حصل للرسول ﷺ لما رأى إعراضهم، لأن في إخفاء الاستعظام من سياق الأية وحضور العجب يفسح المجال أمام الخيال للتساؤل عن طبيعة العجب الحاصل وعن طبيعة الحالة المترتبة عنها. "فإنما عدل عن الصريح وهو الاستعظام لأن الكناية أبلغ من

---

[١] فضل، صلاح. (١٩٨٠)، نظرية البنائية في النقد الأدبي، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص ٨٢.

[٢] الجرجاني ، دلائل الإعجاز، ص ٥٢.

[٣] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ٩٦.

التصريح والصارف عن معنى اللفظ الصريح في قوله: "عجبت" ما هو معلوم من مخالفته للحوادث"[١].

كما أن هذا يفسح المجال التخيلي أمام القارئ لتوارد المعاني وتداعيها على ذهنه، لكي يستحضر الإطلاق في المعنى، بما يفيده الفعل حيث أن الفعل عجبت "وهو فعل المضي في معنى الأمر، وهو من استعمال الخبر في معنى الطلب للمبالغة، كما يستعمل الخبر في إنشاء صيغ العقود نحو بعت، والمعنى أعجب لهم. ويجوز أن يكون العجب قد حصل من النبي ﷺ لما رأى إعراضهم وقلة إنصافهم، ليكون الخبر مستعملاً في حقيقته ويجوز أن يكون الكلام على تقدير همزة الاستفهام أي بل أعجب والمعنى على الجميع ان حالهم حري بالتعجب[٢].

وأما من حيث التفاصيل فقد اعتمدت الصورة البلاغية على التقابل بين صورتين حاضرة وماضية في قوله عجبت ≠ يسخرون، ولعل الصورة الماضية أكثر ثراء وغنى لتضمنها لعدول النظم القرآني إلى البديل الذي اتكأت عليه هذه الآية في ثراء تفاصيلها ودقة تركيبها اللغوي المختزل. حيث تتم مقابلة الصورة الماضية باسترجاعها لتتم مقابلتها بالصورة الحاضرة لان العجب لا يأتي إلا من الغرابة وقد تمثلت هنا في شخص الرسول – ﷺ– مقابل الجمع الغائب هم ممن اقتنع بشيء بعمى بصيرته سخر من تعجب منه أو وجهه عنه وقد قال الجاحظ كلاما في ذلك نسبه إلى سهل بن هارون قال فيه :" إن الشيء من غير معدنه أغرب وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم. وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف. وكلما كان أطرف كان أعجب واستطراف البعيد"[٣] .

فكان الماضي للمبالغة حيث لخص الله تعالى حالهم المثير للعجب بهذه النكتة البلاغية التي هي من دقائق الاستعمال والتزييل واختزلها بخاصية فريدة زادت من طمأنينة الرسول – صلى الله عليه وسلم- واستقرار ونفسيته.

---

[١] المصدر السابق، ص ٩٦.

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ٩٦.

[٣] الجاحظ، البيان والتبيين، ج١، ص ٨٩، ٩٠.

٣ - الاستعارة

ولعل من أبدع الصور التي ارتبطت بعالم السفليين ضمن دائرة التكذيب والكفر صورة وصف جهنم من خلال إعطاء المساحة المكانية للمكان "جهنم" صفة الثبات والاستقرار والعذاب الدائم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ(٦٨)﴾

تصور هذه الآية جانباً معتما من واقع عالم الضلال، وقد اعتمدت الآية في نقل هذا الفضاء المهين المحقربواسطة صورة من الصورة البلاغية وهي الاستعارة.

وإذا أنعمنا النظر في العناصر الشكلية لهذه الصورة البلاغية، نجد أنها جمعت بين طرفين من طبيعة حسية (المرجع، جحيم) ولعل في هذا الجمع ما يوحي بدقة التصوير إذ المستعار وهو مكان أصحاب الجحيم من عالم محسوس، كما أن المستعار منه والمرجع والجحيم من عالم أشد حسيا فتضمن بذلك هذا التصوير بهذه الصورة البلاغية " الاستعارة" تكثيفاً حسيًا من خلال رسمه لصورة معنوية متخيلة لأصحاب الجحيم وهم مهانون محقرون ينقصهم الأمن والراحة.

ولقد اختلف المفسرون في تحديد الصورة البلاغية الموظفة في وصف جهنم في هذه الآية ، وكان محور الخلاف بينهم حول المرجع في كونه حقيقة أم استعارة بالحقيقة فبقيوا على ظاهر الآية وسياقها.

لقد ذكر الألوسي المعنى على الحقيقة إذ يرى في المرجع " مقرهم من النار فإن جهنم مواضع أعد في كل موضع منها نوع من البلاء، فالقوم يخرجون من محل قرارهم حيث تأجج النار ويساقون، إلى موضع آخر مما دارت عليه جهنم فيه ذلك الشراب ليردوه ويسقوا منه ثم يردون إلى محلهم كما تخرج الدواب إلى موضع الماء في البلد ثم ترد إلى محلها، وعلى هذا المعنى أشار قتادة ثم تلا قوله تعالى:" هذه جهنم التي يكذب المحرمون يطوفون بينهما وبين حميم آن"، ويؤيده قراءة ابن مسعود (ثم إن منقلبهم) إذ الانقلاب أظهر في الردّ، أو المراد إن مرجعهم إلى دركات الجحيم"[١].

والذي نراه بأن الآية ينبغي أن تحمل على المجاز، بحيث استعير منها الرجوع لجهنم وهو حقيقة في الإنسان للتعبير عن إضافة عذاب فوق عذاب آخر داخلها، فالمستعار منه هو مكان الإنسان عند رجوعه بعد فراق، عند زيادة العذاب تنقل المشركين بين أنوع العذاب المعد لهم. فالصورة قائمة على استعارة معقول من معقول بواسطة التصوير الاستعاري والمستعار له

---

[١] الألوسي، تفسير روح المعاني، ج٨، ص ٩٦، انظر، الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢٢، ص ١٢٦، وقد ذكر باب الحقول المعجمية.

في الآية هنا هو جهنم، والمستعار منه هو مكان الرجوع والأمر المعقول الجامع بينهما هو التنقل، ولما كان المكان جهنم كان التنقل زيادة في العذاب وهو ما أجده موافقا لرأي ابن عاشور في تخريجه للآية.

ويرى سيد قطب أن هذه الآيات تندرج ضمن ظاهرة التخييل الحسي وهو " لون من " التخييل" يمكن أن نسميه " التشخيص" يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة والظواهر الطبيعية، والانفعالات الوجدانية"[١].

إن الجمال الفني لهذه الآية، وللآيات التي صورت البعد المكاني لجهنم نظهر في كونها صورة منفردة في دائرة دلالية ثرية بالتفاصيل المعنوية الفورية، لتجعل من الحيز المكاني في جهنم أحد الأقطاب المستقطبة للصور الحقيقية لجهنم بكل تفاصيلها وأبعادها.

ولعل هذا السبب الذي جعل التعبير القرآني يعبر عن مظاهر النعيم الحسي للجنة بتصوير مضيء يعكس بعدها الإيماني من خلال نقل الفضاء المرفه بواسطة الصور البلاغية مما سيأتي الحديث عنه.

٣ - المجاز المرسل:

ومن أشكال المجاز المختلفة التي وردت في سورة الصافات المجاز المرسل، وقد تحقق ذلك في قوله تعالى:﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ(٧٨)﴾ .

لما تعددت ذكر النّعيم التي أنعم الله بها على سيدنا نوح عليه السلام، اتبعها بنعمة أخرى زيادة في عداد كراماته. في عداد كراماته، وذلك عن طريق تخليف شيء والتخلي عنه ولهذا الغرض عند التعبير القرآني إلى المجاز بوصفه وسيلة بلاغية لها القدرة على استحضار الغائب وتكوين الصورة الذهنية المتخيلة، وهو هنا مراد به الدمام على وجه المجاز المرسل " لأن شأن النعم في الدنيا أنها متاع زائل بعيد، طال مكثها أو قصر، فكأن زوالها استرجاع من معطيها، كما جاء في الحديث " لله ما أخذ وله ما أعطى" فشرف الله نوحا بأن أبقى نعمه عليه في أمم بعه"[٢].

فتوظيف المجاز في الآية ههنا مجلي في استعمال الفعل " تركنا " وهو مجاز لدلالة على معنى مجازي جاء المجاز المرسل لقدرته على تمثيل الزيادة في مد النعمة وانتشارها إلى ما شاء الله، ولعل اختيار الفعل ترك " دون حركة" هو الأنسب بالآخرين لأنه يشعر إلى البقاء في حركة

---

[١] قطب، سيد. التصوير الفني في القرآن، ص ٧٣.

[٢] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج٢، ص ١٣٢.

تكاد تكون ساكنة مما يناسب الغرض الساكن ليتم التأثير الوجداني المقصود في بيان نعم المولى عز وعلا ومما يؤكد أن الحركة الأولى بهذا السياق ظاهر الآخرين " أنها باقية في جميع الأمم إلى انقضاء العالم، وقرينة المجاز تعليق " عليه" بـــ " تركنا" الآية يناسب الإبقاء، يقال أبقى على كذا، أي حافظ عليه ليبقى ولا يندثر[١]، من خلال تضمين الفعل تركنا معنى أنعمنا وعندها صار تعدية بعليه تمشيا مع الغرض من المجاز ليفيد معنى الإبقاء لسيدنا نوح وذريته في الآخرين بتعليق حرف (على) به أي أن هذا الترك من قبيل الأنعام ذلك بما يفيده التضمين من مفاد كلمتين في إيجاز بديع من ألطف الإيجاز في الصورة البلاغية للحجاز المرسل بقدرة على الزيادة في مقدار هذه النعمة بصورة مختزلة ساكنة تفيده البقاء تأزرت فيها مجموعة من الجزئيات لتشكل صورة الأنعام الثابت إن الصورة هنا صورة مجازية بسيطة مركبة من صورة واحدة، وقد اتكأت على ثراء تفاصيلها ودقة تركيبها اللغوي الإيجازي الذي لخصه الله في مواصفات إعطاء النعم بصورة مختزلة حذف معها خمس كلمات في إجازة بصورة المجاز المرسل أدت إلى إيصال المعنى كما و ذكرت، فالفعل ترك الأصل فيه أن يعدى باللام فلما تضمن معنى آخر بالصورة البلاغية في هذه الآية عدي بعليه، أي فلما ضمن معنى أنعمنا ليفيد الإبقاء له " أي إعطاء شيء من الفضائل المدخرة التي يشبه إعطاؤها ترك أحد متاعاً نفسياً لمن يخليه هو له ويخلفه فيه، وأفاد بتعليق حرف (على) به أن هذا الترك من قبيل الإنعام والتفضيل"[٢].

وعليه لا يكون لتركنا مفعول مع تقرير الآخرين له مفعولا دل عليه المقام وهو ثناء أي تركنا ثناء عليه، وعلى كل الأحوال فإن مفعول تركنا المحذوف، وفعل أنعمنا الذي تضمنه الفعل تركنا مما أحتاج إلى معنى المفعول حذف أيضاً مع عامله خرج تقدير الآية وتركنا له ثناء وأنعمنا عليه، فحصل حذف خمس كلمات بإيجاز أدتها السمة الأسلوبية بهذا المجاز المرسل ما كان ليحدث مع غيرها من الصور فهو إيجاز أفاد معنى التوسع والزيادة ليجعل المعنى قابل لأن يكون الإبقاء بمعنى التعمير، أو إبقاء بما يحسن به الذكر وهذا من ألطف الإيجاز وأبلغه.

٤ - التشبيه:

ومن السمات التصويرية البارزة في سورة الصافات اتخاذها من النماذج العليوية عينات تصر من خلالها منتهى المتعة والأمن والراحة كما في قوله تعالى:﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ(٤٩)﴾

تعبر هذه الآية عن حالة نفسية لشريحة غير بشرية، متخذة في تصوير هذه الحالة المريحة الآمنة التشبيه التمثيلي وهو " أبلغ من غيره، لما في وجهه من التفصيل الذي يحتاج إلى

---

[١] المصدر السابق، ص ١٣٢.

[٢] الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص ١٣٣.

إمعان فكر، وتدقيق نظرن وهو أعظم أثراً في المعاني: يرفع قدرها، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها... ومن ثم يحتاج إلى كد الذهن في فهمه، لاستخراج الصورة المنتزعة من أمور متعددة، حسية كانت أو غير حسية لتكون (وجه الشبه)"[١]. فتشبيه قاصرات الطرف في حبس أنظارهن على أزواجهن وصيانتهن وسترهن لأنفسهن وصحتهن وسلامتهن عن الطمث بالبيض المكن، وفي انتقاء جنس البيض ما يوحي بطابع شدة اللمعان مخرجهن بذلك من دائرة الإنسانية و (البشرية)، فلما كان بياضهن وشدة لمعانهن عظيماً، تجاوزن الفتنة والمتعة أقرب، وإلى منطقة الجذب الحسي ألصق. فالغرض من التشبيه التقريب بظاهر الأداة وقد جيء به بعد تمام معنى الصورة السابقة لإيضاح معنى قاصرات الطرف بصورته التي بلغت التشخيص الحيّ.

إن ما يميز هذا المعنى بهذه الصورة البلاغية هو تشكيلها من عنصرين كونيين محسوسين البيض وقاصرات الطرف حيث شبه القاصرات بالبيض بأداة التشبيه التي أدت إلى معاني متعددة استلزمت طاقة ذهنية متحركة لانتزاع دلالة الشيء المفرغ من أمور متعددة.

ومن الآيات التي جاءت لتصوير المشاهد التصويرية في سورة الصافات ماجاء في قوله تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيمَ(٨٣)إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ(٨٤)﴾.

تقوم هذه الآيات على رسم صورة وجدانية لتصوير حالة نفسية معنوية تعبر عن موقف إنساني، فهي تمثل نموذجاً بشراً صالحاً سار على جادة الأصل واتبع تشريع الله الواحد، لا غير، فهو يحمد ويكافأ من الله ، وقد اتخذت هاتين الآيتين لتصوير وهي الكناية للتعبير عن حالة الحالة النفسية لصاحب هذا الجزاء والإحسان، بحيث أطلق لفظ المجيء والشيعة، بحيث أطلق لفظ الشيعة وه كناية عن إثبات صفة لشخص عن محبة وسرور وأريد به لازم معناه وهو الثبات الصريح لهذه النعمة، مما يلفت الانتباه في رسم منظر ثبات الصفة إن المجيء كان للقلب وفي اختيار هذه الجارحة ما يوصي بتبعتها لجوامع كمال النفوس .

ومحاسن الأعمال، ثم يقل الرسول ﷺ ألا وإن في الجسد مضافة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب. فهو وسيلة الصلاح في الأغلب الأعم. فاستخدام الآية للصورة البلاغية الكناية في مشهدين مشهد تحدث عن النعمة التي حصلت لدينا إبراهيم بأنه من جماعة سيدنا نوح الفئة المؤمنة ، ومشهد فسر بنفس تقنية المشهد الأول أسباب هذه النعمة ففي العقل جاء ملا يخفي من الخواص القادرة على تميل هيئة الإتباع لسيدنا إبراهيم

---

[١] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص ٢٦٥.

بهيئة المساعدة للدليل المقصود به سيدنا نوع عليه السلام " وتعليق كونه من شيعة نوح بهذا الحين المضاف إلى تلك الحالة كفاية عن وصف نوح بسلامة القلب أيضاً يحصل في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإبْرَاهِيمَ(٨٣)﴾

إثبات صفة مثل صفات نوح لإبراهيم ومن قوله: " إذ جاء ربه بقلب سليم إثبات صفة مثل صفة إبراهيم لنوح عن طريق الكناية في الإثباتين، إلا أن ذلك أثبت لإبراهيم بالصريح ويثبت لنوح باللزوم فيكون أضعف فيه من إبراهيم " [١].

٥ - نظام القص:

لقد تضمنت سورة الصافات نظاماً قصصياً متميزاً إتسم بسمات قصصية متآلفة شكلت العبرة والموعظة في الخلوص إلى مواقف الأنبياء مع أقوامهم ، وما تعرضوا له من نكال وعناد أهم الدعائم الأساسية والأغراض الدلالية ..... الرسول - ﷺ- وشبيه على الذي جاء به وصول الموعظة..... المكذبين ، بصورة سردية أخذت طابع الاختصار والسرعة لتشكل بذلك غرضاً جوهرية ملحاً للنظام القصصي في السورة الكريمة لأن مفهوم الغرض هو مفهوم شامل يوحد المادة اللغوية للعمل الأدبي ، فالعمل ككل يمكن أن يكون له غرض معين ، وفي نفس الوقت فإن كل جزء من أجزائه يتوفر على غرضه الخاص . ويتلخص تفكيك العمل في عزل أجزائه التي تختص بوحدة غرضية نوعية " [٢].

والملاحظ على البنية السردية الآيات الكريمة الحاوية لقصص الأنبياء أنها ركزت على بعض العناصر الجوهرية وأغفلت عناصر أخرى ولذا جاء التعبير القرآني مع نظام القصص ضمن مقاربة قصصية دون التعمق في العناصر المشكلة للبرنامج السردي خرج بها شكل القصص شكلاً مختصراً لقصص الأنبياء لأن طريقة القرآن في القصص طريقة خاصة إنه يستقي أبرز حوادثها وأشدها صلة بالعبرة المقصودة ويغفل التفاصيل الزائدة والجزئيات التي لا فائدة منها، ويجعل الأفكار التي يريد تلقينها متضمنة في ثناء حوار ، أو جدل أو خطاب أو دعاء، لا يغفل الواقع الإنساني ولكنه يرتفع إلى المثل الأعلى " [٣] .

ولعل في طول قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام – عن باقي نظام القصص ما يوحي إلى فضل سيدنا إبراهيم بين الأنبياء بعد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وربما كان لوصف ملة إبراهيم بالحنفية دوراً في ذلك للصورة جاء متضامناً مع عقيدة التوحيد التي وصف الإسلام بها في ذلك زيادة بالحنفية السمحة .

---

[١] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٢ ، ص ١٣٥ .

[٢] توزفيطان تودروف، نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، ص١٨٠.

[٣] مبارك، محمد، دراسة أدبية لنصوص القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان .

لقد اختارت سورة الصافات في بيان قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مرتلاً ومرسلاً إليه (إبراهيم مع قومه) ومرسلاً مع مرسلين (إبراهيم مع ابنه إسماعيل وإسحاق) بسببية منطقية ، وبالتالي زماني منتظم " هذه العناصر الغرضية تتحقق حسب نمطين أساسيين..... أن تخضع لمبدأ السببية فتراعي نظاماً وقتياً معيناً Chronocled gle، وإما أن تعرض دون اعتبار زمني . أي في شكل تتابع لا يراعي أية سببية داخلية في الحالة الأولى تكون بإزاء أعمال " ذات مبنى " "Asulefi " (قصة قصيرة، رواية قصيرة ملحمية) ونكون في الثالثة ، بصدد أعمال لا مبنى لها، أي وصفية (شعر، وصفي، وتعليمي، غنائي) [١].

لقد جاء مبدأ السببية لقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام - صريحاً – فالنظام السببي واضح ، مع احتفاظها بسببية ضمنية عدل فيها التعبير القرآني عن مبدأ السببية باختزال عناصر الحدث كما في اختزال التعبير القرآني لحديثه مع قومه بعد أن حطم أصنامهم .

وقد جاءت العلاقة الأساسية بين الأفعال القصصية في السورة بشكل عام متعاقبة. فهناك تتابع وانتظام يأتي فيه اللاحق بعد السابق ضمن نظام بنائي حكائي مميز انطلاقاً من ذكر المرسل ثم ردة فعل القوم وأخيراً عاقبة الرد لإبراز العلاقة المتينة بين الزمنية والسببية، وقد برز التسلسل الزمني واضحاً في بداية عرض قصص الأنبياء من ذكر سيدنا نوح لأنه يشكل القدوة الأولى مع اختفاء لتدرج الأحداث وانتفاء وجود الدليل على وقوع المقارعة والمجادلة بين الأطراف المتصارعة داخل قطبي التضاد (المنذرين المنذرين، مع إيراد التصفية للقوم المكذبين في شكل مختزل بفعل الإغراق فقط ، فهي قصة نوح عليه السلام، هذا فضلا عن تغيب للطرف المجسد لعالم التكذيب وهم قومه لقصف الأنبياء بتسلسل زمني مبدئياً بقصة نوح عليه السلام هو إيراداها في مقام تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والتبكيت للمشركين هو ما جعل بنيتها السردية تغط الطرف عن العراك للأقطاب المتنازعة في الآيات الحاوية لقصته عليه السلام ، فابتداء القصة " بذلك نداء نوح ربه موعظة للمشركين ليحذروا دعاء الرسول – صلى الله عليه وسلم – ربه تعالى بالنصر عليهم كما دعا نوح على قومه وهذا النداء هو المحكي في قوله " قال رب انصرني بما كذبون في سورة الأنبياء ، وقوله: ﴿ قال نوح قرب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً ﴾ (من سورة نوح) [٢].

---

[١] توزفيطان تودروف، نظرية المنهج الشكلي، نصوص الشكلانيين الروس، ص ١٧٩.

[٢] ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٢، ص ١٣٠.

ثالثاً: الخلاصة:

ويمكن إيجاز عناصر البنية السردية للآيات بمايلي :-

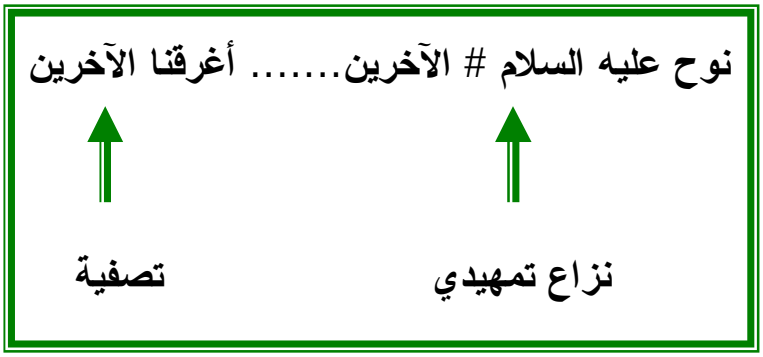

إن الطريقة التي قدمت بها أقطاب التضاد في هذه الآية في البناء السردي لسورة الصافات إلى فرض حوافز داخل البناء لا يمكن حذفها لضمان التتابع السلبي والزمني للأحداث دون خلل ومنها في هذه الآيات وفي آيات السورة بشكل عام ذكر اسم الرسول والذي جاء هنا سيدنا نوح عليه السلام وذكر عاقبة قومه التي تأخذ شكل التصفية النهائية لكل قوم ولهذا تتصف حوافز عمل (أدبي) بانها حوافز متعارضة. فبمجرد عرض المتن الحكائي يكشف لنا أن بعض الحوافز يمكن أن يتم تجاهلها دون أن يتحطم، مع ذلك تتابع الحكي، بينما لا يمكن حذف البعض الآخرون أن تمس رابط السببية الذي يوجد الأحداث، إن الحوافز التي لا يمكن الاستغناء عنها تسمى حوافز مشتركة Associes، أما تلك التي يمكن إبعادها دون الإخلال بالتتابع الزمني والسببي للأحداث فهي حوافز حرة Libres "[١].

ومن هنا فإننا نجد أن التصفية المدمرة لقوم سيدنا نوح المغيبين مثلها فعل أغرقنا الدال على الطوفان ، فالبنية الزمنية للفعل للفعل أغرقنا استخدمت للدلالة على الزمن المستخدم لسرد الأحداث داخل الآيات المؤجزة وهو الماضي ، حيث تبرز بهذا الاستخدام الأسلوبي ثنائية الماضي والحاضر إنطلاقاً من ما يحمله الماضي من دمار حل بالآخرين لتكبرهم وعنادهم وانحرافهم عن حادة الصواب الذي انبئ بمعاني الهلاك والغناء في مقابل الماضي هذا نجد الحاضر بدعوته للصلاح والهداية والتحيز والمتمثلة بدعوى الرسل نوح وإبراهيم إلى التشريع السمائي بما تحمله من معاني التجدد والبقاء والخصب والحياة .

---

[١] توزفيطان تودروف ، نظرية المنهج الشكلي ، نصوص الشكلانيين الروس ، ص ١٨٢.

فالنظام السببي للآيات الواردة بأسلوب القصص جاء بشكل مضمر في أغلبها في سورة الصافات فإذا ما " انتظمت قصة ما وفق نظام سلبي ، إتمام العمل الذي امتنع السارد عن القيام به ، وبما أن هذه السببية ضرورية للعمل لإدراك العمل فإن على القارئ أن يتمها [١].

إن أهم ما يميز النظام القصصي في سورة الصافات في نقله للإخبار اعتماده على نقل الأحداث الواقعية، وهو ما يخالف نظام أي قصّ في ما خلق في عالمه، حيث يعتمد هناك على الخيال، بينما كان القصص القرآني في السورة الكريمة وفي القرآن بأكمله أحداثاً وقعت فعلاً، كان السارد فيها الله جل جلاله بضمير الجمع للمتكلم (نا)، (نحن)، ففي " العمل الأدبي يجب أن نميز بين زمان المتن الحكائي من زمان الحكي، فالزمن الأول هو الذي يفترض أن الأحداث المعروضة قد وقعت فيه، أما زمن الحكي فهو الوقت الضروري لقراءة عمل (مدة عرض). عن هذا الزمن الأخير يوازي المفهوم الذي لدينا عن حجم العمل (DIMENITION)"[٢].

وقد جاءت بعض الحوافز المشتركة والحرة التي لا يمكن الاستغناء عنها في السرد القصصي بذكر أقطاب الشرك فمع سيدنا يونس عليه السلام وذكر السرد اسم الضم لأنه محور الشرك قد تجسد به، ومع سيدنا لوط ذكر القصص الديار والعجوز لتمثيلها رأس الفتنة للمكان السردي مقابل سيدنا لوط الممثل للجانب الإيماني، واستغنى عن سرد احداث قصة موسى لأن التركيز أساساً كان للوعظ والإرشاد وتسلية للنبي محمد ﷺ، وتبليغه ولعل هذا ما جعل القص يدخل سيدنا هارون مع سيدنا موسى لاتخاذ العبرة والعظة وليعلم المؤمنين وأولهم الرسول ﷺ بضرورة اتخاذ النصير الحكيم في موجهة الطغاة والجبابرة أمثال فرعون.

فقد جاءت الخصاص الفنية للصورة في سورة الصافات متضمنة كثرة التصوير بالحركة المتخيلة بطغيان المشاهد الحية الشاخصة في أبنية تصويرية تناولت الصورة المفردة والمركبة، مرتكزة على أسلوب التصوير خاصة في الآيات التي تتناول التصفية النهائية لحال الكافرين، ومع طغيان المشاهد الحية الشاخصة على السورة فقد استندت وخاصة في نظامها القصصي على الانتقال بين المرسل والمرسل إليهم، فقد جاءت قصة نوح مبينة نهاية العذاب، بإغراق القوم، ثم تحدث عن سيدنا إبراهيم وموسى من غير إبراز لنوعية عذاب قومها حتى وصلت إلى سيدنا لوط مبرزة نهاية العذاب بالتصفية النهائية للأقوام من عموم التدمير إلى الأخص، حيث كان التصوير بالحركة المتخيلة عمدة في تحركها بين الصور التي تقتصر على تصوير مشهد منتزع من واقع حسي محدود، وصورة جامعة لأكثر من صورة بسيطية تتراكم وتتكاثف في

---

[١] توزفيطان تودروف ، الشعرية ، ترجمة شكري المبخوت، ورجاء بن سلامة المعرفة الأدبي ، دار توبقال للنشر ، ط١ ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٩٨٧ ، ص ٦٣.

[٢] تودروف، تزفيطان، نظرية المنهج الشكلي، ص ١٩٢.

تشكيل العالم المراد تصويره لتوسيع مجالات التخيل " فقد مضت عادة الله في كتابه بأن يبرز لنا الأشياء المعنوية، في قوالب العبارة واللفظية، ويكشف لنا المعارف المادية بالصور المحسوسة تقريباً للفهم، وتسهيلاً للعلم.

ومن أشكال المجاز التي وردت في سورة الصافات الإستعارة التمثيلية كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ(١٧٧)﴾.

لقد عمد النظم القرآني إلى المجاز لقدرته كأداة فنية علىاستحضار الغائب، وتكوين صورة لم تستطع الحقيقة إبرازها وتقديمها، حيث وظف المجاز هنا في الفعل نزل، وقد خصص "الصباح" لأن من عادتهم الإغارة فيه.

فالصورة صورة مجازية مركبة من صورتين بسيطتينن اتكأت هذه الآية فيها على ثراء تفاصيلها ودقة تركيبها اللغوي، فقد اختيرت مكوناتها اللغوية اختياراً دقيقاً ساهم في رسم معالم السورة في تصوير التصفية النهائية للمشركين، فالاقتصار على الأفعال المبنية للفعل ونتيجته، فمن حيث التفاصيل فقد اعتمدت على التقابل بين صورة الفعل الذي يصور كيفية حدوث هذه التصفية والفعل الذي يصور النتيجة المترتبة عليه، لتتم المقابلة بينهما بأسلوب الشرط الرابط بينهما. هذا فضلاً، عما تقدمه من استعارة المحسوس بواسطة أمر المعقول نزل ≠ فساء، حيث يقوم الخيال باستدعاء الصورة لتتم المقابلة بين طبيعة العذاب ونتيجته المدمرة، فقد آزرت جزئية الشرط تشكيل صورة مجيء العذاب الذي أبرزها ظرف الزمان "صباح" المبين لميقات العذاب، فالعذاب النازل بهم بعد ما أنذروا به فلم يبالوا بالإنذار واستعجلوا العذاب عليه جاءهم بصورة الجيش الذي أنذرهم بمجيئه فلم يكترثوا بإنذاره، فمن كونه "صباح" أنه مخصوص لهم بما عندهم من عادة الإغارة صباحاً حيث جاءت الصورة البلاغية بالاستعارة فيها أقدر على تحريك عناصر الصورة بكل خواصها الحسية المدركة في الجمع الدقيق بين ما يوجي بدقة التصوير جعلت الحيز المكاني يتضمن تكثيفاً حسياً قد رسم صورة معنوية متخيلة لأصحاب المكان، وهم في هول الكارثة وفي حالهم وهو مستقبحين من نزل هذه الآية ، لمعرفتهم بنوعية العذاب الحاصل من أشياء اعتادوا عليها قربتها الاستعارة باسترجاع الصور الماضية الموجودة عندهم بصور محققة مما وجد عندهم، فإعطاء المساحة المكانية لنزول العذاب صفة الثبات والاستقرار في العذاب هو ما قصدته الآية الكريمة والصور البلاغية المتمثلة في الاستعارة التمثيلية.

فالسورة قد جمعت بين التجريد والحسّ في عرض مشاهدها ضمن صور بسيطة ومركبة اعتمدت على ركيزة التصوير في حياكة عوالمها الجمالية والدلالية لتخطي العالم الحسي بكل عناصره.

الخاتمة:

الحمد لله الذي علا بحوله، وغلا بطوله كلما لاح نجم وخفق، وكلما اتسع ليل وغسق، الحمد لله الذي لا حمد لسواه ولا شكر إلا لعلاه، له عظيم المنه. الحمد لله الذي أعانني على إكمال ما صعب علي، وما تدحرجت له الخطوات حتى انصب اللوم علي،وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تعد سورة الصافات نموذجا متميزاً بالسمات الأسلوبية التي شكلت نظامها اللغوي والذي انتهينا به إلى سر تميزها ببنيتها اللغوية للاستخدام الخاص لها، وفق الغرض المراد طرحهن وقد تجلى هذا الاستعمال المتفرد على طيلة المستويات الأسلوبية المشكلة لهذا البناء:

أولاً: النظام الصوتي:

تميزت سورة الصافات ببعض الخصائص التالية:

١- قيام النظام الصوتي لسورة الصافات على المزاوجة بين صفات الحروف ومخارجها، وقد أدى هذا التباين إلى إغناء العطاء الإيقاعي والدلالي للسورة.

٢- تستمد سورة الصافات إيقاعها وموسيقاها من النظام الصوتي الخارجي المتضمن لعدد من التواترات الصوتية والدلالية المميزة.

٣- اتخذت سورة الصافات أداة التكرار الصوتي للحروف وسيلة فعالة في بناء تشكيلاتها الإيقاعية وتركيباتها الخارجية.

٤- جاء المقطع الصوتي في سورة الصافات من أخصب العناصر الصوتية كشفا للمعاني من خلال استخدام المقاطع المفتوحة والمقفلة لإثراء منظومتها الإيقاعية.

٥- اختارت سورة الصافات التجنيس الاستهلالي وهو نظام صوتي دلالي له عميق الأثر في تصوير الدلالات المختلفة للسورة .

٦- كثر في السورة استخدام إيقاع الصيغ كأداة تقنية إيقاعية وجمالية قصد إثارة العواطف والانفعالات النفسية للقارىء.

٧- اتخذت سورة الصافات من تناسب الدلالات وسيلة لإبراز البنى المتقاربة، إيقاعيا وصوتيا ودلاليا جاء أبرزها الطباق.

٨- التزمت سورة الصافات المراوحة بين فاصلتي النون والميم وذلك لما في النون والميم من مميزات صوتية مولدة لطاقة إيقاعية بلاغية.

٩- خضوع سورة الصافات لقانون النظام والتغيير للفواصل القرآنية الأمر الذي أحدث مراوحة بين الكم الموسيقي توزعت في ضوئه النغمات الموسيقية توزيعاً مناسباً لدلالات الآيات.

١٠- تضمنت سورة الصافات مجموعة من الفواصل أهمها المتوازي والمتوازن والمطرف والمترسل ، مما أدى إلى تشكل طاقة صوتية وإيقاعية ممكنة ولدت تشابكا تركيبيا ودلاليا.

ثانياً: النظام المعجمي:

١. من السمات الأسلوبية لسورة الصافات أن بعض أوزانها وقوالبها التي وضعت فيها الكلمات ذات نغمة إيقاعية موسيقية.

٢. اعتماد سورة الصافات على النكرة في المقامات المعبرة عن الموضوعات العامة متضمنة دلالات أهمها التعظيم المبالغة، والنوعية، التحقير.

٣. استخدمت سورة الصافات اسم الإشارة للدلالة على التعظيم والتهكم والتوسط، استخدمت الاسم الموصول المفيد لدلالتي التعظيم والتهويل.

٤. استخدمت السورة اسم العلم لتحقيق دلالات مختلفة أهمها، التجاهل بقصد التحقير والتعظيم، الحصر، والإبهار.

٥. مالت سورة الصافات إلى استخدام الأفعال البسيطة بمختلف أنماطها مع هيمنة صيغ معينة على أخرى.

٦. برز في سورة الصافات عدول عن المبنى للمعلوم إلى المبنى للمجهول في استخدامها لصيغ المغايرة عندما تعلق الأمر بالفاعل المحذوف، وبتغير الفاعل.

٧. اعتمادها على الصيغ المركبة وقد ورد فيها: قد + فعل، المتضمنة لصيغة الماضي القريب، وصورة كان + الفعل المشتملة على صيغة الماضي الاستمراري، وسوف + فعل مضارع المتضمن لدلالة المستقبل.

٨. جاءت البنية المعجمية سورة الصافات قائمة على منطق جدلي استند إلى تصور ثنائي من قطبت، قطب الإيمان، المتمثل بالعالم العلوي، وقطب الكفر والإنكار المتمثل بالعالم السفلي وقد تفرع عنهما موضوعات فرعية.

٩. أظهرت سورة الصافات بكلماتها المعجمية وفرة الثروة اللفظية وتنوعها من أصغر وحدة معنوية حتى أكبر وحدة دلالية من خلال ظهور هذه الثنائيات التي تحكمت سمة متميزة.

١٠. كشفت الحقول المعجمية المشكلة لسورة الصافات عن وجود نظام كامل للدلالات يتضمن وحدات معنوية اندرجت في سياقات كانت بنية توزيع المعنى وعلامات عناصرها ببعض هي الركيزة الأساسية لبناء عالم المعنى المعجمي المستقطب داخلهما كل كلمات النص: اسما أو فعلا.

لما وجدته في أثناء عملية البحث من ثغرات يستطيع الباحث تتبعها قفي موضوعات جديدة تصلح أن تكون مشاريع بحوث ساهم في تتبع ما استدرك وحل ما استعصى على الآخر.

ولعل من أهم هذه الموضوعات اللائقة التي أسفر عنها البحث تكمن في المستوى الصوتي، لعظم الإمكانيات التعبيرية الكامنة في المادة الصوتية وهو أول المستويات فلعل في طغيان أصوات على أصوات ما يشير إلى تشكل هذه الأصوات على الأخرى بمئات الأعوام، فقد تكون الهمزة الصوت البارز في الأصوات الانفجارية قد تشكلت في فجر الإنسانية الأول قبل غيرها من الأصوات فربما كان لهذا البروز بعدا تاريخيا تدريجي في ظهور الأصوات واحدة تلو الأخرى. مما يحتاج لبحث عميق. كما أن التجانس الحاصل بين الأصوات على صعيد المخارج والصفات قد يفرد فيه أصوات معينة بالدراسة الأكوستتيكية لقياس ترددتها ومدتها وصورتها للخروج بنتائج فارقة تساهم في التميز الكامل لاستخدام هذه الأصوات وتضع الفروق الدقيقة بينهما مما يساعد ويسهل عملية تقليمها وخاصة لغير لناطقين بها. كما شد انتباهي تفسير الطاهر بن عاشور المتميز عن غيره باحتوائه لنصوص القرآن كاملا من لطائف أسلوبية ومقاصد دلالية.

ثالثاً: النظام التركيبي:

١. التزمت سورة الصافات بأنماط الجملة العربية المختلفة من الجملة الاسمية إلى الفعلية .
٢. تنوعت وسائل توكيد الجملة الاسمية المثبتة ، فأكدت الجملة النحوية بمؤكد واحد وبمؤكدين وبثلاث مؤكدات.
٣. عدول الجمل الاستفهامية عن معانيها لتحقيق أغراض أسلوبية ومقاصد بلاغية.
٤. خلق الفصل والوصل توافق وانسجاماً أسلوبيين بين موضوعات السورة مع التراكيب المتنوعة، وداخل التراكيب أنفسها.
٥. كثرت صور التوكيد للجمل الاسمية بمختلف الأدوات وبصورة التوكيد اللفظي.
٦. خلق نمط التوافق والانسجام الأسلوبي للمكونات اللغوية تطابقاً تركيبياً دلالياً طريفاً في مختلف الآيات.

رابعاً: النظام البياني:

١. استخدام أسلوب التصوير الذي مكن الصورة من تجاوز حدود الطرفين مخترقة الواقع المعياري لبؤرة رؤية شاملة تخطت العالم الحسي.
٢. وظفت البنية البيانية السورة الصافات بعض الصور البلاغية كالتشبيه والاستعارة والكناية، وغيرها مما جعل الصورة الفنية ثرية للتفاصيل والجزئيات.
٣. تميز شكل الصور البلاغية سورة الصافات بالمزاوجة بين جانبي الحس والتجريد.
٤. استخدام التصوير، كأسلوب مميز في تصوير البنية القصصية التي اتسمت أحداثها بالواقعية والموضوعية عن عرض أحداثها.
٥. تشكل صورة الصافات من ثلاثة أبنية تصويرية قامت على الصورة المفردة البسيطة والمركبة والصور الكلية الجامعة لها. لغرض تقديم الدلالة العامة سورة.

ولعل الباحث هنا قد وصل إلى بيان قدر من الملامح التي أضاءت جانباً محدوداً من سر تفوق العبارة القرآنية على غيرها من العبارات، التي تبقى فيها أسرار السور الكريمة والتي من بينها "**سورة الصافات**" وهي في أشد الحاجة إلى الاستكانة والاستكشاف، لتشكل مجالاً خصباً في الدراسة الأسلوبية، لو أن أحداً اجتهد وانفرد بدراسة مستقلة مكملة للجانب الصوتي لسور القرآن الذي بتر من دراسة الطاهر بن عاشور.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

ابن الأثير، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن محمد الجزري، (٥٥٨-٦٣٠) (١٩٣٥). **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، (ط١)، تحقيق محمود توفيق، القاهرة، مصر، مطبعة حجازي.

ابن المعتز،عبد الله، (١٩٨٢). **البديع**، (ط٣)، تحقيق اغناطيوس كراتشفوفسكي، بيروت لبنان، دار المسير.

ابن جني، أبوالفتح بن عثمان الموصلي، (٣٩٢هـ). **الخصائص**، (ط٤)، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ابن عاشور، محمد الطاهر، (١٩٨٤). **تفسيرالتحرير والتنوير**،(ج٢٢)، تونس، الدار التونسية للنشر.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (١٩٦٨). **لسان العرب**، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر.

ابن هشام، (١٩٦٩). **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، (ط٢)، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي، راجعه سعيد الأفغاني، دار الفكر.

ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، (٦٤٣هـ). **شرح المفصل للزمخشري**، مصر، إدارة المطبعة المنيرية، ، شارع الكحكين.

أبو أديب، كمال، **مجلة فصول**، " الأسلوبية ندوة العدد الأسلوبية، القاهرة.

أبو سليم، عصام، (١٩٩٠). الأنماط المقطعية في اللغة العربية، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**،(م٩).

الأشموني،(-١٩٥). **شرح الأشموني علي ألفيه ابن مالك**، دار إحياء الكتب العربية.

الأصفهاني، الراغب، (٥٠٢هـ)،(١٩٩١). **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق محمد خليل عياتي، (ط١)،لبنان، دار المعرفة.

الألوسي، أبو الفضل شهاب، (١٩٧٨). **تفسير روح المعاني في القرآن الكريم والسبع المثاني**، بيروت، دار الفكر.

أنيس، إبراهيم، (١٩٦١). **الأصوات اللغوية**، (ط٣)، دار النهضة العربية.

ـــــــــــ ، (١٩٦٥). **موسيقى الشعر**، (ط٣)، الانجلو المصرية، القاهرة.

ـــــــــــ ، (١٩٨٥). **من أسرار اللغة العربية**، (ط٧)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

آينو آن، (١٩٨٠). **مراهنات دراسة الدلالات اللغوية**، ترجمة أوديب بتيت وخليل أحمد، تقديم أ. جوليان كريماس وأسعد علي، (ط١)، دار السؤال للطباعة والنشر.

بارت، رولان،(١٩٨٥). **مبادئ في علم الدلالة**، ترجمة وتقديم محمد البكري، كلية الآداب، مراكش، الدار البيضاء، المغرب.

بدوي، أحمد، (١٩٥٠). **من بلاغة القرآن الكريم**، (ط٢)، مكتبة نهضة مصر.

بركة، بسام، (١٩٨٨). **علم الأصوات العام**، بيروت، مركز الإنماء القومي.

البروسوي، (١٩٨٩). **تنوير الأذهان في تفسير روح البيان**، تحقيق محمد علي الصابوني، (م٣)، ج(٢٣)، دمشق، دار القلم.

البقاعي، برهان الدين، (٨٠٩-٨٨٥)، (١٩٧٠). **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، حيدر أباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية.

تمام، حسان، (١٩٥٥). **مناهج البحث في اللغة العربية** ، مكتبة الأنجلو المصرية.

———— ، (١٩٩٣). **البيان في روائع القرآن**، (ط١)، عالم الكتب.

———— ، **اللغة العربية معناها ومبناها**، المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء.

تودروف، توزفيطان، (١٩٨٢). **نظرية المنهج الشكلي**، ترجمة إبراهيم الخطيب، (ط١)، بيروت، لبنان، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، مؤسسة الأبحاث العربية.

———————— ، **المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث**، ترجمة وتعليق قيني عبد القادر، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب.

الجرجاني، عبد القاهر،(٤٧١هـ)، (١٩٨١). **دلائل الإعجاز في علم المعاني**،تحقيق محمود محمد شاكر،مكتبة الخانجي، القاهرة، مطبعة المدني.

جعفر دك الباب، (١٩٨٢). الصوامت والصوائت في العربية، (ج١)، **مجلة اللسان العربي**.

———————— ، (١٩٨٣). الساكن والمتحرك، **مجلة اللسان العربي**، ع(٢٠).

حامد أبو زيد، نصر، (١٩٩٠). **مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

حسن، عبد الكريم،(١٩٨٣). **الموضوعية البنيوية دراسة في شعر السياب**، (ط١)، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

الحسناوي، محمد،(١٩٨٦).**الفاصلة في القرآن الكريم**، (ط٢)، بيروت، لبنان المكتب الإسلامي.

حماسة، محمد عبد اللطيف، **العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث**، دار الفكر العربي.

الخطابي، أبو سليمان محمد بن محمد البستي، (٣٨٨)، (١٩٥٣). **بيان إعجاز القرآن**، تحقيق عبد الله الصديق، القاهرة، مطبعة دار التأليف.

خليلي، عبد العزيز، (١٩٨٦). البنية المقطعية في اللغة العربية، **المجلة العربية للدراسات اللغوية**، (م٤) ، الخرطوم.

الذهبي، محمد حسن، (١٩٨٨). **التفسير والمفسرون**، (ط٤)، (ج١)، مكتبة وهبة.

الراجحي، عبده، (١٩٨٢). **التطبيق الصرفي**، (ط١)، دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع.

———— ، (١٩٧٤). **فقه اللغة**، بيروت.

الرازي، أبو حاتم، (١٩٥٨). **كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية العربية**، عارضة بأصوله وعلق عليه حسن بن فيض الله الهمذاني اليعربي الحرازي، (ج٢)، كلية العلوم بجامعة القاهرة.

الرافعي، مصطفى صادق،(١٩٧٣).**إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، (ط٨)، بيروت، لبنان.

———— ، تاريخ أدب العرب، بيروت، دار الكتاب العربي.

الرماني، (١٩٦٨). **النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، (ط٢)، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، مصر، القاهرة، دار المعارف.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، (٧٩٤هـ)، (١٩٧٢) . **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط٢)،(ج١،ج٢)، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية.

الزمخشري، أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر، (٤٧٦،٥٣٨هـ)، (١٩٣٥). **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، (م٣)، القاهرة المكتبة التجارية الكبرى للنشر.

الزيدي، توفيق، (١٩٨٤). **أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلال بعض نماذجة**، تونس، الدار العربية لكتاب.

السكاكي، (١٩٨٣). **مفتاح العلوم**، تحقيق نعيم زرزور، بيروت.

سيبويه، أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، (١٨٠هـ)، (١٩٨٣). **الكتاب**، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، (ط٣)، عالم الكتاب.

السيد سليمان العبد، محمد،(١٩٨٩). من صور الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، **المجلة العربية للعلوم الإنسانية**، (ع ٣٥).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضري، (٨٤٩-٩١١هـ)، (١٩٨٥). **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تحقيق محمود أحمد جاد المولى محمد أبو الفضل، (ط٤)، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة مصطفى الباب الحلبي.

ـــــــــــــــ ،(٩١١هـ)، (١٩٧٨). **الإتقان في علوم القرآن**، وبأسفل الصحائف إعجاز القرآن،تأليف القاضي أبو بكر الباقلاني، (ط٤)، القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الباب الحلبي وأولاده بمصر.

الشاوش، محمد، (١٩٨٢). ملاحظات بشأن دراسة الجملة، **مجلة الموقف الأدبي**، (ع ١٣٥، ١٣٦)، دمشق.

شكري، عياد، (١٩٨٠). المؤثرات الفلسفية والكلامية في النقد العربي والبلاغة العربية، **مجلة** " **الأقلام**"، ع (١١)، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، دار الجاحظ.

الصالح، صبحي، (١٩٦٢). **دراسات في فقه اللغة**، (ط٢)، بيروت، لبنان منشورات المكتبة الأهلية.

طحان، ريمون، (١٩٨١). **فنون التعقيد وعلوم الألسنية**،(ط٢)، (ج١،ج٢)، بيروت، دار الكتاب اللبناني.

عباس، حسن، (١٩٩٧). فطرية العربية على موائد علمائها، م(٣٦)، ع (٤٠٧)، **مجلة "المعرفة السورية**.

ـــــــــــ ، **النحو الوافي مع ربطه بالأساليب الرفيعة والحياة اللغوية المتجددة**، (ط٥)، القاهرة، دار المعارف بمصر.

عبد الخالق عظيمة، (١٩٧٢). **دراسات الأسلوب القرآن الكريم**، القسم الأول، (ج٢)، الممكلة العربية السعودية، مطبعة السعادة.

عبد القادر، حامد، (١٩٥٨). معاني الماضي في القرآن الكريم، **مجلة مجمع اللغة العربية**، (ج١٠)، القاهرة.

عبد القادر، حسين، (١٩٨٧). البلاغة العربية والبلاغيون عبد القاهر الجرجاني ونظرية النظم، **مجلة الفكر العربي**، ع(٤٦)، بيروت، لبنان، معهد الإنماء العربي.

عبد القادر، عبد الجليل، (١٩٨٨). **الأصوات اللغوية**، (ط١)، عمان، دار الصفاء للنشر.

عبد المطلب، محمد، (١٩٨٤). النحويين عبد القاهر وتشومسكي، **مجلة فصول**، ع(١)، م(٥)، القاهرة.

عزوز، أحمد، (٢٠٠٢). **أصول تراثية في نظرية الحقول الدلالية**، اتحاد الكتاب العربي، دمشق.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، (٣٩٥هـ). **كتاب الصناعتين**، الكتابة والشعر، (ط١)، تحقيق محمد البجاوي، محمد أبو الفضل ابراهيم، عيسى الباب الحلبي وشركاؤه، القاهرة

عصفور، جابر، (١٩٨٣). **مفهوم الشعر دراسة في التناص النقدي**، (ط٢٣)، التنوير، بيروت.

العلاليلي، أسعد أحمد علي، (١٩٨٥). **تهذيب المقدمة اللغوية**، (ط٣)، دمشق، دار السؤال للطباعة والنشر.

العلوي، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، (٧٤٩هـ)، (١٩٨٠). **الطراز المتضمن لإسراء البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، (م١، ٢، ٣)، أشرفت على مراجعته وتدقيقه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العليمة، بيروت، لبنان.

علوية، نعيم، (١٩٨٠). الحركة والسكون في اللغة والكلام العربيين، **مجلة الفكر العربي المعاصر**.

العمري، محمد، (١٩٩٠). **تحليل الخطاب الشعري، البنية الصوتية في الشعر**، (ط١)، الدار البيضاء، المغرب، الدار العلمية للكتاب.

عون، حسن، (١٩٧١). عن الأساليب التعبيرية، كان + الماضي بدون قد، **مجلة مجمع اللغة العربية**، (ج٢٨)، القاهرة، نوفمبر.

العيد، يمنى، (١٩٨٥). **في معرفة النص**،(ط٣)، دراسات في النقد الأدبي، بيروت.

الفارابي، أبو نصر محمد بن طرخان، (٥٩٠ – ٨٧٠)، (١٩٦٧).**الموسيقى الكبير**، تحقيق غطاس عبد الملك خشبة، القاهرة، دار الكتاب العربي.

فخر الدين، جودت، **شكل القصيدة العربية**، (ط٢)، بيروت، دار الحرف العربي.

فضل، صلاح. (١٩٨٠). **نظرية البنائية في النقد الأدبي**، (ط٢)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية.

القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد بن حسن، (١٢١١- ١٢٨٥م)، (١٩٦٦). **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، (تحقيق محمد الحبيب بن خوجة)، تونس، دار الكتب الشرقية.

القزويني، (٧٣٩)، (٢٠٠٠). الإيضاح في علوم البلاغة، (ط١)، تحقيق رحاب عكاوي، بيروت، دار الفكر العربي.

قطب، سيد، (١٩٧١). **في ظلال القرآن**، (ط٧)، بيروت، لبنان، دار التراث العربي.

ـــــــ ، (١٩٨٣). **التصوير الفني في القرآن**، (ط٨)، بيروت، دار الشروق.

القيسي، عمران، (١٩٨٠). الحروف العربية من التصوف إلى التشكيل، **مجلة الفكر العربي**، ع (١٥).

كانتينو، جان، (١٩٦٦). **دروس في علم الأصوات العربية**، ترجمة صالح القرمادي، تونس، نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية.

كراعين، أحمد نعيم، **علم الدلالة بين النظرية والتطبيق**، الإنماء القومي، بيروت.

كريم، زكي حسام الدين، (٢٠٠٠). **التحليل الدلالي وإجراءاته ومناهجه**،(ج١، ٢)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

لاشين، عبد الفتاح، **الفاصلة القرآنية**، الرياض، دار المريخ.

مبارك، محمد، (١٩٧٢). **فقه اللغة وخصائص العربية**، (ط٥)، بيروت، لبنان، دار الفكر.

المبرد، محمد بن يزيد، (٢١٠- ٢٨٥ هـ). **المقتضب**، تحقيق عبد الخالق عظيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

محمد بشر، كمال، (١٩٨٧). **علم اللغة العام، الأصوات العربية**،مكتبة دار الشباب.

————— ، (١٩٨١). مفهوم الصرف، **المجلة التونسية**، (ع ٦٦، ٦٧).

————— ،(١٩٦٩).مفهوم علم الصرف،**مجلة مجمع اللغة العربية**، (ج ٢٥).

محمود العقاد، عباس، (١٩٧٢). **أشتات مجتمعات في اللغة الأدب**، (ط٣)، مصر، دار المعارف.

مختار، أحمد عمر، (١٩٧١). **دراسة الصوت اللغوي**، القاهرة، دار المعارف.

————— ، (١٩٨٨). **علم الدلالة**، (ط٢)، القاهرة، عالم الكتاب.

المخزومي، مهدي (١٩٦٤). في النحو العربي: نقد وتوجيه منشورات المكتبة العصرية، (ط١)، صيدا، بيروت.

المرادي، الحسن بن القاسم ،(٧٤٩هـ)،(١٩٧٣). **الجنى الداني في معرفة حروف المعاني**، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل،ط١، حلب، المكتبة العربية.

المسدي، عبد السلام، الطرابلسي، محمد هادي، (١٩٨٥). **الشرط في القرآن على نهج اللسانيات الوصفية**، تونس، الدار العربية للكتاب.

المسدي، عبد السلام، (١٩٨٢). **الأسلوب والأسلوبية**، (ط٢)، تونس، الدار العربية للكتاب.

مصلوح، سعد ،(١٩٨٠). **دراسة السمع والكلام**، القاهرة، عالم الكتب.

مفتاح، محمد، (١٩٨٥). **تحليل الخطاب الشعري**، دار التنوير.

مندور، محمد، **النقد المنهجي عند العرب**، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.

المهدي، عبد القادر، (١٩٨٢). رأي في بنية الكلمة العربية، (ع١٣٥، ١٣٦)، مجلة الموقف الأدبي، دمشق.

مونان، جورج، (١٩٨١). **مفاتيح الألسنية**، عربه وذيله بمعجم عربي الطيب بكوش، الجديد، تونس.

ميشال زكريا، (١٩٨٢). المكون الدلالي في القواعد التوليدية والتحويلية، **مجلة الفكر العربي**، ع(١٨، ١٩). بيروت، مركز الإنماء القومي.

ميشال شريم، جوزيف، (١٩٨٤). **دليل الدراسات الأسلوبية**، (ط١)، بيروت، لبنان المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

ناصيف، مصطفى، **نظرية المعنى في النقد العربي**، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيعن بيروت، لبنان.

النحاس، مصطفى، (١٩٨٠). التحول الداخل في الصيغة الصرفية وقيمته البيانية أو التعبيرية، **مجلة اللسان العربي**، (م١٨)، (ج١)، المغرب.

نحلة، محمود أحمد، (١٩٨١). **لغة القرآن الكريم في جزء عمّ**، بيروت، لبنان، دار النهضة للطباعة والنشر.

الهاشمي، أحمد، (١٩٧٨). **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، (ط٢)، بيروت، دار الفكر.

اليافي، نعيم، (١٩٨٤)، قواعد تشكل النغم في الموسيقى، **مجلة التراث العربية**، دمشق.

————— ،(١٩٨٥).حروف القرآن دراسة دلالية في علمي الأصوات والنغمات، **مجلة الفيصل**، المملكة العربية السعودية.

اليسوعي، هنري فليش،(١٩٦٦). **العربية الفصحى نحو بناء لغوي**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان.

AL-SAFFAT SURA: STYLISTIC STUDY

By
Adalah Mostafa Mousa Al-Salem

Supervisor
Dr. Mohammed Al-Qudah

Abstract

This study tries to identify the linguistic structure of the Quranic script from its various aspects; so the language is employed in studying the stylistic favoritisms on the speech level presented by the Holy Quran in this Sura in harmony with the general context of Mecca suras.

This study deals with phonic, lexicon, structural and rhetorical levels, and studying the performance level in the speech, with the researcher's awareness of the uniqueness of the Quranic style, it is an oriented speech in which the language performs circulation tasks and it represents the peak level in the speech.

The study happens in an introduction and four chapters depending on the language levels: phonic, structural and rhetorical, and organized in a way contradicts what De Swesir said in the linguistic science which defines it in a definition that can't blame its issuance from what distinguishes the Quran of its uniqueness and which is establish on its own engineering. So the nouns and verbs in the lexicon level for semantic and rhetorical purposes that are consistent with the multiple contexts within a distinguished structural system specially the third chapter in the fusion of the Quranic system and its interconnection with the linguistic components of the sentences in a connected series in which the meanings signifies the inimitability of the rhetorical illustrations in the rhetorical level and leads to an inimitability built on depiction principle which is considered a basic pillar of the Quranic expression along with the rhetorical images except the images which concern the essence of God, and this may go back to the semantic background of the depiction notion, specially if it is concerned with God the All Mighty.

This study will come to results shown at the end. Study like this which is connected to the Holy Quran must be shown now days to improve the connection of the present that goes away from Arabic Language and Islamic religion to revive its place it had.